



ترجمة : نجوى بركات

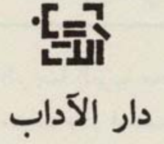
ألبير كامو

عشب الأيّام



(مفكّرة III)

ترجمة: نجوى بركات



دار الآداب



عشب الأيّام

(مفكّرة III)

عشب الأيّام (مفكّرة III)
تأليف/ ألبير كامو
الطبعة الأولى: 1434 هـ / 2013 م
PQ2605.A3734 Z512 2013
Camus, Albert, 1913 - 1960
[Carnets]
المفكّرة / ألبير كامو؛ ترجمة نجوى بركات
أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2013
ص؛ سم
المحتويات: المفكّرة الأولى. لعبة الأوراق والنور ـ المفكّرة الثانية: ذهب أزرق ـ المفكّرة الثالثة: عشب الأيّام
ترجمة كتاب: Carnets
ـ المذكّرات 1 - Camus, Albert, 1913 - 1960 ـ المذكّرات
أ ـ بركات، نجوى

ص.ب. 2380 أبوظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة هاتف: 26215300 971 +
فاكس 6314462 2 971 +
دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ساقية الجنزير ـ بناية بيهم ص.ب: 4123 ـ 11
هاتف: 861633 961 + 795135 1 961 + فاكس 861633 1 961 +
e-mail:rana.adab@hotmail.com
ISBN: 978-9953-89-184-2
يتضمّن هذا الكتاب ترجمة الأصل الفرنسي:
Albert Camus
Carnets, tome I: Mai 1935 - février 1942

إنّ هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (كلمة)، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبّر وجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن المؤلّف، ولا تعبّر بالضرورة عن الهيئة.

المفكّرة III

مارس/آذار ١٩٥١
ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٥٩



ملاحظة الناشرين

يتضمّن الجزء الثالث هذا من المفكّرة الدفاتر VII، VIII وIX، التـي دوّنـها ألبير كامو ما بين مارس/آذار ١٩٥١ وحتـى وفاته. وقد تمّت طباعة الدفتر VII، من مارس/آذار ١٩٥١ إلى يوليو/تمّوز ١٩٥٤، علـى حياة الكاتب الذي قام بمراجعته وتصحيحه. وهو بلا شكّ ما جعلنا نلحظ احتواء النسخة المطبوعة من الدفتر VII علـى مقاطع غير موجودة في مخطوطة اليد (ص ٣٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ٦٩، ٩٩، ١٠٠ و١٠١)؛ في المقابل، حُذفت بعض الصفحات التـي اختفت من النسخة المطبوعة (ص ٦٤، ٦٧، ٦٨ و٦٩)، علـى يد الكاتب بالتأكيد.

في الدفاتر التالية، أشرنا في الهوامش، وفـي كلّ مرّة، إلـى كلّ كلمة أو أكثر لم نتمكّن من قراءتها. من جانب آخر، لقد حذفنا بعض الأسماء لأسباب يسهل فهمها، وغيّرنا بعض الأحرف الأولـى.

الدفتر رقم VII

مارس/آذار ١٩٥١

يوليو/تموز ١٩٥٤

«على من ابتكر أمرًا عظيمًا أن يحياه أيضًا».

نيتشه

تمهيد ل ـ (و.) و(ق.)[1]

«... حينها، بدأت أُحبُّ الفنّ بذاك الشغف العنيف الذي جعله العمرُ أكثر فأكثر كلّيًّا، بدل أن يخفّف منه... وقد كان ذاك المرض يُضيف إلى معوّقاتي قيودًا أخرى هي من الأشدّ قسوة. لكنّه كان يشجّع في النهاية حرّيّة القلب وتلك المسافة الخفيفة من الاهتمامات البشريّة، التي حفظتني دومًا من المرارة والامتعاض. منذ إقامتي في باريس وأنا مُدرك أنّ هذا الامتياز (لأنّه بالفعل امتياز) ملكيٌّ. والواقع هو أنّني استمتعت به دونما عوائق. فأنا ككاتب، بدأت أحيا مُحاطًا بالإعجاب، وهو، بمعنًى ما، بمثابة فردوس أرضيّ. وأنا كإنسان، لم تكن أهوائي وشغفي أبدًا «ضدّ»، بل هي لطالما خاطبت ما هو أفضل منّي أو أكبر ».

*

---

(١) *القفا والوجه* الذي صدر في العام ١٩٣٧، في دار شارلو، في مدينة الجزائر، هو كتاب كامو الأوّل. لم يقبل الكاتب أن يُعاد طبعه في فرنسا، في دار غاليمار إلاّ في العام ١٩٥٨. إلاّ أنّ هذه السطور من العام ١٩٥١ والتي نجد جزءًا منها في التمهيد الذي كُتب لطبعة العام ١٩٥٨، تُظهر أنّه كان يفكّر في الأمر منذ فترة طويلة. مراجعة *المفكّرة II*.

جنون القرن العشرين: أكثر العقول اختلافًا وتباينًا تخلط ما بين حبّ المطلق وحبّ المنطق. باران وأراغون.

*

١١ يونيو/حزيران ١٩٥١. رسالة من ريجين جونييه[١] تعلمني بانتحارها.

*

المبدع. جعلته كتبه ثريًّا. لكنّه لا يحبّها، فيقرّر كتابة عمله الأعظم. لا يكتب سواه وهو يُعيد كتابته دونما توقّف. ثم يستقرّ الضيقُ شيئًا فشيئًا ومن بعده الشقاء، في المنزل. ينهار كلّ شيء ويحيا هو في سعادة مخيفة. الأطفال مرضى، ينبغي تأجير الشقّة والعيش في غرفة واحدة. يكتب. تنهار امرأته عصبيًّا، تمرّ السنوات، ويستمرّ هو باستسلام شامل. يهرب الأطفال. ويوم وفاة زوجته في المستشفى، يضع النقطة الأخيرة، فيسمعه ذاك الذي أعلن له خبر شقائه فقط يقول: «أخيرًا!».

*

رواية. «لم تكن وفاته قطّ رومانسيّة. فقد وُضعوا اثني عشر في زنزانة لا تتّسع إلاّ لشخصين. اختنق وسقط مغمًى عليه. توفّي

---

(١) ريجين جونييه: سيّدة أميركيّة كانت قد استقبلت كامو في دارها. وهي قد نفذت بالفعل مشروع انتحارها.

متكوّمًا لصق الحائط القذر، في حين كان الآخرون مشدودين إلى النافذة وهم يديرون له ظهورهم».

*

(المجلّة الفرنسيّة الجديدة) «N.R.F». وسطٌ غريب وظيفته تحفيز الكتّاب، وحيث يجري مع ذلك فقدان فرح الكتابة والإبداع.

*

كانت السعادة لديها تتطلّب كلّ شيء، وحتى تنفيذ عقوبة الموت.

*

الطبيعيّ ليس فضيلة نملكها: فهو يُكتسب.

*

إجابة على سؤال حول الكلمات العشر المفضلّة لديّ: «العالم، الألم، الأرض، الأمّ، البشر، الصحراء، الشرق، البؤس، الصيف، البحر».

*

الصوت الأزلي: ديميتر، نوسيكا، يوريديس، باسيفاي، بنيلوبي، هيلينا، برسيفون.

*

آه أيّها النور! تلك هي صرخة الذين يُرمون أمام الموت أو مصيرٍ رهيب، في المآسي الإغريقيّة.

*

إنسان ١٩٥٠: كان يزني وكان يقرأ الجرائد.

*

لطالما كان لديّ انطباع بأنّي في عرض البحر: مهدّد في قلب سعادةٍ ملكيّة.

*

(ج.) أو المتظاهر بـــ: لأنّه لا يؤمن إلاّ بما ليس من هذا العالم، كان يتظاهر بأنّه يعيش في الواقع. يلعب اللعبة ولكن بطريقة جليّة، وبجودةٍ تجعلنا لا نصدّق بأنه يلعب. فيتظاهر مرّتين. ومرّة أخرى بعد: إذ هناك جزءٌ منه متعلّق فعليًّا بالشهوة، بالمُتع وبالقوّة.

*

تقبّلْ ما هو علامة قوّة؟ كلاّ، فالعبوديّة تكمن في ذلك. إنّما تقبّلْ ما كان. وفي الحاضر، الكفاح.

*

ليست الحقيقة فضيلة، وإنّما شغف. من هنا، هي لن تكون أبدًا فاعلة خير.

*

محطّة كلام لدى (م.)... : وكلّ شيء ـ وفي المحصّلة ـ وتلك الكمّيّة وأكثر... ـ أنت تعرف، هه، أنت تعرف... ـ لم أجدها مثيرة للاهتمام ـ إنّها تشكّ في الجميع، وهذا مزعج. ـ قول ذلك! ينبغي رؤية الأمر لتصديقه ـ هذا أمرٌ فريد ـ عندما ذهبت لكي تخضع لعمليّة جراحيّة... أطباق مبعثرة (غير مكتملة العدد) ـ القصّة تتعلّق بقول أترى، أنا أجعلك تدفع ـ تذكّر، أنت تعرف، كانت أنيقة ـ وكذا وكذا ـ أنت تتصرّف كمهرّج (مخاطبةً زوجها الذي خرج من دون سترة صوفيّة).

*

كما سبق. أوغوستا التي يعبّر لها جنديّ هو ابنها في معموديّة الحرب، عن امتنانه بهذي العبارات: «سيّدة بيرلان، لقد كنت بالنسبة إليّ أسوأ من والدة». تروي قصف مدينة نانت بالقنابل وقد فاجأها وهي في الشارع، فالتجأت إلى مدخل بناية تحتمي فيه مع صديقة لها. «كنت أرتدي فراء ثعلبٍ وطقمًا جديدًا. عندما انتهى الأمر، كنت في قميصي الداخلي». اختفت الصديقة تحت الأنقاض. «سحبتها من شعرها، لم يكن قد تبقّى لها إلاّ إصبع واحد...». «في ذلك الوقت، كان زوجي يخوض مغامرة عاطفيّة رائعة ولم يكن يتساءل إذا ما كنت سأخرج حيّةً من تحت الأنقاض... في الأمس، كنت قد تقدّمت بطلب الحصول على بطاقة هويّة جديدة. في خانة علامة فارقة، وضعتُ لا شيء. وفي الغد، كانت هيئتي مريعة».

*

معمدانيّ أمضى خمسين نهارًا وخمسين ليلةً في زنزانة بوشينوالد الانفراديّة. «عندما خرجت، بدا لي معسكر الاعتقال جميلاً بقدر جمال الحرّيّة».

*

«لقد بقوا كائنًا واحدًا أولئك الذين اختاروا الانفصال في الوقت الذي قرّرته قواهم الخاصّة». هولدرلاند. موت أمبيدوكر.

كما سبق. «ولكن أنت، لقد وُلدت من أجل يومٍ رقراق».

كما سبق. «أمامه، في ساعة موتٍ سعيدة، في يومٍ مقدّس، خلع الإلهيّ الحجاب».

*

بحسب فيكتور سيرج، إنّها أعمال الأميرال كولتشاك الوحشيّة التي جعلت أعضاء التشيكا في الحزب الشيوعي الروسي يفوزون على كلّ أولئك الذين كانوا يريدون مزيدًا من الإنسانيّة.

*

١٩٢٠. إلغاء عقوبة الإعدام. في الليلة التي سبقت الإعلان عن القانون، ذبح أعضاء التشيكا السجناء. وقد تمّ تبنّي عقوبة الإعدام مجدّدًا، بعد مضيّ بضعة أشهر. غوركي: «متى سننتهي من القتل ومن سفك الدماء؟».

*

فيكتور سيرج. «كان كلّ ما صُنع في الاتّحاد السوفييتي سيكون أفضل بكثير لو أنّه صُنع من قِبل ديموقراطيّة سوفييتيّة».

*

تمهيد لـ (ق. وو.)[1]. ـ عمّي ـ «وهو من أتباع فولتير كما كان دارجًا في عصره، كان يدعو إلى احتقار الناس عامّةً، وزبائنه البورجوازيّين خاصّةً، بالشكل الأكثر جلافة. وقد كان لامعًا في الهجاء وفي صبّ اللعنات. وكان أيضًا ذا شخصيّة قويّة وقد جعلتني معاشرته صعبًا. الآن وقد توفّي، أضجر في باريس حين أفكّر به».

*

كيف امتدّت اشتراكيّة القرن العشرين بواسطة الحرب: لقد أشعلت حرب ١٩١٤ ثورة ١٩١٧. لقد أعطت حربٌ غريبةٌ أُضيفت إلى الحرب الأهليّة في الصين، ماوتسي تونغ ـ عام ١٩٣٩ حول أوكرانيا البولونيّة وبيلاروسيا ودول البلطيق وبيسارابيا إلى دول سوفييتيّة. حرب ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ أوصلت روسيا إلى جزيرة الألب. في حين منحتها الحربُ ضدّ اليابان جُزرَ السخالين، الكوريل وكوبا الشماليّة. انظر أيضًا فنلندا وكوريا الجنوبيّة.

*

---

(١) *القفا والوجه*. العمّ هو غوستاف أكّو، زوج شقيقة والدة كامو، الجزّار في شارع ميشليه، في مدينة الجزائر.

شخصيّة روائيّة. رافانيل[1]. ذكاءٌ خالص. مسك دفاتر الإرهاب. ضجرٌ اجتماعيّ. نضاليّة. شرطة. وكيل نيابة. انظر في الأعلى قصّة وكيل النيابة.

*

ينبغي استخدام مبادئنا في الأمور الكبيرة. إذ تكفي الرحمةُ الأمورَ الصغيرة.

*

تسمح المواقف المتهكّمة والواقعيّة بالحسم وبالازدراء. المواقف الأخرى ترغم على التفهّم. من هنا الوقع السحريّ للأولى على المثقّفين.

*

نحن نعمل في زمننا هذا من دون أمل بمكافأة حقيقيّة. أمّا هم فيعملون بشجاعة من أجل أزليّتهم الشخصيّة.

*

القرن مهما ادّعى، إنّما يسعى إلى الأرستقراطيّة. غير أنّه لا يرى أنّ ذلك يقتضي التخلّي عن الهدف الذي يعيّنه لذاته برفعةٍ: أي

---

(١) رافانيل خرّيج المعهد العالي للبوليتكنيك، زعيم مجموعات مقاومة فرنسيّة، اعتقلته قوّات الجستابو، ثم فرّ ليصبح الزعيم الإقليمي لحركات المقاومة الموحّدة و«عضوًا سريًّا في الحزبِ الشيوعي» بحسب هنري فرونيه. خاصّ بـــ «قصّة وكيل النيابة»، *المفكرة II*.

العيش الرغيد. ليست هناك أرستقراطيّة إلاّ أرستقراطيّة التضحية. فالأرستقراطيّ هو، قبل كلّ شيء، من يعطي من دون أن يأخذ، وهو من يرغم *ذاته*. لقد مات النظام القديم من جرّاء تناسيه هذا الأمر.

*

وايلد[1]. لقد أراد وضع الفنّ فوق كلّ شيء. إلاّ أنّ عَظمة الفنّ ليست في التحليق فوق كلّ شيء. على العكس، إنّها في الاختلاط بكلّ شيء. لقد انتهى وايلد إلى فهم ذلك بفضل الألم. بيد أنّ شعوره بالذنب من تلك الفترة جعله يحسّ باحتياجه دومًا إلى الألم والعبوديّة لكي يلمح حقيقةً تتواجد في السعادة أيضًا حين يكون القلب جديرًا بها. قرنٌ ذليل.

*

كما سبق. لا توجد موهبة للعيش وأخرى للإبداع. فالموهبة نفسها كافية للاثنين. ولنكن على ثقة بأنّ الموهبة التي لم يمكنها إلاّ إنتاج عملٍ متكلّفٍ، لا يمكنها سوى تعزيز حياة مستهترة.

*

---

(1) تحت عنوان *الفنّان في السجن*، كتب كامو تمهيدًا لـ *نزهة* سجن ريدينغ (الهاوية، ١٩٥٢)، التي استعيدت في *لقاء* [بالإنكليزيّة في النصّ]، عام ١٩٥٤.

رواية. (ك.) وفستانها المليء بالزهور. مراعي المساء. النور المائل.

*

لقد انطلقت من أعمال أدبيّة كان الوقت فيها منكَرًا. ثم استعدت شيئًا فشيئًا ينبوع الزمن ــ والإنضاج. العمل الأدبيّ هو نفسه سيكون عمليّة إنضاجٍ طويلة.

*

أرادوا رفض الجمال والطبيعة لصالح الذكاء وحده وقواه الفاتحة. وأراد فاوست أن يحصل على أوفوريون من دون هيلينا. لم يعد الطفل الرائع سوى وحش مشوّه، جنين محفوظ في وعاء. لكي يولَد أوفوريون، لا فاوست من دون هيلين، ولا هيلين من دون فاوست[١].

*

التمرّد، مهد الآلهة الحقيقيّ. إلاّ أنّه يكوّن الأصنام أيضًا.

*

موتٌ مقزّز. إنّ تاريخ البشر هو تاريخ الأساطير الذي ستر هذا الواقع. فقد هزّ التاريخَ اختفاءُ الأساطير التقليديّة منذ قرنين،

---

(١) ملاحظة لـ *دفاعًا عن الرجل المتمرّد*. مراجعة غوته، *فاوست II*.

لأنّ الموت أصبح بلا أمل. ومع ذلك، لا توجد حقيقة إنسانيّة ما لم يكن هناك أخيرًا تقبّلٌ للموت بلا أمل. الأمر هو في تقبّل النهاية، من دون رضوخ أعمى، وفي توتّرٍ للكيان بأكمله يتزامن مع التوازن.

*

رواية. يومٌ جيّد. «طوال الرحلة البحريّة، كانت تتهادى على كعبَيها العاليين. وكانت ما تزال ترى نفسها في المرآة قبل أن تغادر الغرفة. بالطبع، كان السروال الضيّق من القطن الناعم يُبرز قوامها بشكلٍ واضح، فيظهر وركاها أعرض من كتفيها: أجل، النساء الحقيقيّات هنّ هكذا. مع صدر عارم جدًّا أيضًا. لم تكن الهزيمة قد حلّت بعد، وباختصار كان ذلك أيضًا أكثر أنثويّة. وكان لا بدّ من مراقبة تلك الأجساد التي كانت تلعب بالكرة الطائرة، تحتها هناك على الشاطئ، لتميّز إذا ما كانت لرجال أو لنساء.

«كانت القامة الصغيرة السوداء تسير أمام البحر. ولم يكن يُرى، ما بين الوشاح والنظّارات، إلاّ خطّان مرسومان بالريشة حيث كان سابقًا موضع الحاجبين، ومساحة الجبهة البيضاء اللزجة التي كانت تسعى عبثًا لأن تتغضّن في عين الشمس»».

*

فصلٌ صغير عن زير النساء. كلاّ، أنا لا أشرب إلاّ الماء ــ كُلْ ــ أنا آكل القليل. وإذا ما شربت فبدافع صحّي أحيانًا.

ما يضيفه الحبُّ إلى الرغبة؟ شيءٌ لا يُقدّر بثمن، الصداقة.

أنا لا أغوي، أنا أرضخ.

لماذا النساء؟ لا أستطيع تحمّل مجتمع الرجال. فهم إمّا يُثنون وإمّا يُدينون. وأنا لا أحتمل لا هذا ولا ذاك.

في منتصف الليل، لا شيء، لم يأتِ الفارس الآمر. زير النساء حزينٌ. يغادر. «تعال»، تقول أنا. «كلاّ، لا نستطيع في اليوم نفسه أن نكون محقّين وسعداء...». (يرجع عن قراره). «ومع ذلك، إن كنتَ محقًّا، لا يتبقّى إلاّ السعادة ــ وحتى لا يتبقّى إلاّ الحبّ الذي لم تؤمن به قطّ لأنّك لن تكفّ قطّ عن الإيمان بأحلامك الخاصّة التي كنت تسمّيها الإله». ينظر إليها. «أيكون هو الحبّ إذًا ما أشعره يتنامى فيّ؟ ــ إنّه حتمًا هذا. إنّما أبعد برفقٍ كلّ ما تبقّى من حول هذه النبتة الهشّة. برفقٍ، على مهلٍ، أفسح أخيرًا مكانًا للسعادة».

*

رواية. أحد أسرار (ب.)... هو أنّها لم تتمكّن أبدًا من تحمّل المرض والموت، أو ببساطة، من تناسيهما. من هنا، شرودها العميق. فهي تُنهَك لمجرّد العيش فقط كالآخرين والادّعاء قليل من اللامبالاة والبراءة اللازمتين لمواصلة العيش. لكنّها في عمق نفسها

لا تنسى أبدًا. وهي حتى لا تملك ما يكفي من البراءة من أجل الخطيئة. الحياة بالنسبة إليها ليست إلاّ الزمن الذي هو نفسه مرضٌ وموت. هي حتى لا تتقبّل الزمن وتنتصب متقوّسةً في معركةٍ خاسرة سلفًا. وعندما تستسلم، ها هي تماشي التيّار بوجهٍ غريقةٍ. هي ليست من هذا العالم لأنّها ترفضه بكلّ كيانها. الأمر كلّه يبدأ من هنا.

*

دوردونيو [إقليم فرنسيّ][١]. الأرض زهريّة، الحصى بلون البشرة والصباحات حمراء مكلّلة بالأناشيد البريئة. تموت الزهرة خلال يومٍ، وها هي تنبعث حيّةً تحت الشمس المائلة. في الليل، تنزل أسماك الشبّوط النائمة إلى النهر اللزج؛ تتوهّج مشاعل الحشرات السريعة الزوال تحت قناديل الجسر، تاركةً في الأيدي ريشًا حيًّا، وكاسيةً الأرض بأجنحةٍ وشمعٍ من حيث ستنبثق حياةٌ هاربة. ما يموت هنا لا يمكن أن يعبر. إنّها ملاذٌ وأرضٌ أمينة، وإلى هنا ينبغي أن ترجع أيّها المسافر، إلى البيت حيث يُحفظ الأثر والذاكرة، فما في الإنسان لا يموت معه، إذ يولد في الأبناء من جديد.

*

ليس صحيحًا أنّ القلب يتلف ــ بل هو الجسد يوهم بذلك.

---

(١) رحلة في السيّارة، يوليو/تمّوز ١٩٥١.

أولئك الذين يفضّلون مبادئهم على سعادتهم. إنّهم يرفضون أن يكونوا سعداء خارج الشروط التي سبق أن حدّدوها لسعادتهم. وإذا ما سَعدوا بشكلٍ مفاجئ، فها هم يضطربون ـ أشقياء لكونهم قد حُرموا من شقائهم.

*

مأساة عن العفّة.

*

رواية. ٧. (وكانت تترجم في الآن نفسه حقيقتي): لا أرغب بشيء آخر سوى ما أملك. شقائي وعقوبتي هما أنّني لا أستطيع الاستمتاع بما أملك.

*

كما سبق. حين كان مراهقًا، وحتى بعد مرور زمنٍ طويل، كان المجهولُ هو الشيء الوحيد الذي يهمّه في الحبّ، وإذًا المعرفة. من هنا، مغامراته. لكنّ المغامرة لا تحدث بغتةً بشكل كامل، إذ هناك دومًا بداية، مهما كانت قصيرة. وغالبًا، كانت تلك البداية كافية للمعرفة، عندما كان هناك القليل لمعرفته، فكان يتقبّل بالتالي العلاقة، واثقًا أنّها لن تمنحه شيئًا إضافيًّا.

هكذا يخلط هؤلاء ما بين الحبّ والمعرفة، وأولئك الذين يملكون ما يكفي من الغرور لكي يظنّوا، مخطئين أو محقّين، بأنّهم

يكتفون بأنفسهم. الآخرون يعرفون حدودهم فيكون حبّهم آنذاك فريدًا لأنّه يتطلّب كلّ شيء، والكائنَ أكثر منه المعرفة.

*

رواية. (أ. و)، شابّ أميركي قدِم إلى باريس بعد أن خاض الحرب (حيث رُميَ، طالبًا سعيدًا وتقليديًّا). يعيش في باريس لاعنًا أميركا ومتابعًا بشغف انعكاس العَظَمة والحكمة الذي ما زال باديًا على وجه أوروبا العجوز. يحيا كمتشرّد وقد فقد مظهر الوجوه الأميركيّة الملمّع المصقول. ملامحه ليست صافية — عيناه محاطتان بهالتين سوداوين. وها إنّه مريضٌ يُحتضر في فندقٍ بائس. وها إنّه يهتف باتّجاه أميركا التي لم يكفَّ عن حبّها قطّ، باتّجاه الحدائق المكسوّة عشبًا أخضر في جامعة هارفارد وفي بوسطن، وضجيج مضارب الألعاب والصيحات في الأمسيات المنتهية حول النهر.

*

رواية. الجزء الأول: مباراة كرة قدم. الجزء الثاني: مصارعة ثيران.

*

بعض الأمسيات التي تطول عذوبتها. أن ندرك أنّ مثل هذي الأمسيات ستعود إلى الأرض بعد رحيلنا، تساعد على الموت.

*

امرأة تحبّ حقيقةً، بكلّ روحها، وبعطاءٍ كامل، تكبر إذًا بإفراط لدرجة يصبح كلّ رجل معها دون الوسط، بائسًا ودونما سخاء، مقارنةً بها.

*

رواية. في غرفة مظلمة يستمع طفلٌ إلى الموسيقى وهو ملتصق الأنف بالمربّع المُضيءِ لجهاز الراديو.

*

رواية. شخصيّتان: الصديق الألماني ـ مرسيل هـ.

*

وكما أنّ العبثيّة ليست في العالم أو فينا وإنّما في ذلك التناقض ما بين العالم وتجربتنا، فإنّ الاتّزان ليس في الواقعيّ أو في الرغبة وإنّما هو... حركةٌ وتحويلٌ للجهد العبثيّ.

*

يوميّات الكونتيسة تولستوي(١).

ص. ٤٥ حول منهج عمل (ت).

(ت): «كم أنّ الكتابة مُضجرة».

---

(١) في جزأين، دار بلون، ١٩٣٠ ـ ١٩٣١.

الكونتيسة، ٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٢ (عُقد الزواج في ٢٣ سبتمبر/أيلول): «كلّ العلاقات الجسديّة مقزّزة»، وفي ديسمبر/كانون الأول الصرخة الأنثويّة الحقيقيّة: «لو كنت قادرةً على قتله وعلى خلق كائنٍ آخر يشبهه في كلّ شيء، لكنت فعلت بكلّ متعةٍ».

أبريل/نيسان ١٩٦٣. «للجانب الجسديّ في الحبّ دورٌ كبيرٌ جدًّا لديه، في حين أنْ لا دور له أبدًا لديّ أنا».

ص. ٦٣. «ماذا تبقّى من الرجل الذي كنته؟! يقول (ت).

سبتمبر/أيلول ١٩٦٧. «لست سوى حيوان زاحفٍ شقيّ تمّ سحقه، أنا لا أنفع لشيء، لا أحد يحبّني، أشعر بنوبات غثيان، لديّ ضرسان تالفتان، رائحة فم كريهة، إنّي حامل... إلخ».

ص. ٧٨. نعلم أنّ تولستوي تقرأ وهي جالسة إلى المائدة.

ص. ٨٧. يصرخ في وجهها أنّ فكرة ترك عائلته تطارده.

ص. ٩٠. إنّها تقرأ سرًّا يوميّات زوجها المخبّأة في درجٍ مقفل.

ديسمبر/كانون الأول. ص. ٩٠. يكتب: «الحبّ غير موجود. هناك الحاجة الحسيّة للاتّحاد بكائن آخر والحاجة العاقلة لامتلاك شريك حياة».

ص. ٩١. يقول لها: «أن أكون مُحاطًا بالخدَم ذلك هو عذاب حقيقيّ بالنسبة إليّ».

ص. ٩١. تروي الكونتيسّة أنّها لا تستطيع أن تعتاد وسخ الكونت ورائحته الكريهة. كما سبق. ص ٢٨٣ (٩٧).

ص. ٩٢. تكشف الكونتيسّة أنّ (ل. ت) ليس سعيدًا إلاّ بالحبّ الجسديّ.

الجميع برأيها يشفق عليها ويعتبرها «ضحيّة».

ومن ثم، شجارات حول حقوق التأليف ص ٨١ ٩٧، ١٣١ ـ ١٣٧، ١٤٥، ٢١٦.

ص ٨٨. اعترافٌ حول الحبّ المزدوج.

«الأناس الذين يُخطئون دربهم في الحياة، الأناس الضعفاء والأغبياء يرتمون على كتيّبات ليون نيكوليفيتش».

«تلك القوائم الخشبيّة التي يتسلّقها في حضور الغامضين».

ص. ٩٧. يغادر المنزل ولا يعود إلاّ صباحًا.

ص. ٩٧. يلعب كلّ صباحٍ بكرة المضرب.

في السبعين من عمره، وبعد ٣٥ فرست [وحدة روسيّة قديمة لقياس المسافة، تعادل ألف و٦٦,٨ مترًا] قطعها على ظهر حصانه في الثلج، أظهر شغفه للكونتيسّة التي أخذت علمًا به بتعجّب.

*

ستالين المُلقّب من قِبَل رفاقه (في العام ١٩١٧): المهمّة الرماديّة.

*

في ذروة السعادة ــ وجاء الليلُ يلقاني.

*

لا أحد أكثر منّي تمنّى التناغم والاستسلام والتوازن النهائي. إنّما احتجت دومًا السعي إليها عبر أكثر الدروب وعورةً، وفي الفوضى والصراعات.

*

يقول، «بالطبع أنا أخشى ألاّ أموت في الموت بشكلٍ كافٍ وأن أفتقد الهواء في التراب. لكنّني أعود إلى التفكير بتعقّل. إذا كنت أخشى افتقاد الهواء فلأنّني أخشى الموت بفعل ذلك. أمرٌ من اثنين، إمّا أنّي لن أموت من جرّاء ذلك فأستمرّ أفتقد الهواء ولكن دونما شعور بالقلق. وإمّا أن أموت، ولمَ القلق إذاً؟»

*

رواية. جانّ (ب.) وحركتها الآليّة.

كما سبق. المدافن العسكريّة في الشرق. يذهب الابن في الخامسة والثلاثين من عمره لزيارة قبر أبيه، فيكتشف أنّ هذا الأخير توفّي في سنّ الثلاثين. *لقد أصبح هو الأكبر سنًا*[1].

العَرب الممدّدون ها هنا. والمنسيّون من قِبل الجميع.

*

رواية. الأحلام في السيّارة في الطريق إلى بيرار.

*

(ف.). لقد اعترفتُ بأنّه كان حقيقيًّا، وبأنّ هناك كائنات أشدّ كبرًا وحقيقةً من آخرين، يشكّلون عبر العالم مجتمعًا خفيًّا ومرئيًّا يبرّر العيش.

*

(م.). موتٌ تافه في نهاية حياةٍ تافهة. وحده موت القلوب الكبيرة لا يكون ظالمًا.

اللاجئون الإسبان. دومِناك (الحرب الأهليّة ـ حرب ١٩٣٩ المقاومة، بوشينوالد ـ عاطل عن العمل) غارسيا (الذي أعفاه (أ. ب) من دينٍ بقيمة ١٤٠ ألف فرنك. «آه أنت مثلي أنا، لن تكون

---

(١) في العام ١٩٤٧، رأى كامو للمرّة الأولى قبر أبيه في سان برييوت. كان عمره آنذاك ٣٤ عامًا. وقد كان لوسيان كامو قد أُصيب بجروح قاتلة في معركة لامارن يوم لم يكن قد بلغ تمامًا بعد التاسعة والعشرين من عمره.

ثريًّا أبدًا») غونزاليس (هناك طبقات ـ ولا يمكنها أن تتعاون ـ أرفض كلّ التصرّفات اللطيفة التي يقوم بها ربّ العمل ـ هو يريد أن يعامَل بقسوة) برتومو: الكورس (يشوي من ثم سمك السردين في المكتب).

*

جايمس (السفراء). «أكره ذاتي حين أفكّر بكلّ ما علينا أخذه من حياة الآخرين لكي نكون سعداء، وبأنّنا حتى هكذا لسنا سعداء».

*

مورياك. إثباتٌ رائع بعَظمة مذهبه: لقد توصّل إلى الإحسان من دون المرور بالكرم. لكنّه مخطئ بإرجاعي دونما توقّف إلى قلق المسيح، إذ يظهر لي أنّ احترامي للمسيح أكبر من احترامه هو له، كوني ما ظننت أبدًا أنّ من حقّي عرض عذاب مخلّصي، مرّتين أسبوعيًّا، على الصفحة الأولى من صحيفة مصرفيّين. هو يقول عن نفسه إنّه كاتب تعليق. بالفعل. إلاّ أنّ لديه في تعليقه استعدادًا لا يُقهر لاستخدام الصليب كسلاح رمي، وهذا ما يجعله صحافيًّا من الدرجة الأولى وكاتبًا من الدرجة الثانية. دوستويفسكي منطقة الجيروند.

*

رواية. «في تلك اللحظات، كان يتلقّى، مُغمض العينين، صدمة المتعة، كمركب شراعيّ في الضباب مُسّ فجأة فضُرب من هيكله إلى عارضته، فدوّى فيه كلّ شيء بفعل الصدمة، بدءًا بالجسر وحتى الشراع الأماميّ، مرورًا بالألف حبلٍ وضلعٍ في أطراف السفينة التي راحت عندئذ ترتعد طويلاً، حتى انقلبت ببطء على جانبها. ومن ثم، كان الغرق».

*

رواية. ما صعقه حينها هو كم كان عدد الأغراض قليلاً في بيته. لم يحدث أبدًا أن تجسّدت كلمة ضروريّ بأفضل ممّا هي عليه ها هنا. عندما كانت أمّه تعيش في غرفة، لم تكن تخلّف فيها أيّ أثر، عدا محرمة، أحيانًا.

*

«كنت أتمنّى وأنادي أكبر العذابات، متيقّنًا من أنّني سأجد السعادة التي تحتويها (وسأكون قادرًا على تذوّق السعادة...)».

*

البدء بالعطاء هو الحكم على ذواتنا بعدم العطاء كفايةً، حتى عندما نهب كلّ شيء. وهل نهب أبدًا كلّ شيء؟

*

عدم القول أبدًا عن رجل بأنّه طُعن في شرفه. الأفعال، المجموعات والحضارات قد تُطعن في شرفها، وليس الفرد، لأنّه لا يعي الطعن في الشرف وهو لا يمكن أن يُطعن في شرفٍ لم يمتلكه أبدًا. وإذا ما امتلكه، فإنّ الحُرق الذي يمثّله ذلك هو أشبه بحديد حامٍ فوق الشمع. الكيان يذوب، يتفقّع في نيران وجعٍ لا يُحتمل وفيه يتجدّد في الآن نفسه. إنّها نيران الشرف الذي يتمرّد بالضبط، ويؤكّد ذاته عبر شدّة وجعه نفسها. ذلك هو على الأقلّ ما شعرت به يومَ، بل تمامًا ثانيةَ ظننت أنّني مقتنعٌ بفعلٍ خسيسٍ حقًّا، إثر حدوث سوء تفاهم. لم يكن ذلك حقيقيًّا، وإنّما في تلك الثانية وحدها تعلّمتُ تفهّمَ كلّ المذلولين.

*

ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٥١

أنتظر بصبرٍ كارثة تبطئ في قدومها.

*

تصريحاتي في الإذاعة ـــ أجدني مثيرًا للسخط عند الاستماع إليها. هكذا تجعلني باريس، على الرّغم من جهودي كلّها. منذ توقّف صدور صحيفة *كومبا*، أنا وحيدٌ جدًّا بشكلٍ متواصل، دونما حيّز يمكّنني من الكلام، الدفاع، العرض والتبرير أحيانًا. لا تسعفني قطّ حرارةُ الآخرين ولا على الأقلّ حتى مشهدُ كرم نفوسهم. وفي

النهاية، أتجمّد بردًا فتأتيني بالضبط تلك النبرة المتجمّدة والشديدة الازدراء لتترجم الازدراءَ فعلاً، ولكنّها ثقيلة جدًّا على السمع. لو كنت أشعر بثقة حقيقيّة، للحظة واحدة لا أكثر، لكنت ضحكت واصطلحت الأمور كلُّها.

*

تعود الفكرة التي لديّ عن الابتذال إلى بعض البورجوازيّين الكبار الفخورين بثقافتهم وبامتيازاتهم، من أمثال مورياك، لحظة عرضهم مشهد غرورهم المجروح. فيحاولون حينئذٍ أن يجرحوا في الموضع نفسه حيث جُرحوا، ويكتشفون في الآن نفسه العلوّ الدقيق حيث يعيشون في الواقع. وبالتالي فإنّ فضيلة التواضع تنتصر في دواخلهم وللمرّة الأولى. فقراء مساكين، بالفعل، وإنّما بالأذيّة.

*

لم أكن أبدًا راضخًا جدًّا للعالم أو للرأي العامّ. وإن كنت كذلك، فبأقلّ قدرٍ ممكن. بيد أنّي بذلت لتوّي المجهود النهائيّ. وأنا بهذا الصدد، أعتقد، بأنّ حرّيّتي شاملة. إنّي حرٌّ، وبالتالي رؤوف.

*

تتكوّن لديّ عن ذاتي الفكرة الأكثر فظاعة، طوال أيّام.

*

حياة فيلاسكيز. تعليق موجّه إلى فيلاسكيز.

الاعتدال. يعتبرونه حلاً للتناقض ولا يمكنه أن يكون شيئًا آخر سوى تأكيد التناقض، والقرار البطولي بالتمسّك به وبالصمود.

*

إنّ أفضل حماية للاتّحاد السوفييتي من القنبلة النوويّة، هي الأخلاق الدوليّة التي يتمسّك بتطويرها وتنميتها من خلال إدانات علنيّة. وبالتالي فإنّه هو يعوّض بذلك عن عقدة نقصه الوحيدة من خلال اللجوء إلى حكمٍ أخلاقيّ ينكره مع ذلك في فلسفته الرسميّة.

*

الظلم الخبيث هو ما يتسبّب بالحروب. والعدالة العنيفة هي ما يسرّعها.

*

تأخذ الماركسيّة على المجتمع اليعقوبيّ والبورجوازيّ المأخذ نفسه الذي كانت تأخذه المسيحيّة على الهلّلينيّة: ثقافويّة وشكليّة.

*

مسرحيّة. يعود من الحرب. ما اختلف شيءٌ إلاّ هذا: ما عاد يحكي إلاّ بشكلٍ شاعريّ.

*

إمرسون. كلّ جدارٍ هو باب.

*

عدم مهاجمة أيّ شخص قطّ، وخاصّةً في الكتابات. لقد انتهى زمن الانتقادات والسِّجال ـ **الإبداع**.

*

إلغاء النقد والسِّجال *كلّيًّة* ـ من الآن وصاعدًا، التوكيد الثابت وحده.

تفهّمْهم جميعًا. ولا تحبّ ولا تُعجَبْ إلاّ ببعضهم.

*

المزاج السيّئ هو أكثر الأقدار سوءًا. أعرف ذلك عن سابق تجربةٍ. ها هنا كمن الإغراءُ الحقيقيّ بالنسبة إليّ، بعد سنوات من الألق والقوّة. لقد استسلمتُ له بما يكفي لأصبح متعلّمًا مثقّفًا، ثم نفدت منه.

*

كان لدى أوفربيك الانطباع بأنّ جنون نيتشه كان ادّعاء وتصنّعًا. وهو انطباع لطالما أشعرني به أيّ مختلّ. ربّما كان الحبّ هكذا. نصفه ادّعاء وتصنّع.

*

ينبغي أن يكون «الحدّ» حقيقة الجميع. إنّه أيضًا حقيقتي بقدر ما أنا للجميع. وإنّما بالنسبة لي أنا وحدي: الحقيقة التي لا نستطيع قولها.

*

غيبّو، بشأن شَمسون: «بالنسبة إليه، ليس الآخر سوى المُقاطِع المُحتمل».

*

فوق العالم بأكمله، فيض من الموسيقى الحزينة صادرٌ عن ملايين الآلات الرائعة.

*

لقد رفع يهوذا الخيانة والكراهية إلى مصافّ المبدأ لكي يشهد، بشكلٍ غير مباشر على الأقلّ، لصالح المسيح. النتيجة: القرن العشرون. وفي غياب الحبّ: المعسكرات.

*

الصحافة بحسب تولستوي: بيت دعارة فكريّ. كان يودّ كتابة رواية «حيث لا يوجد مذنبون». رسالة تورغينييف المحتضِر إلى تولستوي: «كنت سعيدًا لأنّي عاصرتك».

*

رواية (أو مسرحيّة) ـ الشخصيّة: إيلاّن ـ فور. مراجعة
هيليوسانغ.

*

أسطورة أوفوريون. ابن الجَبَروت المعاصر والجمال القديم،
جعله غوته يموت. إنّما كان يمكنه أن يعيش.

*

(ف.) فيانييه[1]، صادفته يوم أمس ولم أكن قد رأيته أبدًا منذ
فترة الاحتلال وأيّام التحرير الرائعة في باريس. وفجأةً، حنينٌ إلى
الرفاق هائلٌ ومثيرٌ للبكاء.

*

«رجل أران» (مان أوف أران)[2]. حياة أولئك الصيّادين
الرهيبة. إنّنا نُعجب بهم ونحترمهم، بعيدًا عن أيّ شعورٍ بالشفقة.
فليس الفقر أو العمل المتواصل هما ما يصنع انحطاط الإنسان،
وإنّما الاستعباد الخسيس الذي يسبّبه العمل في المصنع والعيش في
الضواحي.

*

---

(1) فيليب فيانييه، مقاوم، أحد قادة حركة التحرير الوطنيّة.
(2) فيلم لروبير فلاهيرتي (١٩٣٤).

الساعة الثانية فجرًا. حُلُماي المفضّلان، منذ سنوات. دائمًا وبأشكال مختلفة، أحدهما هو حلمُ تنفيذ عقوبة الإعدام. الليلة وقد استيقظت مذعورًا، أستطيع تدوين الكثير من التفاصيل.

أمشي بفضل التعذيب، يرافقني سكوتّو لافينا (صديقٌ من مدينة الجزائر أراه قليلاً جدًّا، ولكنّي أكنّ له الودّ). يهمس في أذني (المسيرة ضمن المجموعة تتسارع): «كانت زوجتي تحدّثني يوم أمس عن فلان وعلاّن». وأنا: «لا أسماء علم، أرجوك، من دون ذكر أسماء». يسألني أحدهم في المجموعة (هناك حرّاس لا يعنيني وجودُهم، فيما تحضر (أ.) وتغيب بالتناوب) لماذا؟ فأقول عند بلوغ أسفل درجٍ عملاق: «أريد البقاء في قلب الاسم المجرّد»، وهي جملة أكرّرها لنفسي بشيءٍ من السلام. يقف أولادي عند قمّة الدرج الذي أصعده محاطًا دائمًا وبسرعة دائمًا، موثق اليدين على ما أعتقد (فكرة أن أُدفع أيضًا، أن نُدفع حتى ـــ فنسير جميعًا منحنين إلى الأمام). يتّجه جان نحو الزاوية وأقول عند رؤيته (إلاّ أنّ هذا الشعور ليس مكتملاً فيّ، إنّه بالأحرى أشبه بالفجر، نوع من الاكتشاف الفرِح والقلق): «من ثم، سيبدأ هو من جديد». للمرّة الأولى، أقبّلهم وأبكي. هم يقولون لي الوداع كالعادة، على ما أعتقد. نترك الدرج ونعبر ما يشبه محطّةً أخرج أنا منها وحيدًا مع (أ.) وفيرا. ترافقني فيرا منذ فترة معيّنة ـــ أنا لا أعرفها خلال حلمي. ولكن عند استيقاظي، أفكّر بها كما بـــ (س). إنّها ترتدي ثيابَ

فلاّحةٍ، أزياؤها وكأنّها من أوروبا الوسطى تقريبًا، كأزياء الجميع من حولي. المنظر حديثٌ، فهناك محطّات قطار ووُرش عمار، وهي ليلةٌ مفعمةٌ بنسيمٍ خفيف. عند الخروج من المحطّة، دائمًا بشكل حازمٍ ودونما حرّاس، أتّجه نحو مكان التعذيب بقلقٍ يتزايد ليفوق كلّ احتمال. لكنّي أحزر بأنّ فيرا تحمل مسدّسًا من الطراز القديم كانت قد نشلته في المحطّة (ممّن؟). وما إن أتيقّن من ذلك، حتى أطلق صيحة فرح: «آه يا فيرا، كنت أعرف... (ومعناه: أنّكِ ستفعلين كلّ ما يجب). كم أحبّك». ثم أتناول منها المسدّس ويبدأ العدو من جديد. نقترب من مجموعة رجال يعملون. يتراءى لي أنّني أتردّد قليلاً، كما لو أنّي أريد الانتظار بعد، العيش بعد. لكن لقد تجاوزني الآخرون قليلاً، وأنا أجد مشقّة في تصويب المسدّس الطويل جدًّا نحو صدري. أطلق النار بسرعةٍ، متذكّرًا أنّني لم أودّع (أ.) أو أحدًا. انفجار فظيع في رأسي. وأسمع جملةً هي نوع من الاعتراض على لسان أحد الرجال الذين يعملون (المسؤول على ما أعتقد). وقد نسيتُها لحظة انتهاء هذا الحلم.

*

رواية. عن عالم المشرّدين. صحافيّ ـ من أفريقيا إلى الكون بأكمله.

*

مسرحيّة عن الحبّ.

*

أخلاقيّتكم ليست أخلاقيّتي. ضميركم ليس ضميري.

*

(ف.) «قد نجد اليوم علاجًا ضدّ الموت، لكنّي لن أتقبّله أبدًا. فلا معنى لألمي (وفاة والده ووالدته) وسعادتي (حبّي)، إلاّ إذا كنتُ أنا أيضًا مجبرًا على الذهاب إلى هناك».

*

إمِرسون. «قد يحدث أن يفرّ مَن يدعم تلك العقيدة (القائلة بأنّ للإنسان روحًا) من أمام اليوميّات التي يدوّنها شخصٌ غامضٌ لعوبٌ لا يعرف ما يكتب ويبلّ ريشتَه في الوحل وفي الظلّ».

*

كما سبق. «ما الذي يتبقّى بالنسبة للبعض باستثناء الصمود واكتساب صوت الإنسان ولغته عبر تفادي الغضب والكذب».

*

كما سبق. «لا يصبح الإنسان عظيمًا بالتورّع والتردّد. وإنّما تحلّ العَظَمَةُ كيومٍ جميل بحسب رغبة الإله».

*

رواية. أثناء الاحتلال، قطار سان إتيان ــ دونيير في يومٍ شتويّ. القطار مكتظّ بالركّاب بعد حجز مقصورتين للجيش الألماني. قبل الوصول إلى محطّة فيرميني بوقتٍ قليل، يتنبّه جنديّ ألمانيّ إلى أنّ حربة بندقيّته قد سُرقت أثناء توجّهه إلى الحمّام. صرخات غيظ وغضب. في الممرّ أثناء انطلاقة القطار مجدّدًا، يُقبضُ على عاملين كانا يتهيّآن للنزول عائدين إلى منزليهما بعد أن انتهى نهارهما، فيعترضان بفتور وببراءة مؤكّدة. ينزلهما الجنود في المحطّة التالية ويُرَيان وهما يبتعدان في الضباب الثلجيّ، مستسلمَين للأسوأ.

ينزل الشاهد أيضًا، شقيًّا. لا يمكنه اللحاق بهما ولا يعرف كيف يخلّصهما. يمضي الليلة في قاعة الانتظار وهو يفكّر فيهما. لا شيء يفعله سوى الاستمرار والحرص على عدم حصول ذلك مجدّدًا. إنّما من هنا وحتى ذلك الحين، سوف يتعرّضان للضرب وقد يموتان.

*

تورو. «طالما بقي الإنسان هو نفسه فإنّ الأشياء كلّها تسير وفقه، الحكوماتُ، المجتمعُ، الشمسُ وحتى القمرُ والنجوم».

كما سبق. إمِرسون. «إطاعة الإنسان لنبوغه، ذلك هو الإيمان بامتياز».

*

نيتشه متوجّهًا إلى شقيقته بشأن قضيّة لو[١]:«كلاّ، لست مصنوعًا للعداوة والكراهيّة... فأنا إلى الحين، ما كرهت قطّ أحدًا. الآن فقط أشعرني مُهانًا».

بالنسبة إليه، ضرورة مَن هم «ضدّ الإسكندر»، ومَن «سيعقدون مجدّدًا العقدة المستعصية للحضارة الإغريقيّة بعد أن تمّ قطعها».

*

قلتُ ما قلته من أجل خير الجميع وخير ذاك الجزء فيّ المنحاز إلى الأيّام كلّها. إلاّ أنّ جزءًا آخر فيّ يعرف سرًّا غير مقدّر للكشف ــ وينبغي الموت معه.

*

«إنسانٌ دهاليزيّ لا يبحث قطّ عن الحقيقة، وإنّما عن آريان فقط وأبدًا».

*

---

(١) لو أندرياس ــ سالومي. رسالة وجّهها نيتشه عام ١٨٨٣ بعد أن تصالح مع شقيقته. في نهاية نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٨٨، كتب إلى مالفيدا فون مايسينبوغ: «ترى شقيقتي «لو» كحيوان زاجف سامّ ينبغي القضاء عليه بأيّ ثمن، وهي تتضرّف من هذا المنطلق».

في عيادة يينا، يحكي نيتشه مع أوفربيك بوعيٍ ووضوح وخلال لحظات طويلة، عن كلّ شيء ـــ *إلّا عن مؤلّفاته*.

*

النبوغ صحّة، أسلوبٌ متفوّقٌ، مزاجٌ طيّب ـــ وإنّما في قمّة التمزّق.

*

الإبداع. كلّما أعطى، أخذ ـــ الجود بالذات من أجل الثراء.

*

الخالد الأوحد هو من تكون الأشياءُ كلّها خالدةً بالنسبة إليه (إ.)[1].

*

بحسب إمرسون، ليس الأميركيّون ميكانيكيّين بارعين إلاّ لأنّهم يخشون التعب والعناء: كسلاً.

*

سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا، يحتاج كلّ كاتبٍ إلى قول أو كتابة أنّ النابغة يُنتقَد دومًا من قِبل معاصريه. بالطبع هذا ليس

---

(1) إمرسون.

صحيحًا، وهو لا يصحّ إلاّ في بعض الأحيان وصدفةً غالبًا. إلاّ أنّ تلك الحاجة لدى الكاتب كاشفة.

*

إمرسون ١٨٤٨. «كيف فعلنا إذًا لكي تخدم الآلةُ الجميعَ، باستثناء العامل وحده. وقد أصابه ذلك بجرح قاتل».

*

كما سبق. «من حقّ كلّ إنسان أن يُحاكَم وأن يُنعت تبعًا لأفضل تأثيراته».

*

كان الأقدمون والكلاسيكيّون يؤنّثون الطبيعة، فكان يتمّ ولوجها. أمّا رسّامونا فقد ذكّروها (من مذكّر)، فدخلت في أعيننا حتى مزّقتها.

*

«لا علم نفس في الفنّ». «لأنّ ذلك ينقصك». «ربّما، لكنّه قانون الإبداع: التصرّف بما نملك. ومن ثم، عليك الحكم على ما فعلتُ وليس على ما أملك».

*

لكي تبقى إنسانًا في عالم اليوم، لا تحتاج فقط طاقةً لا توهمِ وتوتّرًا لا ينقطع، وإنّما أيضًا قليلاً من الحظّ.

*

رواية. «لم يعد الحبّ واردًا فيما بيننا، وليس من الآن، فهو لم يكن واردًا أبدًا. لقد ناديتُ حبّكِ من عمق أعماقي طوال سنواتٍ ــ ثم لم أعد أنادي إلاّ *انتباهَكِ*. ولم أحصل لا على هذا ولا على ذاك».

*

مسرحيّة. (د.) متعالٍ، مزدرٍ، يائس، جازم.

*

يتوقّف (ج.) عن كتابة روايته بسبب خناقة مع زوجته. يذهب إلى باريس لمتابعة عمله لكنّه يفشل. في الحقيقة، هو لا يريد استرجاع حبل أفكاره لكي يحتفظ بذريعة تمكّنه من حفظ استيائه كاملاً مكتملاً.

*

كان يعدمهم بيده، وكان يقول: «يجب أن يدفع الإنسان من شخصه».

*

إنّني مدينٌ بأكبر جميلٍ في حياتي حيال بضعة أناسٍ أتاحوا لي الشعور بالإعجاب.

*

لقد وفّرت لنا الحرّيّة الجنسيّة على الأقلّ ما يلي: أنّ العفّة وتفوّق الإرادة باتا الآن ممكنَين. التجارب كلّها، النساء المتحفّظات أو المتحرّرات، الملتهبات أو الحالمات، ونحن أنفسنا أكنّا منفلتين أو حذرين، ظافرين أو عاجزين عن الرغبة، لقد تمّت الجولة ولم يعد هناك أيّ غموض أو أيّ كبت. حرّيّة الفكر كاملةٌ تقريبًا، والتحكّم ممكنٌ دومًا تقريبًا.

*

مشروع. معجم متواصل (خاصّ بالحوليّات). كتابة *نزوات*، (على طريقة غويا).

*

في أعماقي، الوِحدة الإسبانيّة. الإنسان لا يخرج منها إلاّ «*لثوانٍ*»، ثم يعود مجدّدًا إلى جزيرته. فيما بعد (انطلاقًا من العام ١٩٣٩)، حاولت الالتحاق وأعدت كلّ مراحل تلك الفترة، وإنّما بمشية عسكريّة، على أجنحة الهتاف والصخب، وتحت سياط الحروب والثورات. اليوم، وصلت إلى النهاية ــ ووحدتي تعجّ بالأطياف وبالأعمال التي لا تخصّ سواي.

*

إيغاب. رجلٌ في مقدّمة المعبر. المدينة، موكب المصلّين. ينهار الإنسان والحجر. يتلقّى الزائر الحجر، إلاّ أنّه يتجاوز الكنيسة متوجّهًا إلى النهر. يحمّل الحجر في مركبٍ طويلٍ، ثم يصعد النهر نحو الغابة العذراء حيث يختفي[١].

*

سوف يجادلونني حتى على موتي. ومع ذلك، فإنّ أعمق ما أتمنّاه اليوم هو موتٌ صامتٌ يترك من أحبّهم في سلام.

*

ذات مساء، فيما كنت أقلّب، شاردًا، كتابًا محبّبًا إليّ، قرأت من دون التفوّه بكلمة: «كما لدى العديد من الأرواح المولهة، كانت قد حلّت اللحظة حيث فقد إيمانه بالحياة». ثم، بعد ثانية، كان صدى الجملة يتردّد في داخلي من جديد، فأجهشت بالبكاء.

*

لقد احتقر جزءٌ فيّ ذلك العصر بإفراط. ففي أسوأ زلاّتي حتّى، ما استطعت قطّ فقدان ميلي إلى العزّة وقد نقصتني الشجاعة غالبًا أمام شدّة الانحطاط التي بلغها القرن. بيد أنّ جزءًا آخر أراد تحمّل مسؤوليّة الانحطاط والكِفاح المشترك...

*

---

(١) ملاحظة خاصّة بـ *الحجر الذي ينمو*، في *المنفى والمملكة*.

كوميديا عن الصحافة.

ــ إظهار الفوارق! إذا ما وجدت بعد في قاموسك تعبيرًا كهذا، سوف أطردك.

(مخاطبًا الناقد المسرحيّ) لا يملك هذا الكاتب أصدقاء هنا. فاحرص بالتالي على أن تقول إنّها قضيّة أفكار. ففي فرنسا اليوم، يكفي الاشتباه بذكاء إنسانٍ حتى تقضي عليه. إنّما عليك في كلّ المناسبات أن تكتب أنّنا الشعب الأكثر ذكاءً على وجه الأرض. فالجمهور ما عاد يتقبّل الذكاء إلاّ داخل جُملٍ بلهاء.

النهاية. سوف يكتب غدًا المقالة التي ستكشف كلّ شيء.

لا ذاكرة لدى الجمهور ــ نحن ذاكرته.

مشهد مع قارئ.

تعليقات الصُحف: من يضع المسيحَ بهرجةً في الصفحة الأولى من صحيفة المُتخمين. التقدّميّ صديق المعسكرات، إلخ.

الفصل الثالث في بيته. زاهد.

مخاطبًا سكرتير التحرير صاحب المثاليّات.

ــ صحيفتك لا تُرى.

ــ إنّها تُقرأ.

ــ الصحف مصنوعة لكي تُقرأ، وإنّما عن بُعد. ينبغي أن تتمكّن من قراءتها في يد جارك، في حافلة المترو.

ــ من يقرأها في يد جاره لا يشترِها.

ــ كلاّ، لكنّه يحكي عنها.

*

٢٨ فبراير/شباط ١٩٥٢. اكتشاف برازيل فيلّلا ــ لوبوس [مؤلّف موسيقي وقائد أوركسترا] ــ معه تعود العَظَمة عبر الموسيقى. تحفةٌ فنيّة ــ لا أجد إلاّ دو فالاّ بمثل عظَمته.

*

لو كان عليّ أن أموت هذا المساء، لفعلت بإحساس فظيع كنت أجهله وهو، رغم ذلك، يؤلمني هذا المساء. الشعور بأنّني أعنت وأعين أشخاصًا كثرًا ــ وألاّ أحد مع ذلك لمساعدتي... لست فخورًا بذاتي.

*

ميديا ــ تقديم مجموعة المسرح القديم. لا أستطيع سماع تلك اللغة من غير أن أبكي، كمَن يعود أخيرًا إلى موطنه. فتلك الكلمات هي كلماتي، والمشاعر مشاعري، والإيمان إيماني.

«أيّ شقاءٍ هو شقاء إنسانٍ لا مدينة له». «أرجوك، لا تجعلني من دون مدينة»، يقول الكورس. أنا، لا مدينة لي.

*

نيميزيس: ليست ثمالة الروح والجسد مسًّا، وإنّما رغدٌ وخدرٌ. فالمسّ الحقيقيّ يشتعل في ذروة حالة لامتناهية من الصفاء الذهنيّ.

*

لا تكون الصحافة حقيقيّة لأنّها ثوريّة. وهي لا تكون ثوريّة إلاّ لأنّها حقيقيّة.

*

أيبسن (إمبراطور ومن أتباع غاليليه)[1]. بعد جبل الأوليمب ودرب الآلام، الإمبراطوريّة الثالثة.

*

سجال ضدّ (ر. م.)[2]. إنّها الانتفاضة الكبرى لجماهير الظلاميّين. أقرأ في معجم «ليتريه» «ظلاميّ» [في النصّ «تينيبريون» (ténébrion)]: ١) صديق الظُلمات الفكريّة. ٢) نوعٌ

---

(١) *إمبراطور ومن أتباع غاليليه*، مسرحيّة من تأليف أيبسن، تطرح السؤال: كيف يمكن الجمع بين الإرادة والأخلاق من جهة، والحبّ والحرّيّة من جهة أخرى.

(٢) (ر. م.): *الرجل المتمرّد*.

من الحشرات التي يعيش صنفٌ منها كيرقانة، في الدقيق. ويُقال أيضًا صرصور. شيء طريف.

*

لشعرائنا الملعونين شريعتان: اللعنة والدسيسة.

*

إنّ حبّ الإله لنا هو، على ما يبدو، الحبّ الوحيد الذي احتملناه، كوننا نودّ دومًا أن نُحَبَّ غصبًا عنّا.

*

مراجعة رومان رولّان. حياة تولستوي. ص ٦٩. «الحياة» في الرواية.

كما سبق. «يصعب أن تحبّ امرأةً وألاّ تفعل خيرًا».

*

الباخوسيّات[١]. كان على بانتوس أن يقول: «لا أريد تطرّفك أنت. وإنّما أودّ الموت من تطرّفي أنا».

*

---

(١) مشروعٍ مسرحيّة عنوانها وارد لاحقًا *الباخوسيّة*. مجدّدًا يلتحق كامو بنيتشه الذي علّق على مسرحيّة يوريبيدس *الباخوسيّات*، في *ولادة التراجيديا*.

إنّهم التمرّد والعزّة، والجدار العنيد المنتصب في وجه العبوديّة الصاعدة. وهم لن يتنازلوا عن هذا الدور لأحد. ومَن يدّعِ التمرّد بشكلٍ آخر، سوف يُلقى عليه الحِرم.

ما الأمر إذًا؟ واحدهم ينتظر رؤية الصحيفة الأكثر نزاهةً التي عرفتها تلك الأيّام، والتي أُسّست بفضل تضحية مئات الأشخاص وكدّهم، أقول ينتظر أن تنتقل تلك الصحيفة إلى أيدي متمولٍ دجّال لكي يعرض خدماته عليه ما إن يغادر الرجال الأحرار[١]. وآخر يكتب إليّ في لحظة دعمه وتصفيقه لصديقه القديم ضدّي أنا، بأنّه لا ينبغي تصديق ما يقوله ذلك الشاعر القديم، ثم يكتب إليّ من جديد، مذعورًا فجأةً، ليرجوني ألاّ أفضح أمر رسالته وخيانته الصغيرة أمام الآخرين. وثالثٌ يأتي ليطلب منّي خدمةً ينالها وبعد أن يرجع إلى بيته، يكتب مقالةً يشتمني فيها ثم يراسلني بشأنها لكي يخفّف من وقعها. ورابعٌ يخشى أن يُدان لأنّه مثّل طويلاً دارَ نشرٍ استغلّت ثقتي، فيطلب أن يشرح لي الأمر وجهًا لوجه، فيتلقّى منّي رسالةً ترفض، بكلّ كرم أخلاق، الخلطَ بينه وبين ربّ عمله، فيكتب، دون إضاعة ثانية، بحثًا يعبّر فيه عن حزنه، إذ ينبغي للأخلاقيّين من أمثالي أن ينتهوا شرطيّين ذات يومٍ.

هؤلاء هم أبطالنا، الملعونون المختبئون تحت خيمة اللعنة المريحة، لا يخرجون من تحتها إلاّ من أجل المخادعة والدسيسة.

---

(١) إشارة إلى صحيفة *كومبا*.

وهؤلاء هم من سيؤمّنون حرّيّتنا ومن يعلنون أنّهم سوف يتمسّكون، بقوّة، بالراية في العاصفة الآتية. هيّا، الصفعة الأولى لشرطيّ صغير وسوف يركعون[1]!

*

مقطع من رسالة عن (ر. م.)[2].

نحن قلّةٌ قليلة جدًّا. لكنّ الحقيقة أهمّ من الفعاليّة. وينبغي تحديد هذه قبل الانشغال بتلك. فما نفع أن نكون ملايين إذا كانت الوصيّة الأولى لـــ «كنيستنا»: سوف تكذب؟ هذا لا يعني البتّة أنّ الفعاليّة ليست ذات معنًى. إنّما هي تمتلك معنًى ثانيًا. فليس بقاء الحقيقة مشكلةً أقلّ أهميّةً من الحقيقة نفسها. إنّما هي مشكلة تأتي *فيما* بعد. هذا كلّ ما في الأمر. أيضًا، ينبغي التمكّن من حلّها... بدأ المسيحيّون بأن كانوا اثني عشر. والماركسيّون اثنين.

*

رسالة إلى أ. ماكّيه.

يُخيّل إليّ أنّني أتقدّم كفنّان وكإنسان بالإيقاع نفسه. وليس هذا عن سابق تصميم. إنّها بكلّ تواضعٍ تقتي برسالتي... ولن تُغفل كتبي القادمة مشكلة الساعة، إلاّ أنّني أودّ أن تُخضعها بدلاً من

---

[1] *الرجل المتمرّد.*
[2] *الرجل المتمرّد.*

الخضوع لها. بمعنًى آخر، أحلم بإبداعٍ أكثر حرّيّةً مع المضمون نفسه... إذ إنّي سأدرك حينها إن كنت فنّانًا حقيقيًّا.

*

بحسب ملفيل، تسبح أسماك *الروموراس*، وهي من البحار الجنوبيّة، بشكلٍ سيّئ. لذا، فإنّ فرصتها الوحيدة للتقدّم هي في تشبّثها بظهر سمكةٍ كبيرةٍ. حينها، تراها تغرز نوعًا من الأنبوب يبلغ معدة القرش فتمتصّ غذاءها وتتكاثر من دون أن تفعل شيئًا، وتحيا ممّا تصيده الأسماك الضارية ومن جهودها. تلك هي السلوكيّات الباريسيّة.

*

يعرف جنسٌ معيّنٌ من البشر مع من يمكنه التعامل بارتياح. أوّلاً، مع من يمارس ما استطاع كرم الأخلاق والولاء ـــ ومع من تمنعه الحِشمة من أن يستخدم كلّ امتيازاته.

*

الباخوسيّة. اثنان ديونيزوس: ١) إله الأرض. إلهٌ أسود، إله ذكوريّ. إياخوس، صرخةٌ مشخّصة[١].

---

(١) ديونيزوس وإياخوس: اسمان لإله واحد. إياخوس هو أيضًا صرخة الفرح العنيفة التي تطلقها الباخوسيّات.

٢) الآسيويّ المنحلّ: خمرٌ وشهوة، ثرثرة. ذاك الذي يرفضه بانتوس.

في إلوزيس، لم يكن يتمّ تعليم القتلة (لم يجرؤ نيرون) أو أولئك «الذين ليس صوتهم عادلاً».

اليوم الثاني من الألغاز: «إلى البحر، أيّها المتبارون[١] على حلّ الألغاز».

للعبور إلى الجحيم، على ديونيزوس أن يجذّف بنفسه.

ثلاثة آلهة في إلوزيس. إياخوس، ديميتير (الوالدة)، تريبتولام[٢].

المعنى: الموت ليس موجعًا. الحياة الدنيويّة هي الموت، والموت تحرّرٌ.

قولٌ في إنجيل لوقا: اترك الموتى يدفنون موتاهم واذهب أنت لتعلن ملكوت الربّ.

---

(١) في ١٦ من شهر بويبدروميون [بويبدروميون هو الشهر الثالث في الرزنامة الإغريقيّة القديمة المعتمدة في منطقة أثينا]، عندما كانت تدوّي الصرخة: إلى البحر أيّها المتبارون (الخبراء!)، كان الكلّ يركض إلى مرسى فالير لكي يستحمّ ويتطهّر في المياه.

(٢) إياخوس هو ابن ديميتير وأخيها زوس. تريبتولين، راعي البقر الذي كان قد ساعد ديميتير أثناء بحثها عن ابنتها كوريه التي اختطفها هاديس، أُرسِل من قِبل الإلهة إلى العالم لكي يعلّم البشر الزراعة.

يُعيد ديونيزوس الأول جمع أعضاء بانتوس[1]: «ها هو إلهك فافرح، لكنّ الوحيد الجدير بعبادتي هو ذاك الذي أثبت أنّه لن يستسلم أبدًا لفساد الروح والجسد، وللإله الكاذب الذي أجعله يسبقني دومًا. الحكمة مشرّعةٌ أمامك الآن.

ـ آه، إنّي أتحرّق لمعرفتها.

ـ ها هي: لقد اكتسبت الآن حقّ الجنون... ».

بانتوس والباخوسيّة يصرخان دونما توقّف أثناء إنزال الستار.

أو أيضًا... «ولكن انتظر أن يناموا جميعًا. أصغِ. كلّ شيء يصمت. الآن، بات الجنون من حقّك. من حقّك أنت وحدك. في الوحدة. وألاّ يقتل سواك!».

دخول ديونيزوس II، يتبعه ديونيزوس I المتنكّر على شكل هاوٍ مشكّك (سيلان؟) «الانتشاء».

البداية: يتراكض العجائز نحو الباخوسيّة.

فيلسوف (هل يقتل؟ كيف يقتل؟ هل نقتل بشكلٍ جيّد؟ إلخ. هو الذي يقتل بتلك الجودة، وأنا الذي أحلّل بقوّة كبيرة... سوف نحقّق معجزات. سوف أعيره تحليلي وهو سيقتل من أجلي).

شاعر.

---

(1) لقد قُطّع بانتوس إربًا على يد الباخوسيّات بأمر من والدته أغافيه.

كاهن: أيّها الكاهن ما الذي ستفعله مع هؤلاء؟

تاجر.

عدميّون.

الباخوسيّة: تودّ الذهاب إلى هناك. يعترض بانتوس. «ينبغي الحفاظ على المدينة. لا ينبغي التضحية بها من أجل الحبّ». «لا ينبغي لها التضحية بالحبّ».

ديونيزوس I وبانتوس: مَن أنت لتتباهى بكلّ تلك الفضيلة ــ لا فضيلة لديّ. ــ ألم تشتهِ امرأة؟ بلى. ــ ألم تأخذهنّ؟ ــ بلى. ــ ألستَ عنيفًا؟ (يضربه).

بانتيه وقد تمّ فسخه. يحتفل ديونيزوس II والباخوسيّة بالأُضحية.

يحضر ديونيزوس I فيسكتون.

II ــ من يمكنه إسكات صرخات الجنون!

I ــ من يعرف الجنون ويبقيه خاضعًا.

كما سبق. رجلٌ مثلي أنا، عبدٌ، لو كانت لديك فقط فكرةٌ عمّا يحتويه. لديّ ما يكفي من الغضب للطم الآلهة على وجهها، وما يكفي من الرغبة... لإرغام امرأة أفضل صديق لي... إلاّ أنّني أشمئزّ من تلك الكلاب التي تتراكض الواحد خلف الآخر وحيث

يطالب كلٌّ منها رغبةَ الآخر بأن تنوب عن رغبته هو. أنا الفاضل! (يفقع بالضحك) أحبّ في الحقيقة أن أكون فاضلاً، إلاّ أنّ دمي مشتعلٌ، وذكائي المتمتّع بكلّ قِواه قادرٌ على اجتراح كلّ شيء.

*

في الأربعين، نقبل بفناء جزءٍ من ذواتنا. فلتجعلِ السماءُ على الأقلّ كلّ ذلك الحبّ غير المستخدَم يُصلح من حال العمل الذي لم أعد قادرًا عليه في هذه اللحظة[1] وليجعله متوهّجًا.

*

... كلّهم وكلّهنّ عليّ من أجل تدميري، مطالبين بحصتّهم دونما كللٍ ومن دون مدّ يد العون إليّ أبدًا، أبدًا، من دون المجيء لنجدتي، لحبّي أخيرًا لما أنا عليه أو لبقاء ما أنا عليه. فهم يعتبرون ألاّ حدود لطاقتي، وأنّ عليّ توزيعها عليهم وإعالتهم. لكنّي وضعت قوايَ كلّها في الشغف المضني للإبداع، وها إنّي، بالنسبة لما تبقّى، الأقلّ حيلةً والأكثر عَوزًا من بين كلّ الكائنات.

*

رواية. «لم يعد يقوى على حبّها. فالوحيدة التي كانت حيّةً فيه هي قدرتُه على المعاناة منها ومن كلّ ما في الحبّ من حرمانٍ أو

---

(١) في ٧ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٠، أصبح عمر كامو ٤٠ عامًا.

نقص. ما عاد بمستطاعها أن تمنحه غير العذاب. أمّا الفرح، فكان ميتًا».

كما سبق. «كان يمكن الاعتقاد بأنّها كانت العصيان بكيانها كلّه، وكان صحيحًا أنّ ذلك الكائن المكلّل باللهيب كان يحترق كما التمرّد نفسه. غير أنّها كانت القبول على وجه الخصوص. "أتقبّل الموت اليوم (في الثلاثين)، لأنّني نلت ما يكفي من الأفراح. وإذا كان ينبغي لي أن أعيش مجدّدًا، فأنا أريد الحياة نفسها بالرّغم من أتراحي القصوى"».

*

لا أصدّق الذين يقولون إنّهم يرتمون على المتعة يأسًا. فاليأس الحقيقيّ لا يفضي أبدًا إلاّ إلى الألم أو الجمود.

*

ياه! حسنًا، ها أنتِ عاهرةٌ كالأخريات!

*

من لا يعطِ شيئًا لا يحصل على شيء. ليس الشقاء الأكبر ألاّ نكون محبوبين، وإنّما ألاّ نحبّ.

*

منقسمٌ بين كائنٍ يرفض الموت كلّيًّا، وكائنٍ يتقبّله كلّيًّا.

*

الكثير من الكريّات البيضاء وما لا يكفي من الكريّات الحمراء والواحدة تأكل الأخرى، فرنسا مُصابة بسرطان الدم. إنّها عاجزة عن خوض حرب أو إنتاج ثورة. إصلاحات، أجل. إنّما التعهّد لها بشيءٍ آخر هو من ضروب الكذب. ينبغي، قبل كلّ شيء، تجديد دمها.

*

الأسلوب. الحذر من الصيَغ والتراكيب. فهي في بعض الأحيان كالرعد: يدوّي لكنّه لا ينير.

*

بوغاري ـ الجلفة[1] ـ العِرق [مدى من الكثبان الرمليّة] الصغير. الفقر الأقصى والجافّ ـ وها هو يصيرِ ملكيًّا. خيام البدو الرحّل السوداء. فوق الأرض الجافّة والقاسية ـ وأنا ـ الذي لا يملك شيئًا ولا يمكنه قطّ أن يملك شيئًا، شبيه بهم.

منطقة الأغواط، وأمام الهضبة الصخريّة المكسوّة بأوراق الصوّان المثنيّة ـ المدى الشاسع ـ الليل الذي يأتي كموجةٍ سوداء من أعماق الأفق، في حين يحمرّ الغرب، يَزهرّ، يَخضرّ.

---

(1) في ديسمبر/كانون الأول ١٩٥٢، زار ألبير كامو أراضي الجنوب الجزائري، وحيداً بسيّارته. الفقر «الملكيّ» هو فكرة نجدها في *المنفى والمملكة*. وقد ألهمت منطقة *الأغواط* ديكور *المرأة الزانية*. هذا وتتعلّق كل الملاحظات التالية تقريبًا بالإعداد للمجموعة القصصيّة *المنفى والمملكة*.

كلاب الليل التي لا تكلّ.

في الواحة، جدران الوحل التي تتوهّج من فوقها فاكهةُ الذهب. الصمت والوحدة. ومن ثم، ندلف إلى ساحةٍ. سُحُبٌ من الأطفال الفرحين الذين يدورون على أنفسهم كدراويش صغار، وهم يضحكون ملء أفواههم.

ربّما حان إذًا وقتُ الحديث عن الصحراء حيث وجدت الهرب ذاته ـــ في عمق الأفق... أتوقّع أيضًا رؤية حيواناتٍ خرافيّةٍ تنبثق منه وأن أجد فيه، ببساطةٍ أكبر، صمتًا لا يقلّ روعةً وذلك الافتتان...

*

السيّدة (ف. ر.) عن مالرو المسافر إلى اليابان: «لا يذهب إليها إلاّ لكي يعود منها». بيد أنّنا جميعًا هكذا قليلاً.

*

سذاجة مثقّف العام ١٩٥٠ الذي يعتقد أنّ عليه أن يتصلّب لكي يكبّر نفسه.

*

موعد الدخول في فصل الصيف. قصّة قصيرة تدور في أطول يومٍ في السنة.

*

الزهور فوق الجدران المرتفعة في حيّ الفيلاّت في مدينة الجزائر. عالمٌ آخر كنت أشعر أنّي منفيٌّ منه.

*

وفاة الناطور. زوجته مريضة وممدّدة في سريرٍ كبير. الميّت ممدّدٌ إلى جانبها في الغرفة الوحيدة، على سريرٍ صغيرٍ قابلٍ للطيّ، وتمكن رؤيته مرّتين في اليوم عند المرور لأخذ البريد.

تقول «وداعًا يا حبيبي، يا قرّة عيني. كم هو طويلٌ! كان طويل القامة...». مرّرنا تابوت «الحقل» وقوفًا. وحدهم الجيران التزموا الحِداد. «تصوّر، كنت أتناول معه شراب النعناع منذ ثلاثة أيّام فقط». «وكنت بالضبط أريده أن يغيّر أنابيب الغاز».

نحن أربعة أشخاص في المقبرة. يقدّم عامل مجارير إلى كلٍّ منّا زهرة قرنفل سنرميها بعد قليلٍ على اللامبالي الجميل.

*

في معتقل بوشينوالد، يطلب فرنسيٌّ عند وصوله التحدّث على حدة إلى الموظّف الذي يستقبله، وهو سجين بدوره: «ذلك أنّ وضعي استثنائيّ، فأنا بريءٌ».

*

قصّة قصيرة في يومِ قيظٍ شديد *في باريس*.

*

رواية ــ مرحّل مُعتقَل. يتمّ أيضًا ترحيل المرأة والأولاد واعتقالهم، فيموتون من جرّاء ذلك. عند عودته، يكرّس الرجل الرائع الذكاء واللطف نفسه للبحث عن قاتله... يرميه في غرفة. يقول له: لقد تعلّمت هذا هناك ــ لا نقتل في المكان حيث نُذِلّ ونهين. فذلك أكثر نظافة. إليك الهاتف. اتّصل. لديك الوقت.

*

مسرحيّة حول العودة والحقيقة.

المشهد I ــ الزوجة والصديقة تنتظرانه. المشهد II ــ يعود، ويكشف لزوجته أمام صديقته أنّ هذي الأخيرة كانت عشيقته.

*

قصّة قصيرة البرازيل(١). طير بغاث ينتفض، يفتح منقاره ويتّخذ بشكلٍ جليّ وضعيّات ما قبل التحليق، يصفق جسده بجناحَيه المغبرّين مرّتين، يعلو نحو سنتيمترين فوق حرف السقف، ثم يهوي ليرقد فورًا تقريبًا.

*

كانت النجوم تتساقط واحدةً واحدةً في البحر، وكانت السماء تجفّ من أنوارها الأخيرة.

*

---

(١) ملاحظات لكتاب *الحجر الذي ينمو*.

في النهاية، يضع الحجرَ في الخانة الأكثر بؤسًا. يتحاشر أهالي البلاد دون أن ينبسوا بحرفٍ لكي يفسحوا له مكانًا. ولا يعود يُسمَع في الصمت إلاّ صوت النهر. ــ هنا، نحن الأخيرون في المكان الأخير ضمن الأخيرين.

*

ــ أوروبا... الكلاب.

ــ أنا أيضًا، كلبٌ، لقد تشمّمت وزنيت.

ــ لا يوجد فرق.

ــ فرقٌ صغير.

ــ إنّي أشعر بالعار.

ــ آه! أنتَ ثريّ!

ــ لا، ليس كثيرًا. إنّما لطالما عشتُ كثريّ، حتى فقيرًا جدًّا.

ــ وأنتَ تشعر بالعار من ذلك.

ــ من ذلك. ومن كوني قد كذبت، تشمّمت وزنيت.

ــ حسنًا. ليس هناك ما يمكن فعله.

ــ كلاّ.

كما سبق. ـ إنّما لا يمكننا الامتناع. لا يمكننا الامتناع. ثم تأتي لحظةٌ حيث لا نعود نستطيع.

*

قصّة قصيرة المرتفعات العالية[1]. يصل الرجل ويشرح بنفسه جريمته.

«إليكم القصّة. تلك هي طريق الجلفة. سوف تقع على سيّارة. سوف توقفها. في الجلفة، تجد القطار ومخفرًا للدرك. على العكس، تجتاز هذه الطريق المرتفعات العالية. من هنا وعلى مسافة سير يومٍ على الأقدام، سوف تجد المراعي الأولى والبدو الرحّل. سوف يستقبلونك. هم فقراء وبؤساء لكنّهم يهبون الضيف كلّ شيء.

الرجل الذي كان يصمت منذ البارحة، يقول فقط: ـ هل هم ملوك!

ـ أجل، يُجيب بيار. إنّهم ملوك».

*

قصّة قصيرة الخرسان.

يرجع العمّال إلى المصنع (مصنع براميل) بعد فشل الإضراب. يصمتون. يوم عمل في المصنع.

---

(١) *الضيف*.

إصابة ربّ العمل بشللٍ نصفيّ ما بعد الظهيرة. يبلّغ رئيس العمّال الخبر لعاملٍ. لا يتلفّظ هذا الأخير بحرف. بعد انتهاء دوام العمل بقليل يبكي، ويداه فوق الطاولة. «حتى هذا، حتى هذا».

*

قصّة قصيرة كاملة في سباقٍ عنيفٍ وحيد.

في المحيط الهادئ. خرساء صغيرة. لم تعرف كيف تقول له بأنّها حامل. يجري وهو يحملها بين ذراعَيه. تموت.

*

قصص قصيرة تحت عنوان: أخبارٌ من المنفى[1].

١) الأغواط. المرأة الزانية.
٢) إيغاب ــ الدفء الإنسانيّ، صداقة الديك الأسود.
٣) المرتفعات العالية والمحكوم عليه.
٤) الفنّان الذي ينعزل (العنوان: يونان).

ثم لا يعود يرسم. إنّه ينتظر ويداه فوق ركبتيه. الآن، أنا سعيد.

---

(١) خمسٌ من القصص السبع هذه موجودة في كتاب *المنفى والمملكة*: *المرأة الزانية*، *الحجر الذي ينمو* (إيغاب)، *الضيف* (المرتفعات العالية والمحكوم عليه)، *يونان*، *المرتدّ* (روحٌ مرتبكة). لقد تمّ التخلّي عن القصّة حول المثقّف والسجّان، وعن القصّة حول الجنون. واستكملت المجموعة بقصّة *الخرسان*.

٥) المثقّف والسجّان.

٦) روحٌ مضطربة ـ الإرساليّ التقدّمي يذهب لتحضير البرابرة الذين يقطعون أذنيه ولسانه ويحوّلونه عبدًا. ينتظر الإرساليّ الجديد ويقتله بكراهية.

٧) قصّة قصيرة عن الجنون.

*

روحٌ مضطربة[1]. «أيّها الكَذَبة، أيّها الكذبة! أنا أعرفه. كان يضع حواجز لإيقاع العميان، وكان يقول للمتسوّلين: أيّها الفقير القذر. سُمِّر إلى الجدار، أيّها الكاذب، واهتزّت الأرض. إنّه عادلٌ ذاك الذي قُتِل لتوّه». كانت الأخلاق في أمان. ها هو، رأسه في الجدار. عندما سُمّر، كان هناك مسمار خلف رأسه، فدخل فيه كما في رأسي الآن. يا للرأس المهروس! يا للرأس المهروس! وفي النهاية، قطعوا لسانه. بعد ذلك ربّما قال «لماذا تركتني؟ ». لم يكن ممكنًا تركه يستمرّ، كلاّ، لم يكن ممكنًا تركه يجلس إلى المائدة ويبدأ بالاعترافات...

الكراهية، لقد اكتشفت ذلك. الكراهية تجعلني أفكّر بقرصٍ من النعناع يثلج الفم، ويحرق المعدة قليلاً. علينا أن نكون شرّيرين،

---

(١) *المرتدّ*.

يجب أن نكون شرّيرين. أنا عبدٌ، هذا أمرٌ مفروغٌ منه. ولكن، إذا كنت شرّيرًا، فلن أبقى عبدًا. طيبتهم، إنّي أبصق عليها.

... ها هو. في الصحراء، يدوّي الانفجار رحيبًا. لقد سقط، أنفه في الحجارة وجمجمته مهروسة، ولكنّه متقوقعٌ على ذاته. ذراعاه على شكل صليب، صرختُ. ولكن، في اللحظة نفسها، صعدت في السماء الناصعة الزُرقة أسرابٌ من العصافير الرماديّة والسوداء. في البعيد، البعيد جدًّا، كان ابن آوى يتشمّم الهواء متقدّمًا بخطى صغيرة في اتّجاه الميّت.

وفي النهاية، تمّ صلبه. أبانا الذي في...

كيف لنا أن نُسامَح أبدًا إذا ما كذبنا، طالما يجهل الآخر أنّ هناك ما يستدعي السماح. ينبغي إذًا قول الحقيقة، أقلّها لمرّة واحدة، قبل أن نموت ــ أو تقبّل أن نموت من دون أن نحظى بالسماح أبدًا. ومع ذلك، أيّ موتٍ هو أكثر وحدانيّة من موت ذاك الذي يختفي، منغلقًا على أكاذيبه وجرائمه.

*

مناهض لأوروبا. على ساحل المحيط الهادئ في التشيلي. فتاة صغيرة لها خمسة عشر عامًا، تتبعه بعينيها كيفما تحرّك. إنّها وحيدة في ما يشبه كوخًا. يستنطقها. لا تجيب، ولكنّها تنظر إليه. إنّها خرساء. حبّهما الصامت أمام البحر.

*

رواية. «نظرًا لتخلّياتها، لطالما ظننتُ أنّ هناك تواطؤًا في الرغبة فيما بيننا. وقد أحوجني الأمر سنوات عديدة لكي أفهم أنّها، كما معظم النساء، لا تعرف قطّ تواطؤًا آخر إلاّ تواطؤ الحبّ».

*

لقد أحببتُ دائمًا البحر على الشواطئ. ثم انتشرت المحالّ على شواطئ شبابي المُقفرة. اليوم، ما عدت أحبّ إلاّ وسط المحيطات، هناك حيث يبدو وجود الشواطئ بعيد الاحتمال. إنّما ذات يومٍ على شواطئ البرازيل، فهمتُ مجدّدًا أنّه لا يوجد فرحٌ أكبر بالنسبة إليّ من فرح المشي على رمالٍ عذراء، وأنا أتوجّه للقاء نورٍ صاخبٍ ممتلئ بصفير الموجة.

*

رواية. تحت الاحتلال، لاحَظَ إلى أيّة درجةٍ أصبح وطنيًّا، عند رؤيته كلبًا شريدًا يسير بفرحٍ خلف جنديٍّ ألماني.

*

(ج). من الصعب أن نحزر حساسيّته الشديدة خلف لطفه الكبير. يتطلّب الأمر وقتًا طويلاً. وخلال ذاك الوقت كلّه، يُحتمل أن نجرحه.

*

رواية. اختلاف الإيقاعات ما بين الكائنات واختلاف الإيقاعات أيضًا لدى الكائن نفسه. يتكاسل (د.) في عمليّة إغراءٍ بدأها. ثم يتّصل فجأةً، يقطع ألفًا وخمسمائة كلم، يدعوها إلى العشاء، ويضاجعها ليلاً.

*

من الآن فصاعدًا، وحدانيّ بالفعل وإنّما بذنبي أنا.

*

نحن نودّ عيش أحاسيس قبل الشعور بها. نعرف بأنّها موجودة لأنّ معاصرينا والتقاليد يطلعوننا عليها بشكلٍ دائم، وبشكلٍ خاطئ على أيّة حال. إذًا نحن نعيشها بالنيابة. فنستهلكها من غير الشعور بها.

*

رواية. «وبالذات بسبب الأذى الكبير الذي كان يلحقه بها، كان يبحث عن كلّ مناسبةٍ صغيرة تبدو فيها مفتقدةً إلى العناية أو إلى الحبّ، فيشكو ويتظلّم لا لأمله بأن يخفّف من شعوره بالذنب، وإنّما لجرّها إلى وضعٍ مشترك معه ولجعلها تعيش إلى جانبه بعدُ، وإنّما على أرضٍ متصحّرة خالية من الحبّ هذه المرّة».

*

ما أنقذني دومًا من اليأس على أنواعه، هو أنّي لم أتوقّف قطّ عن الإيمان بمّا يمكن أن أسمّيه، لعدم وجود تعبير أفضل، «نجمتي». إلاّ أنّي اليوم ما عدت مؤمنًا بها.

*

ساكس (*من خلف خمسة قضبان*)[1]. «بإمكاننا العيش جيّدًا من دون الكاثوليكيّة: أنا لا أستطيع العيش أبدًا من دون التفكير بالمسيح».

يذكر مونتيسكيو: «إذا كان الناس فاضلين بشكلٍ كامل، فهم لن يكوّنوا أصدقاء أبدًا».

يذكر بلزاك: «يشبه النابغة جميع الناس، لكنّ أحدًا لا يشبهه».

«لا نخون إلاّ من نحبّ».

«نحن نموت الميتة التي نستحقّ».

«نحن لا نعاني أكثر المشاكل مع الناس الذين نخطئ بحقّهم، وإنّما مع شهود القضيّة الذين يضعون أنفسهم في مرتبة قضاة متطوّعين مجّانًا».

*

---

(١) غاليمار، ١٩٥٢.

ليست المأساة في أن نكون وحيدين، وإنّما في استحالة أن نكون وحيدين. قد أهب العالم أحيانًا كلّ شيءٍ لكي لا يربطني بعدُ بعالم البشر أيُّ شيء. لكنّي جزءٌ من هذا العالم، والفعل الأكثر شجاعةً هو أن أتقبّله وأن أتقبّل المأساة في الآن نفسه.

*

كتابة إخراجيّة لمسرحيّة *دون جوان* لموليير.

*

مسرحيّة. رجلٌ *لا يستطيع أن يكره*.

*

يتعلّم البشر العيش تدريجيًّا. أمّا أنا، مَن كانت الحياة طبيعيّة جدًّا بالنسبة إليّ، فقد فقدت تدريجيًّا فنّ العيش وصولاً إلى تلك اللحظة حيث صار كلٌّ من أفعالي وأفكاري يزيد من عذاب أو من ضيق الآخرين أو نفسي، ومن الثِقَل الذي لا يُطاق لهذا العالم الذي كنت قد بدأت أستمتع به بشدّة رغم ذلك.

*

قبائل من كلابٍ مجتمعة في مدنٍ وهي تقضم أفكارًا.

*

فوكلوز. تصبح أنوار المساء رقيقةً وذهبيّةً كمشروبٍ روحيّ، وتأتي لتذيب على مهلٍ تلك البلّورات الموجعة التي تجرح القلب أحيانًا.

*

زوجان. ليس هناك إلاّ التطلّب ليحدّ من التطلّب. هي لم تكن تتطلّب شيئًا، عدا ألاّ تموت، وأنا كنت أهتف باتّجاه الحياة.

*

لأنّه كان يعرج، كان يضع اعتياديًّا قبّعته بشكل مائل.

*

الناقد الروسيّ راسومنيك بشأن مسرحيّة ماياكوفسكي «ميستيريوس بوفّو»: «مستقبلاً، سوف تلتقي الاشتراكيّة التاريخيّة مع المسيحيّة التاريخيّة».

*

يقترح شار شعار: حرِّيّة، لا مساواة، أخوّة.

*

تحسّن تطوّرات الشرط المادّي الطبيعةَ البشريّة بشكلٍ أكثر من ضروريّ وبقدرٍ كبيرٍ جدًّا. لكنّها، وبما يتجاوز ذلك القدر، تسيء إليها مع الثراء. عند الحدّ الفاصل، يقوم توازن الأخلاق الحقيقيّ.

*

قرن السكينة. يمتزج خطر وقوع كارثةٍ، وهو شائع بقدر كبير جدًّا، بالمستقبل المميت لكلّ وضعٍ. لذا، فإنّ التوافق مع قوانين العصر، اليوم، ليس سوى التوافق مع الموت واحترام قوانينه. فقرن الأخطار القصوى هذا هو أيضًا قرن السكينة الكبرى.

*

الأزمنة الحديثة[١]. إنّهم يتقبّلون الخطيئة ويرفضون الصفح. التعطّش إلى الاستشهاد.

*

الجحيم، إنّه الجنّة زائد الموت.

*

الجحيم إنّه هنا، في العيش. وحدهم أولئك الذين ينتزعون أنفسهم من الحياة يفلتون منه.

*

مَن الذي سيشهد لنا؟ أعمالنا. للأسف! مَن إذًا؟ لا أحد، لا أحد فيما عدا مَنْ شاهدنا من بين أصدقائنا في لحظة العطاء تلك، حيث ينذر القلبُ نفسَه كاملاً لآخر. أولئك الذين يحبّوننا إذًا. إنّما الحبّ صمتٌ: يموت كلّ إنسانٍ مجهولاً.

*

---

(١) هي مجلّة جان بول سارتر.

سبتمبر/أيلول ١٩٥٢. سجالٌ مع (أ. ح)[1]. هجوم من مجلاّت *آرت*، *ريفارول*، *كارّفور*. باريس غابٌ وما فيها من الحيوانات الضارية رثّة.

*

وصوليّو الروح الثوريّة، أثرياء العدالة الجدد وفرّيسيّوها. سارتر، الرجل والفكر، *مخادع*.

*

الصديق الأفضل. فصل واحد. (أ.) عند آل (ب.). يجري الحديث عن (ت.) المتأخّر، وهو أفضل صديقٍ لـ (أ.). تأتي عائلة (ب.) على ذكر بعض التحفّظات التي يبديها (ت.) عند حديثه عن (أ.)، وذلك أثناء عرض هذا الأخير لفضائل الأول. ثم، شيئًا فشيئًا، تتحوّل الفضائل نفسها إلى عيوب ينتقدها (أ.). تشير عائلة (ب.) إلى حكمٍ إيجابيّ أصدره (ت.) بحقّ (أ.)، فيباشر (أ.) حركةً عكسيّة. يصل (ت.). يتهافت (أ.) عليه لتقبيله: «آه! يقول (ت.)، ما أجمل أن نكون مع الأصدقاء!»».

*

---

(1) السجال مع *الأزمنة الحديثة* بخصوص *الرجل المتمرّد*، بلغ ذروته في عدد أغسطس/آب ١٩٥٢ الذي يحتوي رسالة إلى مدير *الأزمنة الحديثة* أرسلها كامو، وردّيْ سارتر وجانسون. في *آرت* عدد ١٢ إلى ١٨ سبتمبر/أيلول ١٩٥٢، مقالة لجاك بوشمور تحت عنوان «بعد أندريه بروتون، سارتر يتمرّد. فهل يكون كامو هو دوهاميل جيله؟»». لقد كانت مجلّة *كارّفور* أسبوعيّة يمينيّة، و*ريفارول* يمينيّة متطرّفة.

مجموعات دوخوبور[1]. المسيحيّة داخليّة. يموت ويُبعث حيًّا فينا. لكلّ مسيحيّ اسمان. واحدٌ جسديّ والثاني روحيّ يهبه الربّ إيّاه عند الولادة الروحيّة وبحسب أعماله. الاسم الأخير لا يعرفه أحدٌ في الحياة الدنيا؛ وسيُعرف في الآخرة.

ليس أنّ أخانا قد مات، وإنّما أخونا قد تغيّر.

*

دوخوبور. بالروسيّة، أولئك الذين يكافحون بالروح.

*

الملكيّة هي القتل.

*

أخلاقٌ عمليّة.

عدم اللجوء أبدًا إلى المحاكم.

إعطاء المال أو خسارته. عدم استثماره أبدًا أو السعي وراءه أو المطالبة به.

عنوان: دراسة صغيرة في الأخلاق العمليّة ــ (أو للاستفزاز)، في الأرستقراطيّة اليوميّة.

*

---

(1) فرقة تكوّنت في روسيا في القرن الثامن عشر، بفعل التأثيرات الغربيّة من النوع الصاحبيّ، الماسونيّ، والبروتستانتيّ.

سجال (أ.ح.)[1]. مشاغبات. عذرهم الوحيد هو في العصر الرهيب. ففي النهاية، ثمّة ما يتوق إلى العبوديّة فيهم. لقد حلموا بالذهاب إليها عبر دربٍ نبيلةٍ ملأى بالأفكار. ولكن، لا توجد دربٌ ملكيّة نحو العبوديّة. بل يوجد الغشّ والشتيمة والوشاية بالأخ. بعد ذلك، جوّ الثلاثين فضّة.

*

المياه العذبة في وهران. نور أُفريقيا: توهّجٌ شرةٌ يُحرق القلب. كنت فتيًّا جدًّا.

*

أحيانًا، في وقتٍ متأخّر من ليالي الاحتفال حيث كانت الكحول والرقص واستسلام كلّ شخصٍ بعنف تفضي بسرعةٍ كبيرةٍ إلى نوعٍ من الكسل السعيد، كان يُهيّأ إليّ، لثانيةٍ على الأقلّ، في أقصى التعب، أنّي قد فهمت أخيرًا سرّ الكائنات وأنّي سأكون ذات يوم قادرًا على قوله. إلاّ أنّ التعب كان يختفي، ومعه السرّ.

*

كان برونوتيار، كسارتر، يدافع عن مسرح المواقف ضدّ مسرح الشخصيّات. وكان كوبّو ينهي حينئذ المسألة بجملةٍ: «قيمة الموقف تعادل قيمة الشخصيّات».

---

(1) *الأزمنة الحديثة*.

كما سبق. كوبّو بصدد «المهنة» والمسرحيّة «الجيّدة الصنع».
عدم الخلط بين «الإيرادات» و«المهنة». مراجعة «خطاب حول القصيدة الدراميّة» لكورناي.

*

يرمي كلّ مجتمع، ومجتمع الأدب على وجه الخصوص، إلى إشعار أعضائه بالعار حيال فضائلهم القصوى.

*

«حبّ البعيد» في الكوميديا ديلّلارتي. «برينسيس دوكليف»، رومنطقيّة.

*

رواية. «لم تكن هي من كان يُحتقَر في تلك الأيّام. فلم يكن فيها ما يمكن احتقاره وكلّ ما يمكن حبّه تقريبًا. لقد كان هو نفسه ما يكره فيها ـــ وقصوره وفقره وعجزه عن أن يحبّ ما هو ملائم للحبّ، وعن عيش ما كان يعرف أنّه جديرٌ بها وبه...».

*

جنس الذين لديهم أوجاع مالٍ ومتاعب قلبٍ.

*

«إنّ ضلال أن نحبّ في أمكنةٍ مختلفة لهوَ بمثل فظاعة غياب العدالة في النفس». باسكال.

*

كما سبق. «الحبّ والعقل ليسا إلاّ الشيء نفسه».

*

وهي تشير إلى آكلي السلاطعين البحريّة، قالت صاحبة المطعم مخاطبةً المتسوّلة التي بدت ملحاحة: «ضعي نفسكِ للحظة مكان هؤلاء السيّدات والسادة» (١).

*

رواية. الوالدة مريضة. ارتمى على صدر تلك المرأة العاجزة وبكى. منذ سنوات، لم يلتصق بإنسانٍ بمثل هذه الحركة ــ فهو ما طلب قطّ حمايةً من أحد. بعض الأشخاص تقرّبوا منه هكذا. أمّا هو، فلم يعرف أبدًا كيف يتقبّل الاستسلام. وقد كان لهذا يختار الضعف والشقاء.

*

---

(١) ملاحظة نُشرَت من ضمن دزّينة ملاحظات مأخوذة من أحداث واقعيّة في مجلّة *ديمانتي*، لياج، ١٥ أوكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٣.

مسرحيّة: *ليسبيناس إيليزا*[1].

الفصل I: ١) إيليزا ودلامبير (تحدّثه عن حبّها لغونزالف).

٢) إيليزا وغيبار (حبّ من النظرة الأولى).

٣) بوح غيبار بحبّه لإيليزا بنبرةٍ باردة.

٤) يُعلن عن عودة غونزالف.

٥) غونزالف وإيليزا.

الفصل II:

١)دلامبير وغونزالف.

٢)إيليزا وغونزالف (يتلقّى رسالة وينبغي أن يرحل ــ مشهد الوداع).

٣)دلامبير وإيليزا.

٤)غيبير وإيليزا. ترضخ للحبّ الذي يجرفها:

«ألم يعد لديك إذًا حواسّ؟ ــ تعتقد ذلك حقًّا؟». تستدير فتسمعه يجري نحوها وترتمي عليه.

---

(١) نتعرّف في مشروع المسرحيّة هذا إلى حياة جولي دو ليسبيناس. يموت رجل هو مورا من أجلها حبًّا، وستموت هي حبًّا من أجل غيبار، مؤلّف بحث عامّ في *التكتيك*، في حين يبقى دلامبير، في الكواليس، العاشق الأزليّ.

الفصل III. حبّ ممزّق ــ موت غونزالف. هي بين ذراعَيْ غيبار. يعود دلامبير حاملاً رسالة: «لقد مات». تقرأ وتصرخ: «أتعرفان ما يقول؟ إنّه سعيدٌ بأن يموت واثقًا من حبّي».

مشهد غيبار ــ إيليزا: «آه! الآن، أنا أحبّكَ»، تقول.

الفصل IV. حبّ عن سوء فهم. تريد أن تُحَبّ من قِبل غيبار كما من قِبل غونزالف. أنتَ لا تحبّني. زواج غيبار.

الفصل V. دلامبير وغيبار. مريضة. رؤيتها ممنوعة. شكلها مشوّه. هو يعترف بحبّه لإيليزا. دلامبير: «لقد وصلت متأخّرة. هكذا يفعل العاجزون عن الحبّ، إذ يكمن أقصى ولَعهم في حبٍّ عاطلٍ عن العمل وفي لحظة لاجدواه».

المشهد الأخير: موت إيليزا. «ألم يكن هو أيضًا يستحقّ أن يكون محبوبًا؟

ــ أجل، إيليزا: ولكن أنتِ كنتِ تستحقّين أن تُحَبّي كما أُحببت.

ــ وهل أُحببتُ؟ هل أُحببتُ حقًّا؟».

يدخل غيبار. تقول هي «غونزالف»!

أو أيضًا سوف أموت دون أن يكون قد سامحني.

ــ مَن، غيبار؟

ـ كلاّ. لقد جعلني غيبار أعرف ذلك الحبّ حيث يكون لديك ما تسامح عليه. لكنّ الآخر لم يكن يعرف وهو ما عرف أبدًا. فكيف كان له أن يسامحني؟».

*

عندما كانت عينا أمّي ترتفعان عنّي، لم أكن أستطيع النظر إليها أبدًا من دون أن أدمع.

*

(ر.): يتزوّج امرأةً كان لديها عشيق (خطيبها). تعترف بالأمر بكلّ صدق. يقول إنّه يحبّها وألاّ أهمّيّة للأمر. غيرةٌ بمفعولٍ رجعيّ. ليالٍ من الاستنطاق والأسئلة. غداة حفل الزفاف، يقطع تذاكر سفر إلى المدينة حيث يسكن الخطيب الأسبق لكي يخلّف «في وجهه علامةً» (شَفرة حلاقة مخبّأة في سدادة). هكذا، طوال سنوات. يكتب إليها رسائل شتيمة (السيّدة فلانة لدى السيّدة علاّنة). ثم يرغمها أن تطلب من صديقةٍ أن تضاجعه. «أنا متأذٍّ»، يقول، ثم يرغمها على طلب الخدمة نفسها من أختها، إلخ (يحرّم عليها بلد طفولتها حيث تعرّفت على فلان) إلخ، إلخ. إلى أن تبلغ حافّةَ الجنون.

*

قصائد عن الحسرة على الجزائر.

*

كان الصباح الأول ذاك، الرطبُ أكثر منه ممطرًا، كان قد أعطى مرسيليا بلاطًا باريسيًّا تذكُر الجمهرة المحتشدةُ والمتخالطةُ فوقه وحدَها بأنّ عالمًا آخر كان يبدأ ها هنا. وإنّما فجأةً، ظهور سوق الزهور في حيّ كانوبيار حيث ترزح البسطات تحت أزهار ديسمبر/كانون الأول، متلألئةً بنقاط الماء، دهنيّةً، ملتمعةً. شقائق النعمان، الأذريون، النرجس والزنبق.

*

في البحر. البحر تحت القمر، مساحاته الشاسعة الصامتة. أجل، ها هنا أشعر بحقّي في الموت مطمئنًّا وها هنا أستطيع القول: «كنتُ ضعيفًا، وقد فعلتُ مع ذلك ما استطعته».

*

تيبازا. مراجعة الملاحظات.

*

من الأغواط إلى غرداية. داياس وأشجارها الشبحيّة. هضاب (الشبِكة) المعذّبة. مملكةٌ من الحجارة التي تحترق نهارًا وتتجمّد ليلاً، ثم تنتهي متفتّتةً رملاً تحت تلك الأثقال الرهيبة. حتى مدافن الأغواط المكسوّة بكسّارة الصخر البركانيّ حيث يتمازج الموتى تحت لغَط الحجارة. وحتى تلك الأراضي المحروثة الهزيلة التي نصادفها أحيانًا في الصحراء وحيث المطلوب فقط إيجاد حجرٍ

معيّنٍ مناسبٍ للبناء. عندما نحرث في هذي البلاد، فمن أجل جمع الحجارة. الأرض ثمينةٌ جدًّا إلى درجةٍ تُكشط معها الرقاقات القليلة التي تتراكم في الحُفَر وتُنقَل كالزاد في السلال. الماء. أرضٌ محروثة حتى العظم، حتى هيكلها الصخريّ البركانيّ. غرداية والمدن المقدّسة المحزّمة بتلالٍ صفراء محاطة هي نفسها بأسوارٍ حمراء.

*

كتلك الحجارة في الصحراء، المتراكمة فجأة بعضها فوق بعض، مختلفة بالكاد عن أكداس أخرى والتي تعلّم الذين درّسهم الفقرُ الدروبَ الغامضة المفضية إلى الماء أو إلى العشب اليابس.

*

جفافٌ في الجنوب ــ وها هي المجاعة ــ يموت ثمانون ألف خروف. شعبٌ بأكمله ينقّب الأرض بحثًا عن الجذور. بوشينوالد في عين الشمس.

*

في فيينّا، يحطّ اليمام فوق مشانق الإعدام.

*

في كلّ مهنةٍ في فرنسا، يتمّ تحديد نسبة العمّال الأجانب مسبقًا. هكذا، ترتفع النسبة في مناجم الفحم كلّما كان النزول أعمق. أرض اللجوء، إنّما يُطلب فيها العبيد قبل كلّ شيء.

*

(أ. ب.) إبليس وهران المنهار عصبيًّا.

*

عدم نسيان ـ الانطباع الفريد بالقوّة وبالمناعة في الأغواط. على توافقٍ مع قانون الموت، وبالتالي منيع.

*

تفسير الفظاعات الحديثة بالخوف. الذرّة، المحاكمات السوفييتيّة، إلخ. خيانة اليسار المثقّف.

*

حاليّات[1] ـ من دون أيّ معلومة فيما عدا بلاغ حكومة موسكو، وقّع عشرة أطبّاء فرنسيّين، نصفهم من اليهود، بيانًا يؤيّد توقيف زملائهم السوفييت من اليهود بنسبة ٩/١٠. الروح العلميّة تنتصر. بعد فترةٍ قصيرة، أعلنت الحكومة نفسُها براءة هؤلاء الأطبّاء، المسجونين دائمًا.

*

---

(١) نُشر في مجلّة ديمنتي.

الصحراء وساعة الرمل.

*

حاليّات. لقد رفض النوّاب أن يمنحوا دائرة الإسكان الملايين المخصّصة لمنتجي الكحول. ضربة مزدوجة: الأكواخ تتزايد ومعها، في الآن نفسه، إنتاجُ الكحول. ستّمائة جاكوبيّ [متحزّب للديموقراطيّة]، عمالقة الحرّيّة، جاثون أمام المقاهي والحانات.

*

النزعة الإنسانيّة. أنا لا أحبّ الإنسانيّة بشكلٍ عامّ، ولكنّي أشعر بالتضامن معها، والأمر ليس هو نفسه. ثم إنّني أحبّ بضعة أُناس، أحياء أو أمواتًا، بإعجاب كبير بحيث أحسّ دومًا بالغيرة أو بالقلق، حفاظًا أو حمايةً لما لدى كلّ الآخرين وقد جعلهم أو سيجعلهم بالصدفة أو ذات يومٍ لا أستطيع توقّعه، أشباه الأوائل.

*

جنون فابر، المدير العامّ [للمسرح الفرنسي[1]]. فقد كان يعتقد أنّ عالم المرايا هو وحده الحقيقيّ. أمّا ما تبقّى، فانعكاس.

*

---

(1) إميل فابر، ١٨٦٩ ــ ١٩٥٥.

بنجامين كونستان ـــ دفتر يوميّات[1].«لدقّة التوصيفات الماديّة للحياة جاذبيّة في مرأى مَن أصبح كلّ شيء بالنسبة إليه مبعث لامبالاة متساوية».

الحكم قاسٍ جدًّا على فاوست غوته، ص ٥٩.

«... لقد شعرت الشعوب كلّها (كالأقدمين) التي امتلكت إلى جانب المجد والحرّيّة ما يعطي ثمنًا للحياة، أنّ عليها في الوقت نفسه أن تدرك كيفيّة احتقار الحياة والتخلّي عنها. أولئك الذين يعظوننا ضدّ الانتحار هم بالضبط أناسٌ تجعل آراؤهم الحياةَ جديرةً بالاحتقار وكاذبةً، كما أنّهم أنصارٌ للعبوديّة والدناءة...».

«لا أعرف أحدًا سواي يعلم كيف يشعر الآخرون أكثر ممّا يعلم عن نفسه. ذلك أنّ الشفقة تلاحقني».

مراجعة ص ٨١. «الرجال الذين يبدون قساة...».

«يُربك الأدبُ والمجدُ الحياةَ، من خلال الإرغام على إبداء الآراء والدفاع عنها».

«نزهة مع سيموند. لقد أخذ عليّ قلّة ما أُبديه من اهتمامٍ حياله وحيال الآخرين كلّهم. ذلك ألاّ أحد يعرف... بأنّي لست في وضع طبيعيّ، بأنّ علاقاتي مع بيونديتّا تنتزع منّي كلّ إحساسٍ بالتحكّم بحياتي والتصرّف بها بحرّيَّة...».

---

(1) كانت الطبعة الكاملة قد صدرت عام ١٩٥٢ عن دار غاليمار.

مراجعة ١٣٣ ــ ١٣٤.

«الطموح أقلّ انتهازيّة ممّا نعتقد. فلكي نعيش بارتياحٍ، علينا بذل العناء نفسه تقريبًا لحُكم العالم».

*

«تتسرّب حياتي كما الماء.

ولديّ حيال ذلك شعورٌ معاكسٌ لقصر الحياة، بحيث أُعجز عن تضمينه الأهمّيّة الكافية لاتّخاذ قرارٍ حازم، أيّ قرار».

*

ص ٢٠١. في لا جدوى النقاش مع الأدباء الفرنسيّين: «يجب البدء بتفسير كلّ نقطة لمناقشة مسألة ما: وإلاّ فلن نصادف إلاّ أُناسًا ينتقدوننا على ما لم نقله بحيث نُنهك هدرًا... علينا بالكتابة لا بالشجار».

«ثمّة شيءٌ فظٌّ وبالٍ ينفّرني من اللاّ ــ دين».

عندما يكون الإنسان كريمًا من دون تكلّف، حتى الذين يغتنون من كرمه يجدون أنّه لا يقوم إلاّ بواجبه.

مراجعة ص ٢٢٦. مهما فعلنا لإسكات احتقارنا، فهو يُحزَر دائمًا ولا يُغتفَر.

٢٤٥ ــ وفاة السيّدة تالما.

ـ ... وكلّ أولئك الذين يقولون إنّهم حسّاسون، ليسوا رفاقًا في المحنة والشقاء والموت.

... عندما نتحمّل غضبًا عنّا وضعًا نكرهه، فإنّ أدنى ازديادٍ للضيق يُثير غضبنا.

مراجعة ٣٤٨. يكمن شقائي في عدم حبّ أيّ شيء، وهو ما يجعل الأشياءَ الأكثر بساطة شاقّةً.

تعيش روحي وحيدةً. لا أحبّ إلاّ في غياب العرفان أو الشفقة. دعونا لا نتسبّب بالأذى، وإنّما فلنتذكّر أنّني لا أستطيع أن أحيا من أعماق قلبي مع أحد.

*

اليوم، حين تهتمّ الكنيسة بقضيّة الشعب، فهي لا تعطي الانطباع بأنّها ترضخ للشفقة، وإنّما للقوّة.

*

رواية. لم تكن تؤمن بالحبّ. وفيما هي تحبّه، كان يشعر بنفسه مضحكًا في التعبير عن الحبّ.

*

[بالإسبانيّة في النصّ].

في كلّ مرّة أرى

أنّ عليّ أن أموت

أفرش عباءتي أرضًا

ولا أشبع نومًا

*

مسرحيّة عن ألبيجوا.

*

يكتبون إليّ: «في مساء حياتنا، سوف نُحاكَم على الحبّ». وحينها، ستكون الإدانة محتومة.

*

كانت ترتدي فساتين عفيفةً، وكان جسدها يحترق مع ذلك.

*

بحسب زوكتشينكو[1]، تتحقّق الاشتراكيّة عندما تنبت زهور الليلك فوق الإسفلت.

*

اليهود، يعيشون كثقافةٍ منذ أربعة آلاف سنة. هم الوحيدون.

*

---

(1) زوكتشينكو(١٨٩٥ ــ ١٩٦٢)، ناثر وفكاهيّ سوفييتي اضطهده ستالين.

كتبَ تولستوي: «في الحياة وفي الممات». يتقدّم ويقرّر أنّ الموت ليس موجودًا. هكذا يُسمّى بحثه «في الحياة». مراجعة يوميّات تاتيانا تولستوي[١] ص ١٣١: قصّة المجنّدين المتطوّعين الثلاثة الذين يُعدمون.

*

يعترف تولستوي بأنّ ما ينتابنا كإحساسٍ أوّل، عند اقتراب متسولٍ من منزلنا، هو شعورٌ كريه.

يغادر عرض سيغفريد وهو يكيل الشتائم.

كان يكره الثوريّين الجاهلين والمتعجرفين (الذين يسعون إلى تغيير العالم من دون أن يفقهوا أين هي السعادة الحقيقيّة).

*

١٥ فبراير/شباط ١٩٥٣

عزيزي (ب. ب.)[٢]. سوف أذكر، قبل كلّ شيء، الاعتذار المتوجّب عليّ بشأن يوم الجمعة. فالأمر لم يكن يتعلّق بمحاضرة عن هولندا، وإنّما قد استُنفِرت في اللحظة الأخيرة لكي أوقّع كتبًا يعود ريعها إلى أولئك اللاجئين. وقد بدا لي أنّني لا أستطيع رفض

---

(١) صدرت يوميّات ابنة تولستوي في دار بلون عام ١٩٥٣.
(٢) مسودّة رسالة إلى الصحافي بيار بيرجيه. وقد نُشرت في ٤ يناير/كانون الثاني ١٩٦٢ في أسبوعيّة *ديموقراطيّة*.

ذلك التمرين الذي كنت أقوم به للمرّة الأولى، وظننت أنّك ستسامحني على هذا الظرف الطارئ. إلاّ أنّ المسألة ليست هنا، بل هي في تلك العلاقات التي تقول إنّها صعبة. بهذا الصدد، يمكن التعبير ببساطةٍ عمّا أريد قوله: لو كنت تعرف ربع حياتي والتزاماتها، ما كنت لتكتب سطرًا واحدًا من رسالتك. لكنّك لا تستطيع معرفتها ولا يمكنني ولا ينبغي لي أن أشرحها لك. إنّ «الوحدة المتعالية» التي تشكو منها مع آخرين كُثر لا يملكون جميعًا قيمتك، ستكون في النهاية نعمةً مباركةً بالنسبة إليّ لو كانت موجودةً. إلاّ أنّ هذا الفردوس يُنسَب إليّ من باب الخطأ. فالحقيقة هي أنّني أصارع الوقت والكائنات على كلّ ساعةٍ من عملي، من دون أن أفلح في معظم الأحيان. لست أتذمّر. فحياتي أنا صنعتها، وأنا المسؤول الأوّل عن تبعثرها وإيقاعها. لكن عندما أتلقّى رسالةً كرسالتك، فإنّني أرغب ساعتئذٍ بالتذمّر، أجل، أو على الأقلّ بالمطالبة بألاّ أُدان بهذه السهولة. لإنجاز كلّ شيء، أحتاج اليوم إلى ثلاث حيواتٍ، وإلى عدّة قلوب لا أملك منها إلاّ واحدًا من الممكن تقييمه، وأنا غالبًا ما أقيّمه، كقلب ذي نوعيّة متوسّطة. أنا لا أملك الوقت المادّي، ولا وقت الفراغ الداخليّ على وجه الخصوص، لرؤية أصدقائي كما أودّ (اسأل شار الذي أحبّه كأخٍ، كم مرّة في *الشهر* نتقابل). لا وقت لديّ لمراسلة المجلاّت، لا بصدد جاسبر ولا بصدد تونس، حتى ولو كان ذلك من أجل دحض إحدى حجج

سارتر. ولك أن تصدّق إن شئتَ أنّي لا أملك الوقت ولا الحرّيّة الداخليّة لكي أمرض، إذ تنقلب حياتي رأسًا على عقب، فيتوجّب عليّ حينها تعويض التأخير خلال أسابيع. بيد أنّ الأكثر خطورةً هو أنّي ما عدت أملك الوقت ولا الحرّيّة الداخليّة لتأليف كتبي، إذ أصرف أربعة أعوام في كتابة ما ينبغي أن يتطلّب عامًا أو اثنين لو كنت حرًّا. على كلّ حال، منذ بضع سنواتٍ، لم تحرّرني أعمالي بل هي استعبدتني. وإذا ما كنت أواصل، فلأنّي لا أستطيع حيالها شيئًا، ولأنّي أفضّلها على كلّ شيء، حتى على الحرّيّة، حتى على الحكمة أو الخصوبة الحقيقيّة، وحتى على الصداقة، أجل. صحيحٌ أنّي أحاول تنظيم نفسي، ومضاعفة قواي و«حضوري» من خلال برمجة الوقت، وتنظيم أيّامي وفعاليّة متزايدة. أرجو أن أفلح ذات يوم. فحاليًّا، أنا لا أفلح إذ تستدعي كلّ رسالةٍ ثلاثًا أُخرى، وكلّ شخصٍ عشرةً آخَرين، وكلّ كتابٍ مائة رسالةٍ وعشرين مراسلاً، بينما الحياة مستمرّة إلى جانب العمل ومن أحبّهم ومن يحتاجونني. الحياة مستمرّة وأنا في بعض الصباحات، متعبًا من الضجيج ومحبطًا أمام العمل اللامتناهي الذي ينبغي مواصلته، مريضًا من جنون العالم الذي يهاجمني أيضًا في الجريدة عند استيقاظي، وواثقًا أخيرًا من أنّني لن أفلح وسأخيّب الجميع، لا أملك سوى الرغبة في الجلوس بانتظار حلول المساء. لديّ هذه الرغبة، وأنا أستسلم لها أحيانًا.

أبإمكانك أن تفهم ذلك يا (ب.)! بالطبع، أنت تستحقّ التقدير والمحادثة. وبالطبع، يساوي أصدقاؤك أصدقائي قيمةً (وهم ليسوا نحويّين بقدر ما تعتقد). ورغم أنّني لا أتصوّر (وهذه ليست وضعيّة تصوير) بأنّ تقديري يهمّ حقًّا أحدًا ما، فلك فعلاً كلّ تقديري. إنّما لكي يتحوّل هذا التقدير إلى صداقةٍ نشيطةٍ، فهو يقتضي بالتحديد وقت فراغٍ حقيقيًّا ومعاشرةً طويلة. لقد التقيت العديد من الأشخاص القيّمين، وفي هذا تكمن فرصة حياتي. لكن، يستحيل تكوين العدد نفسه من الأصدقاء، وفي هذا شقائي الذي يحكم عليّ بأن أكون مُخيِّبًا، أعلم ذلك. أتفهّم أن يكون ذلك صعب الاحتمال من قِبل الآخرين، فهو صعب الاحتمال من قبلي أنا. إنّما تلك هي الحال، وإذا كان يستحيل حبّي كما أنا، فمن الطبيعيّ أن أُترك لوحدةٍ ليست، كما ترى، بمثل هذا التعالي الذي تذكر.

وفي مطلق الأحوال، ها أنا أردّ على مرارتك من دون مرارةٍ. فلرسائل، كرسالتك، مُرسلة من قِبل شخصٍ مثلك، موهبةُ جعلي حزينًا فقط، وهي بذلك تُضاف إلى كلّ ما لديّ من الأسباب التي تدفعني إلى الهرب من هذي المدينة ومن حياتي فيها. ورغم أنّ هذا هو أكثر ما أتمنّاه في العالم، فهو حاليًّا غير ممكن. يلزمني إذًا أن أواصل هذا الوجود الغريب، وأن أعتبر ما تقوله ثمنًا باهظًا بعض الشيء برأيي، عليّ دفعه ما دمت قد تركت نفسي أقع في ورطة هذا الوجود.

اعذرني في أيّة حال لأنّي قد خيّبتك، وثِق بإخلاصي.

*

حول المسرح.

«قوانين المسرح». الفعل. الحياة. الفعل والحياة في الأعمال الكبيرة. المسرح هو الشخصيّة، الأطباع المدفوعة إلى أقصاها. فلتساوِ المواقفُ ما تساويه الشخصيّات. أخطاءٌ في التصوّر، في الإخراج وفي الأداء، متأتّية عن تجاهل هذه الحقيقة. العلاقات ما بين الأسلوب والعُرف المسرحيّ. نحو المسرح الكبير.

*

رواية. جبان كان يظنّ نفسه شجاعًا. وتكفي مناسبةٌ واحدة كي يدرك العكس ــ وينبغي أن يبدّل حياته.

كما سبق. يقرّر أن يكافح ضدّ الإغراء الأخلاقيّ. يستسلم *إراديًا* لغرائزه القويّة.

*

نيميزيس[1]. يحدث للحبّ أن يقتل، إنّما من دون أيّ تبرير آخر فيما عدا ذاته. هنالك حتى حدٌّ حيث يعادل حبّ كائنٍ ما قتلَ

---

(1) بعد مرحلة العبثيّة ومرحلة التمرّد، كان كامو يحكي عن مرحلة مكرّسة لأسطورة نيميزيس، «إلهة الاعتدال والاتزان، التي تهلك المغالين المتطرّفين».

جميع الآخرين. بطريقةٍ معيّنة، لا يوجد حبٌّ من دون شعورٍ شخصيّ ومُطلق بالذنب. بيد أنّ الشعور بالذنب وحدانيّ، وهو ثقيل الحِمل إذا ما حُرِم من ذرائع العقل وأعذاره. ينبغي أن نقرّر وحيدين إذا كنّا نحبّ، وأن نتحمّل وحيدين مسؤوليّة عواقب الحبّ الحقيقيّ التي لا تُحصى. يفضّل الإنسان قلبًا فاترًا والأخلاقَ على هذه الوحدة المليئة بالمخاطر. فهو يخاف من نفسه وعلى نفسه. وهو يريد تجنّب تلك المخاطر، رافضًا شرطه بالتالي. أمّا هاجسه الأوّل فهو البحث عن تبريرٍ يخفّف قليلاً من ثِقَل شعوره بالذنب. بما أنّه يجب أن يكون مذنبًا، فليكن كذلك وهو غير وحيد على الأقلّ. مناضل.

*

في الحبّ، الاكتفاء بمَا هو متوفّر.

*

رواية. موضوعة الطاقة.

*

يريد بازيفاييه الثورَ من قبيل العفّة. فما يمثّله هو النشوة النقيّة، النشوة ـــ البرق الخاطفة، لا تلك السلسلة من الأفعال المكرّرة المصقولة، من تلك الصيحات وتلك الشهوات اللاهثة واللذّات

المُطارَدة لسنواتٍ من أجل تحقيق لُحمَةٍ مستحيلةٍ. الثور السريع والحارق كإلهٍ. ــ بازيفاييه (عندما يدخل): يا للطهارة!

*

ينبغي للشهداء أن يختاروا بين نسيانهم أو استغلالهم.

*

للإضافة إلى *حالة حصار*. وزارة الانتحار. «مستحيل لهذا العام، فالعدد مكتمل. املأ استمارةً للعام المقبل».

*

الجنس، مُستَغرَب، غريبٌ، وحدانيّ، يقرّر وحيدًا المضيّ إلى الأمام دونما توقّف، فلا يُقاوَم بالتالي وينبغي اللحاق به بشكلٍ أعمى. ثم فجأةً، بعد سنواتٍ من الاحتدام وقبل سنواتٍ أخرى من الجنون الحسّيّ، يصدّ ويصمت ــ ويزدهر في كَنَف العادة، يفقد الصبرَ توقًا إلى جديد، ولا يتخلّى عن استقلاليّته إلاّ إذا وافقنا على إشباعه بشكلٍ كامل. مَن يستطيع أبدًا، حتى وإن لم يكن متطلّبًا، أن يرضى في أعماق قلبه بهذا الاستبداد؟ العفّة، يا لها من حرّيّة!

*

يقوم الشرف على خيطٍ واهٍ. فإذا صمد، فبضربٍ من ضروب الحظّ غالبًا.

*

خائفٌ من مهنتي ومنِ دعوتي. مخلصٌ، تلك هي الهاوية، خائنٌ، ذلك هو العدَم.

*

ربطة عنقٍ شجاعة.

*

رواية. الابنان اللذان يشيحان النظر عندما تخلع الأمّ المريضة طقم أسنانها قبل أن تدخل غرفة العمليّات. فهما يعرفان أنّها لطالما خجلت من الاعتراف بأنّ أسنانها مركّبة.

*

لم أجد تبريرًا آخر لحياتي سوى جهد الإبداع. فقد كنت مقصّرًا تقريبًا فيما خصّ كلّ ما تبقّى. وإذا كان ذلك لا يبرّئني، فإنّ حياتي لا تستأهل المغفرة.

*

نتحمّل بعضنا البعض بفضل الجسد ــ والجمال. إلاّ أنّ الجسد يشيخ. وعندما يتدهور الجمال، تبقى النفسيّات وحدها حاضرةً ــ فتتواجه دونما وسيطٍ.

*

هناك أناسٌ يتعذّبون بتصلّب وآخرون بمرونة: بهلوانيّو الألم ومبدعوه (المقيمون).

*

خطآن شائعان: الوجود يسبق الجوهر أو الجوهر يسبق الوجود. الاثنان يعملان ويسموان بالإيقاع نفسه.

*

رسالة من غرين. في كلّ مرّةٍ يقولون إنّهم معجبون بالإنسان فيّ، يتكوّن لديّ انطباع بأنّي كذبت طوال حياتي.

*

خاصّ بـ نيميزيس. باريس، ٩ يوليو/تمّوز ١٩٥٣.

سيّدي العزيز، لقد تأخّرت في الردّ على رسالتك اللطيفة وقد عبرت الأسابيعُ الأخيرة كالريح بالنسبة إليّ، ومع ذلك فإنّ لطفك وطريقة تعبيرك عنه قد أثّرا فيّ كثيرًا. لقد أحببتُ ألقَ قصائدك الخفيّ، وجانب «البحيرة والشمس» الموجود فيها. وأنا سعيدٌ أن ألمسَ، فوق ذلك كلّه، تناغمك.

التطرّف في الحبّ، وهو الوحيد المرغوب في الحقيقة، هو ميزة القدّيسين. فالمجتمعات من جهتها لم تفرز أبدًا تطرّفًا إلاّ في الكراهية. لذا وجَبَ حضّها على تبنّي اعتدالٍ متشدّدٍ. فالتطرّف

والجنون والهاوية هي بمثابة أسرار ومخاطر ينبغي إسكاتها بالنسبة للبعض، أو بالكاد التلميح بها في أفضل الأحوال.

لذا فإنّ الشِعر هو الغذاء الأزليّ وينبغي أن يُعهَد إليه بحفظ الأسرار. أمّا فيما يخصنّا، نحن الذين نكتب بلغة الجميع، فعلينا معرفة حكمتَين اثنتين، وفي بعض الأحيان، ادّعاء تجاهل إحداهما الأكثر رِفعةً. وتفضّل بقبول تحيّاتي القلبيّة وأطيب أمانيّ.

*

إذا ما كنتُ قد رفضتُ الكذبَ دائمًا (فأنا عاجز عنه حتى عندما أبذل جهدًا)، فلأنّني ما تمكّنتُ قطّ من تقبّل الوحدة. إنّما الآن، ينبغي تقبّلها أيضًا.

*

كما حين يموت أحدٌ نحبّه بعد مرضٍ طويل. ورغم أنّنا لم نفعل سوى الانتظار، فإنّنا نشعر وكأنّنا صارعنا طوال الوقت، لفترةٍ طويلةٍ، ثم هُزمنا فجأةً.

*

يحتاج بعض الرجال عند مجابهة شجارٍ بسيطٍ في الشوارع إلى شجاعة تفوق شجاعة التواجد في الجبهة الأماميّة في الحرب. والأكثر صعوبةً هو رفع اليد على رجلٍ، والشعور على وجه الخصوص بالعداء الجسديّ حيال شخصٍ آخر.

*

(ف.). «قيمتان اثنتان بالنسبة إليّ: الحنان والمجد».

*

إحلال النعمة الإلهيّة بمتاجر بالسوق السوداء ــ أو بداهيةٍ في عالم الأعمال ــ ذلك هو الإنجاز. إحلالُها بمجرمٍ سهلٌ.

*

كان فان غوغ معجبًا بميّيه، تولستوي، سوللّي، برودوم.

*

تولستوي شابًّا، «ذهب ليبحث عن السعادة» في سان ــ بطرسبرغ. النتيجة: القِمار، الغَجَر، الديون، إلخ. «إنّي أحيا كبهيمةٍ». (بقلم تولستوي، رسائل ــ ١٨٧٩).

شقيق تولستوي: «كان يفتقد العيوب الضروريّة ليكون كاتبًا كبيرًا» (نقلاً عن تورغينييف).

كما سبق. رسالة ٣ مايو/أيّار ١٨٥٩: «مَن ذا الذي أُحسن إليه؟ ومَن ذا الذي أحبّه؟ لا أحد. لا دموع لديّ ولا حزن على ذاتي، وإنّما ندمٌ باردٌ...».

كما سبق. ١٧ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٨٦٠، بعد وفاة شقيقه: «ولقد تعلّمت، عبر اثنين وثلاثين عامًا من الخبرة، أنّ وضعنا مروّعٌ في الحقيقة... فإثر بلوغه ذُروة تطوّره، أدرك الإنسانُ

بوضوح كبير أنّ الأمور كلّها رياءٌ وغباءٌ، وأنّ الحقيقة التي يحبّها رغم ذلك، أكثر من أيّ شيءٍ في العالم، هي حقيقةٌ رهيبة...».

كما سبق. ١٨٦١. تولستوي يتحدّى تورغينييف ويدعوه إلى المبارزة، فيعتذر هذا الأخير.

كما سبق. ١٨٦٢. مداهمة بيت تولستوي وتفتيشه: عقيدٌ يقرأ يوميّاته. يكتب (ت.) إلى الكونتيسّة ألكسندرا تولستوي التي تتردّد كثيرًا إلى البلاط الإمبراطوريّ: «لحسن حظّي وحظّ صديقكِ لم أكن حاضرًا، وإلاّ لكنت قتلته». فيأتي ردّ ألكسندرا لتهدئته: «كن رحومًا. ففي العمق، ليس أكثر قسوةً من رجلٍ أُسيئت معاملته ظلمًا فاستقوى ببراءته».

١٨٦٢. اللقاء بصوفي بيرس: «إنّني عاشقٌ كما لم أتصوّر أبدًا قدرتي على العشق. سوف أقتل نفسي إذا استمرّ الأمر على هذا النحو...».

١٨٦٥. «إنّي سعيدٌ لأنّكِ أحببتِ زوجتي. ورغم أنّي أحبّها أقلّ ممّا أحبّ روايتي، فهي مع ذلك تبقى زوجتي، كما تعلمين».

مراجعة ص ٢٨٥. ابتكار شخصيّة أندريه بولكونسكي في *الحرب والسلام*.

١٨٦٥. بشأن قصّةٍ قصيرة لتورغينييف لا يحبّها: «الجانب الشخصيّ والذاتيّ لا يكون جيّدًا إلاّ متى امتلأ حياة وشغفًا، في حين

تمتلئ الذاتيّة هنا بالعذاب من غير أن نحسّ الحياة فيها» (التطبيق على ريلكه، كافكا).

١٨٦٥. عدم اكتراثه بالسياسة ــ مستمرّ ــ ومعاند. «أنا لا أكترث بمعرفة مَن الذي يقمع البولونيّين».

في الخمسين من عمره، سوف يؤكّد من جديد وجوب عدم قراءة الصُحف (ص ٤٠٥).

«في فصل الصيف...، فأفكّر حينئذٍ بالموت أكثر فأكثر ودائمًا بمتعةٍ جديدة».

١٨٦٩. يكتشف شوبنهاور بإعجابٍ.

١٨٧٠. مصابٌ بالأرَق.

١٨٧١. وفاة صديقٍ. إنّه لا يأسف عليه وإنّما هو «يحسده بالأحرى».

١٨٧٢. متوجّهًا إلى ستراخوف. «تخلَّ عن مهنة الصحافيّين المفسِدة».

مراجعة ص ٣٢٠. يضع تولستوي نفسه بنفسه على الجزء المنحدر من خطّ مقوّس يحتلّ بوشكين قمّته.

١٨٧٢. «نادرًا جدًّا ما يزورني الضجر، لكنّني أستقبله بفرحٍ لأنّه المُعلن دومًا عن حلول طاقةٍ فطريّةٍ كبيرة».

١٨٧٣. متوجّهًا إلى صديق: «لا تبقَ في موسكو، ففيها خطران: الصحافة والمحادثة».

مراجعة ص ٣٦٦. حول الصحراء والحياة البدائيّة.

١٨٧٦. إنهاء الحياة من دون احترامها أمرٌ مؤلم.

١٨٧٧. «لا نستطيع العيش دونما دينٍ. ومع ذلك، فنحن لا نستطيع أن نؤمن».

١٨٧٨. كلّ يوم، يرجو العناية الإلهيّة أن تهبه «السلام في العمل». للأسف!

مراجعة ص ٣٩٦. مناهض للتقدّم.

*

إنّما الكراهيّة هي ما يفضّلون، ما يجعلهم مكتئبين ومترفّقين وعاطفيّين. هكذا يجب قياس كمّيّة الكراهيّة وكمّيّة الحبّ في كلّ عملٍ أدبيّ ــ فنصاب بالرّوع أمام العصر.

*

لوبيه دو فيغا، أرمل خمس أو ستّ مرّات. نموت اليوم أقلّ. والنتيجة: لم يعد علينا الاحتفاظ في دواخلنا بقوّة التجدّد في العشق، بل على العكس، إذ ينبغي إطفاؤها لإيقاظ قوّةٍ أخرى هي قوة تكيّفٍ لامتناهٍ.

*

إذا ما كان همّ الواجب يتناقص، فلأنّ الحقوقَ تصبح أكثر فأكثر. وحده مَن كان متطلّبًا بشأن حقوقه، يمتلك قوّة الواجب.

*

العدميّة. سرطانات صغيرة مسويّة، مشاكسة. تفكّر في كلّ شيءٍ، لكي تنفي كلّ شيءٍ، بما أنّها لا تشعر بشيءٍ، متّكلةً على الآخرين ـ الحزب أو الزعيم ـ للشعور بدلاً عنها.

*

يتركّز كلّ جهدهم على تثبيط همّة العيش. ففي الأدب مثلاً، شاغلهم الدائم هو مَنْع الكاتب من الكتابة.

مراجعة (د. م.). كراهية الكتّاب كما يمكن التقاط عدواها في دار نشر.

*

ليست الفضيلة كريهةً، وإنّما الخُطَب عنها. فلا فم في العالم حتمًا ـ وفمي أقلّ من أيّ فمٍ آخر ـ يمكنه النطق بها. أيضًا، ثمّة مَن يرتعش في داخلي كلّما تدخّل أحدٌ للحديث عن نزاهتي (تصريح روا)[1].

*

---

(1) جول روا.

عنوان: كراهية الفنّ.

*

الفنّان وعصره. قراءة صفحة تولستوي الرائعة عن الفنّان (ما الذي يجب أن نفعله ٣٧٨ ــ ٣٧٩ و(ر. ر.)[1] ص ١١٣)... «الفنّان... هو من قد يكون سعيدًا لعدم التفكير والتعبير عمّا وُضِع في روحه، ولكنّه لا يمكنه أن يعفي ذاته...».

في مواجهة ذلك: «تتلخّص مشاعر مجتمعنا الحالي في ثلاثة: الكبرياء، الشهوانيّة وسأم العيش.

رسائلُ رائعةٌ عن ندمه ((ر. ر.). ص ١٨٩ ــ ١٩٠).

*

دون جيوفانّي. في قمّة كلّ الفنون. عندما ننتهي من سماعها، نكون قد قمنا بجولة على العالم وعلى الكائنات.

*

مركّز. مشحوذ ــ إنّي أطلب شيئًا واحدًا وأطلبه بتواضعٍ، رغم أنّي مدركٌ بأنّه باهظٌ جدًّا: أن أُقرأ بانتباه.

*

---

(١) رومان رولان.

كثير من الأمان لقلب الطفل، وها إنّ حياته كبالغٍ تنقضي وهو يطالب الكائنات بهذا الأمان ــ في حين أنّها ليست إلاّ فرصةً للمجازفة والحريّة.

*

رواية. الغيرة. «كنت أحرص على عدم ترك مخيّلتي للتيه، فكنت أُمسك زمامها بإحكام».

«الخيانة الزوجيّة في موضع اتّهام أمام من خانها. إنّما لا يوجد عقاب. أو بالأحرى، إنّ العقاب الذي لا يُحتمَل هو التعرّض أزليًّا للاتّهام».

*

فاوست وأنديميون[1]. وفاة الملك. الطقس ــ باندورا[2] ونهاية العصر الذهبيّ.

*

---

(1) فاوست وأنديميون هما صورتان عن أسطورة الشباب الأزليّ.
(2) أصلاً، في *الصيف في مدينة الجزائر (أعراس)*، يمكن أن نقرأ: «من صندوق باندورا حيث تعجّ أمراض البشريّة، أخرجَ الأغارقةُ الأمل بعد كلّ الأمراض الأخرى، على أنّه الداء الأكثر فظاعةً من بين الكلّ».

فيرّيرو[1].«أخيرًا، قطاف تلك الفاكهة الصغيرة اللذيذة من على شجرة الحياة، الفاكهة التي باتت نادرة جدًّا بحيث لا تزهر إلاّ مرّةً واحدة خلال سنواتٍ: الاستراحة من غير ندمٍ».

*

في فرنسا، تتثبّت الموهبة دائمًا، ضدّ.

*

ابتداءً من كولومبس، حلّت الحضارة الأفقيّة، حضارة الفضاء والكمّيّة، مكان حضارة النوعيّة العموديّة. لقد قتل كولومبس الحضارة المتوسّطيّة.

*

فيرّيرو. تناقض عالم الآلة. فهو يبتكر الوفرة بسرعة تصنيعه، وهو يحتاج إلى المجاعة لكي يزدهر.

*

الطبيعيّ، قبل كلّ شيء.

*

---

(1) غوغلييلمو فيرّيرو (١٨٧١ ــ ١٩٤٣)، *الثورتان الفرنسيّتان ١٧٨٩ ــ ١٧٩٦* (لاباكونيير، ١٩٤١).

فيرّيرو. ينبغي لحضارةٍ كحضارتنا تسعى دومًا إلى زيادة كمّ الأغراض وإلى إنقاص جودتها، أن تنتهي بعمليّة عربدةٍ جماعيّةٍ، هائلة وعنيفة. هذا صحيح. فنهاية التاريخ التي يتحدّث عنها رجال التقدّم عندنا، إنّما هي العربدة الجماعيّة.

*

هيغل. التوازن هو نتيجة التوليف بين النوعيّة والكمّيّة.

*

دونما تقاليد، يتوهّم الفنّان أنّه ابتدع قاعدته الخاصّة. وها هو إله.

*

إنتايوس المدفون في أسفل رأس سبارتيل، على الساحل الأطلسيّ، في المغرب الحاليّ.

*

فيرّيرو. الأطلسيّ في أبواب هرقليس هو الجمال اللامتناهي المصبوب في النفس البشريّة الضيّقة، متّخذًا شكلاً موقّتًا.

*

فيرّيرو. الصوت الأزليّ الذي يخاطب الفنّان هاتفًا: «أبدع تُحفًا فنّيّةً ولا تمارس علم الجماليّات؛ اكتشف الحقائق الجديدة ولا

تصنع نظريّة المعرفة؛ افعل ولا تنشغل بالتحقّق ممّا إذا كان التاريخ قد أخطأ أم لا». كما سبق. «آمِن بالمبدأ الذي تعلّمته ولا تتهاون. ولكن، إذا هوى المبدأ، فاقنع، إذ إنّه لم يك إلاّ لحظة من الحقيقة الكونيّة».

مراجعة ص ٣٥٤: لقوّة المجتمع حدودٌ. فقد أنجز، بفعل التركيز والانتظام وحدهما، الملحمة، المأساة وفنّ النحت الإغريقيَّين، وجماليّة أفلاطون وأرسطو وأخلاقيّتهما والقانون الرومانيّ وفنّ العصور الوسطى الإيطاليّة والفنّ الرومانيّ عامّةً غاليليوس وباسكال وراسينُ وموليير...

ومن ثم، جاء اكتشاف أميركا والثورة الفرنسيّة والآلة وعصر الإنتاج.

ولكن في نهاية المطاف، كان لا بدّ من ذلك لإطعام الأعداد الغفيرة الهائلة المتضوّرة جوعًا، والتي تهيم في الأرض أو تعيش خاملةً (التحقّق من مؤشّر نموّ الجنس البشريّ منذ القرن الثالث عشر). ينبغي أن ندفع ثمن ذلك ربّما بالعقم.

وفرنسا التي امتلكت جرأة ونبوغ القيام بالثورة الفرنسيّة الخارقة، هي في الآن نفسه أقلّ من رضخ ــ قلَقًا ــ لجنون الإنتاج.

*

فيرّيرو. «ذاتَ يومٍ، سينفجر فعل الإرادة المقيِّد».

*

نحن نقيم صِلات حقيقيّة مع بعض الكائنات. وصِلات كذبٍ مع أخرى. وهذي الأخيرة ليست الأقلّ استدامةً.

*

رواية. «ليس لديّ ما أفعله بالقرب منكِ. فأنا لم أحببكِ كفايةً وأنتِ لم تحبّيني كفايةً لكي أتمكّن من مشاركتكِ آخر أيّامي. ينبغي أن أتدبّر الأمر وحيدًا، وأن أموت وحيدًا. لقد انتظرت خلال سنواتٍ أن تعيدي إليّ أخطائي، وأن تقبليني كما أنا. لكنّكِ ما فعلتِ. فاحتفظت أنا بأخطائي إذًا، بقيت مذنبًا وعليّ اليوم أن أصوّب وضعي، وحيدًا مع تلك الأخطاء. دعيني.

سامحيني من ثم على ما ألحقته بكِ من أذى. وإذا استطعت، سامحيني من أعماق قلبكِ. فهذا هو أكثر ما أحتاجه، الحرمان الذي منعني خلال أعوامٍ من العيش. إذا كان قلبكِ لا يتذكّر إلاّ الحبّ الذي يكنّه لي، فسيكون في الموت الخلاص الذي لم أعرفه في الحياة».

*

توكفيل *(في الديموقراطيّة في أميركا)*: «يبدو وكأنّ حكّام عصرنا لا يسعون إلاّ لصنع أشياء عظيمة مع الرجال. أودّ لو يفكّرون أكثر قليلاً بصنع رجالٍ عظماء».

«روسيا هي حجر الزاوية للطغيان في العالم *(رسائل)*[1]».

نابوليون الذي يجعل الثورة تلد ابنه غير الشرعي: الطغيان. بحسب (ت.)، الأرستقراطيّة هي الحاجز الطبيعي في وجه الطغيان.

تلك النفوس «التي تبدو وكأنّها تصنع من حبّ الاستعباد نوعًا من مكوّنات الفضيلة». يُطبَّق على سارتر وعلى التقدّميّين.

«ما الذي يفتقده هؤلاء لكي يبقوا أحرارًا؟ ماذا؟ الميل نفسه لأن يكونوا كذلك».

*

كما سبق. توكفيل. النظام القديم والثورة الفرنسيّة. (ت. ي.).

الفكرة العامّة: الملكيّة هي التي خلقت أداة الثورة: المركزيّة، من خلال القضاء على الأرستقراطيّة والحرّيّات الريفيّة.

---

(1) *رسائل ألكسيس دو توكفيل وبيار ـ بول ورواييه كولّار. رسائل ألكسيس دو توكفيل وجان جاك أمبير*، (غاليمار، ١٩٥١).

«ينبغي التأسّف دومًا لكوننا قد قضينا على طبقة النبلاء واقتلعناها، بدلاً من إخضاعها لسطوة القوانين. ومن خلال التصرّف هكذا... أصبنا الحريّة بجرحٍ لن يلتئم أبدًا».

«بإمكان المجتمعات الديموقراطيّة غير الحرّة أن تكون ثريّةً مرفّهةً، عذبةً وحتى رائعةً وقويّةً بعِظَم برجوازيّتها وثِقَلها، وبإمكاننا أن نجد فيها مزايا خاصّة وأرباب عائلةٍ قديرين، وتجّارًا نزيهين، وملاّكين قيّمين جدًّا... ولكن ما لن يُرى أبدًا في مجتمعاتٍ مماثلة هو مواطنون عظماء وشعبٌ عظيمٌ على وجه الخصوص. ولست أخشى التأكيد على أنّ المستوى المشترك للعقول والقلوب لن يني يتدهور أبدًا، طالما بقيت المساواة والطغيان فيها».

كما سبق. خاصّ بتقدّميّينا. «لقد شاهدنا أناسًا كانوا يظنّون أنّهم يكفّرون عن تذلّلهم حيال أدنى ممثّلي السلطة السياسيّة، من خلال وقاحة يبدونها حيال الإله. وقد كانوا، عبر بقائهم بلا تقوى، يمتدحون أنفسهم لبقائهم أمناء لروح الثورة، في حين أنّهم كانوا قد تخلّوا عن أكثر ما هو حريّة ونبالة وإباء في عقائدها».

كما سبق. «كنّا نبدو محبّين للحريّة؛ في الواقع لم نكن نفعل سوى كره السيّد».

مراجعة ص ٢٣٣. إنّ الفكرة الأمّ للاشتراكيّة الحديثة، القائلة بأنّ ملكيّة الأرض تعود في المحصّلة النهائيّة إلى الدولة، هي من تعاليم لويس الرابع عشر في مراسيمه.

مراجعة ص ٢٤٤. عام ١٧٨٩، كان الفرنسيّون فخورين جدًّا بأنفسهم ليصدّقوا أنّ بإمكانهم العيش متساوين في الحرّيّة. ومن ثم...

مراجعة ص ٢٤٥، صورة لفرنسا.

كانت *دفاتر* النبلاء في باريس وفي سواها تطالب بتدمير سجن الباستيل.

*

شوبان (وُلد عام ١٨١٠). ممثّلٌ ممتاز. يرفض أن ينتسب إلى الأوبرا لثقته بنفسه. يهنّئ تالبيرغ الذي عزف مقطوعةً ليليّةً حالمةً مع تشويهها كالعادة: «لمَن كانت تلك المقطوعة إذًا؟» سخيٌّ وكريم، لكنّه لا يرحم في علاقاته مع ناشريه.

في فالديموزا، طيور النورس التائهة في الضباب والتي تصطدم بزجاج نوافذ الدير كلّها.

*

في نزاعه، كان تولستوي يكتب في الهواء.

*

بحسب مونتيرلان، يحلم كلّ مبدع حقيقيّ بحياةٍ من دون أصدقاء.

*

في مصحّ برودمور حيث تجري إعادة تأهيل المجرمين المجانين، شجاراتٌ دامية حول أنبوب أسبرو فارغ.

*

فكرة مسرحيّة (في برودمور دائمًا): عندما يظهر الشرّير على الخشبة، لافتة: «صياح». وعندما يظهر البطل: «تصفيق».

*

«في نظر الصينيّين، يشكّل اقتران ثلاثة أشخاصٍ، يربط ما بينهم تطابقٌ عذبٌ في الميول والمزايا والطباع، ذروة الغبطة الدنيويّة...». أبيل ريموزا.

كما سبق. «مجموعة الجُزر». تلزم امرأتان. لأنّ للرجل ثلاث أرواحٍ وللمرأة أربع. المثلّث هذا غير متوازنٍ فوق ذلك المربّع. ولكنّه يشكّل هرمًا تامًّا ومتينًا فوق مربّعَين.

*

يتوقّف الخريف في القنطرة حيث يبدأ الصيف الأزليّ. جبلٌ أسودُ وزهريٌّ. بحسب فرومانتان.

فرومانتان دائمًا: تفضّل النفوس الصغيرة التفاصيل في الفنّ.

«حتى الدقيقة الأخيرة من النهار، تبقى الصحراء في وضح النور بشكلٍ كامل. فالليل يحلّ ها هنا كإغماءة».

قراءة «الصحراء الكبرى» لـــ دوماس.

*

لا نستطيع عيش كلّ ما نكتبه، لكنّنا نحاول.

*

كالياييف، هو الحبّ الشتويّ. فيكتوريا، الحبّ الشمسيّ[1].

*

القدّيس يوحنّا. «مَن يقول إنّه يحبّ الربّ ولا يحبّ أخاه هو كاذب؛ إذ كيف يمكنه أن يقول إنّه يحبّ الربّ الذي لا يراه، إذا كان لا يحبّ أخاه الذي يراه». للمقاربة مع «النفس المضطربة» الذي يقول: «إذا كنت أنا لا أحبّ الربّ، فمعناه أنّي لا أحبّ البشر وفي الحقيقة لمَ أحبّهم؟». كما سبق. يوحنّا. «لو لم آتِ ولو لم أحدّثهم، لما كانوا ارتكبوا قطّ خطيئةً؛ ولكن الآن، لا عذر لهم».

نكران الذات إغراءٌ، كالمتعة.

*

تولستوي: «نستطيع أن نحيا فقط عندما نثمل من الحياة» اعترافات (٧٩).

---

(١) كالياييف، ثوريّ روسيّ من ١٩٠٥. احتُفيَ به في *الرجل المتمرّد*، وشكّل الشخصيّة الرئيسيّة في *العادلون*. فيكتوريا، شخصيّة في *حالة حصار*.

في الحقبة نفسها: «أنا مجنونٌ بالخياة... إنّه الصيف، الصيف اللذيذ...».

*

غيبو. في بداية الاحتلال في سان بريّوك، المدينة باردة وممطرة، المحالّ فارغة. إنّه الصباح، وهو يمشي تحت الرذاذ في الشوارع المقفرة. في الساحة الخاوية، يعبر ألمانيّ مكسوٌّ بمعطف من قماش مطليّ يبرق بنقاط المطر. إذًا، تحت سماءٍ واطئة وفي الحزن الفظيع لتلك الساعة، يدخل (ج.) إلى الكنيسة ويصلّي، هو الملحد المُعلَن (صلاة إلى مريم، على ما أعتقد). ثم يخرج. منذ حاول في كلّ مرّة أن يكتب لحظة التخلّي أو الجبن تلك (يقول إنّه لا يعرف)، لم يستطع، أو لم يجرؤ.

*

روجيه مارتان من إقليم غار، ووفاة والدته. يُخفي عن هذه الأخيرة أمر إصابتها بالسرطان. تُبدَّل أسماء الأدوية، إلخ. ولكن بعد وفاتها، تلاحق ذكرى نزاعها المروّعة (م.) من إقليم (غ.) الذي يقول لنفسه إنّه لن يستطيع تحمّلها. الأمل الوحيد ربّما هو أن يقتل نفسه. إنّما، أتراه يملك الشجاعة؟ يحاول، يتمرّن بواسطة مسدّسٍ على عدّة «تجارب»، ولكن يتراجع في اللحظة الأخيرة (الضغط على الزناد) خوفًا. يكبر القلق والتوتّر، ويشعر بأنّه عالق. إلى أن يجد «الطريقة». يركب سيّارة تاكسي ويرفع المسدّس إلى جبهته.

عندما أصل إلى مستوى العمود الكهربائي الثالث، أضغط على الزناد». العمود الكهربائي الثالث، ويشعر أنّه قد يضغط، بهذه الطريقة. مذّاك، إحساسٌ هائلٌ بالحرّيّة.

يقول لي هو نفسه بأنّه يتعذّب من كونه ما عاد يرغب بشيء ولا بأن يعيش (انظر رسالته). فقدان الرغبة في الطعام التي كان أندريه جيد يتحدّث عنها. في نيس، فجأةً أملٌ. يرى على يافطةٍ كلمة «بويّابيس» [حساءٌ بالسمك] على باب مطعمٍ، فيرغب بتذوّقه. إنّها *الرغبة* الأولى منذ أشهرٍ. يدخل، يأكل بفرح. مذّاك، لا شيء أبدًا. سيكتب إليّ قائلاً، إنّه في غرفة الانتظار.

هو الأكثر إنسانيّةً، أي الأكثر أهلاً للحنان، من بين كلّ الرجال الذين التقيتهم.

*

ستندال. «ما هو الأنا؟ لست أدري. لقد استيقظت ذات يومٍ على هذه الأرض، فوجدت نفسي موثّقًا إلى جسدي، إلى شخصيّةٍ، إلى ثروةٍ. فهل أتسلّى دونما جدوى بالسعي إلى تغييرها متناسيًا بالتالي أن أعيش؟ يا للخديعة! إنّني أرضخ لعيوبها وأرضخ لمَيلي الأرستقراطي، بعد أن خطبت عن حسن نيّةٍ، وخلال عشر سنواتٍ، ضدّ كلّ أرستقراطيّة».

*

قصيدة *الفلاسفة المرتجلة*[١] في الكوميديا ديلّارتي.

*

عنوان «حديث»: كراهية الفنّ.

*

الكتابة بشكلٍ طبيعيّ. النشر بشكلٍ طبيعيّ ودفع ثمن كلّ ذلك، بشكلٍ طبيعيّ.

*

بالنسبة إلى المبدع، النقد هو ما هو التاجر بالنسبة إلى المنتج. هكذا يشهد العصرُ التاجرُ التكاثرَ الخانق للمعلّقين وللوسطاء ما بين المنتج والجمهور. وهكذا، لا يتعلّق الأمر اليوم بافتقادنا إلى مبدعين، بل بكثرة المعلّقين الذين يُغرقون السمكة اللذيذة والبعيدة المنال، في مياههم الموحِلة.

*

رواية. مراجعة ملاحظات فايسبرغ[٢]. أتباع التشيكا الذين يضعون على رأسه، أثناء الاستجواب، تاجًا من الورق المذهّب

---

(١) *قصيدة الفلاسفة المرتجلة*: نصّ مسرحيّ قصير من العام ١٩٤٦.

(٢) ألكس فايسبرغ *المتّهم* (فاسكيل).

المزيّن بصلبان معقوفة، وصليبًا كبيرًا معقوفًا على الصدر، ثم يضربون.

كما سبق. الخيّاط الفوضويّ العجوز الذي يشرح بوضوحٍ وجهة نظره. يشتمه القاضي: «لقد أهنتني أيّها المواطن القاضي، وأنا لن أردّ بعد الآن على أسئلتك». الرقم القياسيّ في الاستجواب: *واحد وثلاثون نهارًا وواحد وثلاثون ليلةً*. مصحّ المُستلَبين!

*

رواية. الجزء الأول. البحث عن أبٍ أو الأب المجهول. لا ماضي للفقر. «اليوم، حيث اكتشف فلان في مقبرة الريف أنّ والده قد توفّي في سنٍّ أصغر من سنّه هو حاليًّا... وأنّ هذا الممدّد ها هنا بات أصغر منه منذ سنتين، رغم مضيّ ٣٥ عامًا على وجوده هنا... وفطن إلى أنّه كان يجهل كلّ شيءٍ عن ذلك الوالد، فقرّر أن يجده...».

ولادة خلال الانتقال إلى بيتٍ آخر.

الجزء الثاني. الطفولة (أو مدمج مع الجزء الأول). مَن أنا؟

الجزء الثالث. تربية الإنسان. عاجزة عن أن تفصل نفسها عن الأجساد. آه! براءة الأفعال الأولى! لكنّ السنوات تمرّ والكائنات تقيم علاقاتٍ فيما بينها، كلّ فعلٍ جسديّ يربط، يُذلّ ويُلزم أكثر فأكثر.

لا يريد أن يُحاكَم (فهو في الحقيقة قلّما يحاكِم)، إنّما يستحيل تفادي الأمر.

شخصيّتان:

١) اللامبالي: ترعرع من خارج وسَطٍ عائليّ. من دون والد. الأمّ عزباء. تتدبّر أمورها وحيدةً. إنّه متعالٍ بعض الشيء مع أنّه مهذّب. يسير دومًا وحيدًا. يحضر مباريات الملاكمة وكرة القدم. لا يحبّ شيئًا إلاّ لحظة الازدحام. ينسى البقيّة. وفي الوقت نفسه، يطلب من الآخرين الحنان الذي يعجز هو عنه. يسهل عليه الكذب، لكنّه يصاب بنوبات رهيبة من الحقيقة. فظيعٌ بعض الشيء. سرّيّ بأقصى ما يمكن، لأنّه ينسى أجزاءً كبيرة من حياته، لأنّ أشياء قليلة تهمّه ـــ فنّانٌ بسبب عيوبه نفسها.

٢) الآخر، حسّاسٌ وكريم الأخلاق.

يجتمعان في النهاية (هما الشخص نفسه)، بالقرب من الأمّ.

*

آه يا أبتِ! لقد بحثت بجنونٍ عن ذلك الوالد الذي لم يكن لديّ، وها أنا أكتشف أنّه كان لديّ دومًا أمي وصمتها.

الحركات الخمس للمقطوعة الخماسيّة بنغمة (ج.) الصغرى لموزارت.

*

الحبّ وباريس. الجزائر. «لم نكن نعرف أن نحبّ».

كما سبق. طفولةٌ فقيرة. حياةٌ من دون حبّ (لا من دون تلذّذ). الأمّ ليست مصدر حبٍّ. مذّاك، يصبح تعلّم الحبّ أطول شيء في العالم.

*

يتقارب كائنان من خلال النظرات فقط (لنقل إنّها البائعة والزبون). عندما تحين الفرصة، يتعانقان. ماذا يقول هو؟ «ألديكِ وقت؟» ماذا تقول هي، بمَ تجيب؟ «سأقول إنّي ذهبت إلى مكانٍ ما».

*

التطوّر في قوّتين متساويتَي التوتّر هو توازنٌ أمثَل إذ يأخذ بعين الاعتبار الحدود ويُخضعها لمنفعةٍ عليا، وليس في فهمٍ عموديّ، ما قد يفترض أنّه من غير حدود.

*

مسرحيّة. ينتظرونه. يعود من المعسكر. يقول الحقيقة عن الحبّ (لأنّه أخطأ: لأنه يعرف الآن ما معنى أن تكون إنسانًا).

مشهد مع زوجته أمام صديقه فيلانت و(ج.) زوجة فيلانت. «مثلاً، لقد ضاجعت (ج.)... على كلّ حال، لست متأكدًا أنّك أنت وفيلانت». ــ فيلانت: «كلاّ. ليس لأنّ (ج.) لا تصلح للاستهلاك.

إنّما، ورغم أنّي لا أحبّ الحقيقة، فإنّي سأقولها استثنائيًّا. عندما رأيت أنّك أنت و(ج.)... ــ «كيف؟» ــ «أجل، كنت أعرف ذلك. بدءًا من تلك اللحظة، أصبح كلّ شيءٍ مستحيلاً بيني وبين زوجتك. فحركة الذهاب والإياب هذه منهكة! أنت من رأيي، أليس كذلك؟ تعالَ إذًا إلى العشاء غدًا؟ سوف تعدّ لك (ج.) طبقها الحارّ ــ البارد. إنّها لا تُقهر في الحارّ ــ البارد». نهاية الفصل.

إنّما حنانك! ــ أجل، ماذا بشأن حناني؟ كان موجودًا كأيّ شيءٍ آخر، بشكلٍ متقطّع ــ وبقيّة الوقت؟ ــ كنت أكذب بالطبع. ــ كنت أفضّل كذبكَ ــ بالطبع، لقد أحببتِ القيلولة دائمًا ــ ولكنّكَ وحشٌ! ــ وأنتِ يا ملاكي؟

كما سبق. على سبيل المثال، ابني غبيّ ــ آه! يقول الابن ــ أرأيت؟ أنتَ تعترض. هذا ردّ فعل شخصٍ غبيّ. الذكيّ يقبل دائمًا إمكانيّة، بالأحرى احتمال أن يكون غبيًّا في بعض المواضع. إذًا، ابني غبيٌّ (ينظر إليه). وليس بشكلٍ كامل مع ذلك. هو بالأحرى يتغابى. إنّه محتالٌ وهو يعرف بأنّ للغباء جوانب جيّدة للنجاح، إنّه الموقد الذي يجلس المجتمع من حوله لكي يتدفّأ.

كما سبق. الابن يصبح اجتماعيًّا. «عندما يجتمع المستوى الاجتماعي والمستوى الخاصّ... ــ ستصبح والدتكَ ذكيّةً؟ كلاّ، ولكن... ما عدنا نرغب بامرأة الغير؟ ــ بالتأكيد ــ لماذا، أتكون امرأتكَ ممتازة؟ ــ كلاّ... أعرف جيّدًا ما الذي تدبّره. تريد

استخدام قوى الآخرين الاجتماعيّة لكي تحلّ المشاكل الصغيرة في حياتك الخاصّة. دع عنك ذلك يا بنيّ. فشقاء الآخرين هو شأنهم الخاصّ. سوف يحلّون تلك القضيّة الصغيرة، فلا تخشَ شيئًا. ولكن لا تتدخّل. آه! لا تتدخّل.

كما سبق. إلاّ أنّه يغرم بدومينيك. فيعاود الكذب من جديد.

*

المثقّف الذي يطلب السماح.

«الأسوأ هو الإنجيل. أجل، كنت أقرأ الإنجيل، فأوّلاً لم يكن سواه في متناول يدي، ثم إنّني مع الوقت لاحظت وجود نقاط مشتركة ما بين المسيح وبيني هي أكبر عددًا ممّا هي ما بين شرطيٍّ وبيني. وعالم اليوم مكوّنٌ، في ثلاثة أرباعه، من رجال شرطة أو من معجبين برجال الشرطة.

*

رجلٌ حياته ملأى يرفض الكثير من العروض. ثم ينسى للسبب ذاته ما رفضه. بيد أنّ تلك العروض قُدّمت من قِبَل أُناس لم تكن حياتهم ملأى وهم لهذا يتذكّرون. من ثم، يكتشف الرجل أنّ له أعداءً فيستغرب. هكذا تقريبًا تخيّل كلّ الفنّانين أنّهم مضطهدون. إنّما لا، إذ كان يجري الردّ على رفضهم وكانوا يعاقَبون لفرط ثرائهم. لا يوجد ظلمٌ.

*

الرجل الأول.

المخطّط؟

١) البحث عن أبٍ.

٢) الطفولة.

٣) سنوات السعادة (مريض في العام ١٩٦٨). الفعل كفيضٍ سعيد. شعورٌ قويّ بالتحرّر والانفراج عندما ينتهي الأمر.

٤) الحرب والمقاومة (بير حكيم وصحيفة سرّيّة، بالتناوب).

٥) نساء.

٦) الأمّ.

اللاّمبالي. رجلٌ تامّ. عقلٌ ذو ذكاء حادّ، جسمٌ ماهر ومتدرّب على المتعة. يرفض أن يُحَبّ لقلّة صبره ولشعوره الدقيق بمَن هو. لطيفٌ وطيّبٌ في الرذيلة. متهكّم ورهيب في الفضيلة.

يستطيع فعل أيّ شيءٍ لأنّه قرّر قتل نفسه. سمّ السيانيد. يدخل إذاً في المقاومة حيث يظهر جرأة لا تُصدَّق. ولكن، في اليوم الذي ينبغي أن يستخدم السيانيد، يمتنع.

*

الرجل الأول.

البحث عن أبٍ.

المستشفى. الأمّ (وورقة البلديّة تلك التي تُعطى للمرأتين الأميّتين اللتين تقشّران رؤوس البطاطا في أعلى الدرج، وينبغي إدخال نائب العمدة وإعادة الورقة إليه لكي يقرأها)، الصحافة، الشرّاقة[1]، إلخ. يرى الأب يرتسم قليلاً. ثم يُمحى كلّ شيء. في الحقيقة، لا يوجد شيءٌ.

لطالما كان الأمر هكذا على هذه الأرض حيث، منذ ٥٠، ٧٠ عامًا...[2].

*

عام ١٩٤٠، التقى مايول بـــ (ف. ب.) وهو فنّان تشكيلي يهوديّ من رومانيا التجأ إلى كوليور هربًا من الألمان. صادفه في شارع، فتعرّف إلى الرسّام فيه ثم دعاه لزيارته لكي يريه رسومه. في اليوم التالي، زاره (ف. ب.) فاستُقبِل بترحابٍ كبير وشرح وضعه. «البيت بيتك»، قال (م.) كردٍّ وحيد. أمر بتقديم فنجان قهوة له، فتح الصندوق وهو يبتسم لــ (ف. ب.) وينظر أخيرًا إلى الرسم الأول، السورياليّ بوضوح. امرأة تنتهي كشجرة. انفجر مايول: «لا، لا، ليس هذا، هذا غير معقول. اخرج من هنا»!

*

---

(١) مدينة جزائريّة في منطقة الساحل.
(٢) البقيّة غير مقروءة.

نيتشه. «يتحدّثون جميعًا عنّي... إلاّ أنّ أحدًا لا يفكّر فيّ».

*

آلة التعذيب. «يجب توبيخه. يجب توبيخ طريقته القبيحة في التظاهر بالنزاهة في حين أنّه ليس نزيهًا». بضمير المتكلّم. عاجزٌ عن الحبّ. يرغم نفسه، إلخ.

*

ما يوافق عليه اليسار العميل، يمرّره بصمتٍ أو يحكم عليه بشكلٍ عشوائيّ بأنّه حتميّ:

١) ترحيل عشرات الآلاف من الأطفال اليونانيّين.

٢) التدمير المادّي لطبقة الفلاّحين الروس.

٣) ملايين الاعتقاليّين.

٤) عمليّات الخطف السياسيّة.

٥) الاغتيالات السياسيّة بشكلٍ يوميّ تقريبًا خلف الستار الحديدي.

٦) معاداة الساميّة.

٧) الحماقة.

٨) القسوة.

القائمة مفتوحة. إنّما يكفيني ذلك.

*

يوميّات تولستوي. ثلاثة شياطين: ١) القمار (الصراع ممكن).

٢) الشهوانيّة (الصراع صعبٌ جدًّا).

٣) الغرور (الأصعب من بين الكلّ).

يقول في رسالةٍ إلى خالته: «برأيي، لا يستطيع الإنسان أن يكون طيّبًا أو سعيدًا من غير الدين،... بيد أنّي لست مؤمنًا».

كما سبق. «الحقيقة رهيبة».

*

أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٥٣. إنّها لمهنة نبيلة حيث ينبغي تقبّل الإهانة من خادمٍ في عالم الأدب أو في حزب، من دون التفوّه بحرف! ففي عصورٍ أخرى يُقال عنها مخزية، كان يتمّ على الأقلّ الاحتفاظ بحقّ التحدّي والقتل، من دون إثارة الاستهزاء. هذي بلاهةٌ بالطبع، إلاّ أنّها كانت تجعل الإهانة أقلّ سهولةً.

*

هنالك أناسٌ يقوم دينهم على مسامحة الإساءة دومًا، وإنّما من دون نسيانها أبدًا. بالنسبة إليّ، لست من طينةٍ طيّبةٍ جدًّا لمسامحة الإساءة، غير أنّي أنساها دومًا.

*

أولئك الذين خُصّبوا في آنٍ واحد من قِبل دوستويفسكي وتولستوي، والذين يفهمونهما جيّدًا، الواحد كما الآخر، وبالسهولة نفسها. أولئك: طبائعُ مهيبة دومًا لذاتها وللآخرين.

*

أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٣. نشر حاليّات II، التعليق والسجال. من الآن فصاعدًا، الإبداع.

*

غداة الأزمات التاريخيّة الكبرى، نجدنا مستائين ومرضى بمثل ما نكون عليه صبيحة ليلة إسرافٍ في الشرب. إنّما لا يوجد دواء أسبرو لآثار السُكر التاريخي.

*

تلك الأفكار التي لا نقولها وترفعنا فوق كلّ الأشياء لتضعنا في هواءٍ حرّ وحيويّ.

*

يُقال إنّ نيتشه، إثر القطيعة مع «لو»، وقد دخل في حالةٍ من الوِحدة النهائيّة، كان يتنزّه ليلاً في الجبال المطلّة على خليج جنوى، فيشعل نيرانًا هائلة ويروح يتأمّل احتراقها. غالبًا ما فكّرت في تلك النيران وتراقص وميضها في خلفيّة حياتي الفكريّة كلّها. فإن حدث

ألاّ أكون منصفًا بحقّ بعض الأفكار وبعض الأشخاص الذين صادفتهم خلال القرن، فلأنّني وضعتها ووضعتهم، عن غير قصدٍ، في مواجهة تلك الحرائق فتحولّوا فورًا إلى رماد.

*

يحكي ملفيل عن موبي ديك في رسالةٍ إلى هاوثورن: «ها هي جملة تقديم الكتاب السرّيّة: أنا لا أعمّدك باسم...» [باللاتينيّة في النصّ].

كما سبق. «لدى تأليف هذا الكتاب، كنت واعيًا للبناء الاستعاريّ المرتكز إليه بأكمله، وكذلك كلّ جزءٍ من أجزائه».

كما سبق. بعد أن أتمّ موبي ديك وقرأ رسالة الإعجاب التي أرسلها هاوثورن: «ينتابني شعورٌ غريبٌ بالرضا وباللامسؤوليّة؛ لا رغبة البتّة بممارسة الفجور».

ومن ثم «أشعر بأنّي سأغادر هذا العالم بمرارةٍ؛ أقلّ بعد أن عرفتك».

مراجعة موضوع حكاية «الفشل السعيد»[1]: تسبيح الإله على هذا الفشل.

*

([1]) ملفيل، *الفشل السعيد: قصّة عن نهر هودسون*، في *كوكوريكو! وحكايات أخرى* (غاليمار ١٩٥٤).

نيتشه. من الممكن أن يوضع رجال الدين في مقدّمة الفنّانين.

*

نيتشه: فجر. «لا تكتم أبدًا، ولا تخفي أبدًا ما يمكن تفكيره ضدّ أفكارك الخاصّة. أقسِم على ذلك رسميًّا. إنّه فعل الولاء الأوّل المتوجّب عليك حيال فكرك».

ما وراء... [الخير والشرّ]: «إذا كنّا ذوي شخصيّة قويّة، فستعرف حياتنا حدثًا نموذجيًّا يعود بشكلٍ أبديّ». إذًا، المسألة هي: إيجاد الحدث وتسميته.

جينيالوجيا... [الأخلاق]: «من بنى أبدًا سماءً جديدة، ما وجد القوّة الضروريّة لهذه المهمّة *إلّا في أعماق جحيمه الذاتيّة*».

*

«تعدّد الأصوات» لدى بعض الطبائع.

*

نيتشه (*بشريّ، بشريٌّ جدًّا*): «بعد مضيّ وقتٍ وجيز، أصبحت مريضًا ـ بل أكثر من مريض ـ ومنهكًا بخيبة الأمل المتواصلة التي سبّبها كلّ ما كان يثير الحماسة فينا، نحن أهل الحداثة...».

... «هنا، يتكلّم رجلٌ يقاسي العذاب والحرمان، ولكنّه يتحدّث كما لو كان لا يقاسي العذاب ولا الحرمان».

... «وحدانيّ من الآن فصاعدًا، أقف ضدّ نفسي، منحازًا بالضبط إلى كلّ ما يعاكسني ويعذّبني».

*

هدفٌ وحيدٌ وعملاق: معرفة الحقيقة.

العود الأبديّ: الإشادة بما هو كائن وعبادة أن يعود. (فمن دون ميتافيزيقيا، لا يتبقّى بالفعل إلاّ ذلك).

بطاقة إلى «لو» (١٨٨٢). «طريح الفراش. نوبةٌ حادّة. إنّي أحتقر الحياة».

*

ضرورة الأرستقراطيّة. في الوقت الحالي، لا يمكننا تصوّر إلاّ اثنتين: أرستقراطيّة الذكاء وأرستقراطيّة العمل. بيد أنّ الذكاء وحده ليس أرستقراطيّةً. ولا العمل أيضًا (الأمثلة في الحالتين بديهيّة). فالأرستقراطيّة ليست، قبل كلّ شيء، التمتّع ببعض الحقوق، وإنّما هي، قبل كلّ شيء، تقبّل بعض الواجبات الكفيلة وحدها بجعل الحقوق شرعيّةً. وهي في الآن نفسه، توكيد الحضور والانسحاب. للخروج من الذات (تعريف الواجب)، لا يمكن للذكاء أن يذهب باتّجاه الامتيازات. إذ يشكّل بعضُها جزءًا منه، والبعض الآخر عكسه. ولا يقوم الواجب على توكيد الذات ولا على إلغائها، وإنّما على خدمة ما نؤكّده. لا يستطيع الذكاء، إذًا، إلاّ أن يذهب باتّجاه

العمل الذي هو واجبه وحدوده. ولا يمكن للعمل، من جانبه، أن يذهب باتّجاه التغبية (من غباء) الواعية أو غير الواعية (الإذلال المعمّم للذكاء)، التي هي نفسها أو عكسها (انظر أعلاه). وبالتالي، لا يمكنه الذهاب، إذًا، إلاّ في اتّجاه الذكاء. في النهاية، ليست أرستقراطيّة العمل وأرستقراطيّة الذكاء ممكنتَين في الوقت الحاليّ، إلاّ إذا اعترفتا الواحدة بالأخرى وبدأتا تسيران إحداهما نحو الأخرى لكي تكرّسا ذات يومٍ صورةً وحيدةً ومتفوّقةً عن الإنسان.

*

كان فرضُ إخفاء جزءٍ من حياته يُضفي عليه مظهرَ الفضيلة.

*

المصدر الوحيد للأرستقراطيّة هو الشعب وما بين الاثنين لا يوجد شيءٌ. منذ ١٥٠ عامًا، يسعى هذا اللاشيء الذي هو البرجوازيّة، إلى إعطاء شكلٍ للعالم، فلا يحصل إلاّ على العدم وعلى فوضى لا تستمرّ على قيد الحياة، إلاّ بسبب جذورها القديمة.

*

فالبول. «تفكيره السليم كان يبلغ حدّ النبوغ».

*

استعمال عيوبنا، والحذر من فضائلنا.

*

بروباخر[1].«ليس على أحدٍ أن ينتج من حبّ البشر أو الأخلاق أكثر ممّا يفرز طبيعيًا». كان يرى بأنّ مهمّة الفيلسوف المناضل تقوم على تشجيع كلّ عوامل الحرّيّة، في الطبقات كافّة.

*

(و) ويتمان. «عندما ترحل الحرّيّة مكانًا ما، فهي لا تكون الأولى. إذ تنتظر رحيل الكلّ، فتكون الأخيرة».

*

فان غوغ، الملتصق بامرأةٍ من العامّة تدعى كريستين، سيتخلّى عنها من ثم في مستشفى التوليد. يستيقظ غوغان ليلاً فيرى فان غوغ منحنيًا فوقه وهو يحدّق فيه بثبات. في مصحّ سان ــ ريمي، يضرب الكونت دو (غ) صدره بقطعة خشبٍ، مردّدًا: «عشيقتي، عشيقتي!».

*

يروي سالاكرو في الملاحظات التي ترافق الجزء السادس من مسرحيّاته، الحكاية التالية: تعلن فتاةٌ صغيرة تقترب من عيد ميلادها العاشر: «عندما أصبح كبيرةً، سأنتسب إلى أقسى وأفظع حزبٍ». وحين تُسأل عن الأمر، تُجيب: «إذا كان حزبي في السلطة فلن أخشى شيئًا، وإذا كان الحزب الآخر فسوف أتعذّب أقلّ ما دام

---

[1] فريتز بروباخر، *الاشتراكيّة والحرّيّة*، (لا باكونيير، ١٩٥٤).

الحزب الأقلّ قسوةً هو الذي سيضطهدني». أنا لا أصدّق كثيرًا حكاية البنت الصغيرة تلك. لكنّني أعرف جيّدًا هذا التفكير. إنّه تفكير مثقّفي فرنسا العام ١٩٥٤، غير المعترف به وإنّما الفعّال.

*

كان والد دوستويفسكي يسوط الفلاّحين الذين كانوا يحيّونه، وأولئك الذين لا يفعلون. فقد كانوا في الحالتين برأيه وقحين. وبوفاة زوجته التي أذاقها الأمرّين، كان يسكر ليلاً ويحادثها، متّخذًا طورًا صوت امرأةٍ، وتارةً صوت رجلٍ. ثم اغتيل. الرأس مهشّمٌ، والعضوُ الذكريّ مهروسٌ بين حجرين. بعد مرور شهرين، فإنّ (د.) الذي كان يكره والده يرى دفنًا، فيقع ويتأفّف.

*

كما سبق. سبيكينوف من أتباع بتراشيفسكي[1] ـ «رجل السخريّة والحرّيّة والقوّة» و«كلّ شخص مذنب في كلّ شيء»،

---

(1) بتراشيفسكي هو منشّط حلقة فكريّة كانت تناقش فيها أفكار جديدة. وكان دوستويفسكي وشقيقه يرتادانها منذ العام ١٨٤٧. داخل تلك الحلقة، كان سبيكينوف يشرف على اتّجاه أكثر راديكاليّة. فهو ممّن شكّلوا قدوة لستافروغين. في ليلة ٢٢ ـ ٢٣ أبريل/نيسان ١٨٤٩، يُلقى القبض على دوستويفسكي مع ثلاثة وثلاثين عضوًا من حلقة بتراشيفسكي.

بالنسبة إلى الكلّ». الجذر الاشتقاقي لستافروغين: *ستوروس*: الصليب.

*

كراهية الروس للشكل الذي يحدّ. فهم قد دفعوا الثورة إلى نهاياتها. كتب بردياييف في مكانٍ ما أنّهم لم يعرفوا أبدًا عصر نهضة. القلق، دائمًا، كما سبق. وبحسب بردياييف، كانت لغياب الفروسيّة عواقب كارثيّة على الثقافة الروسيّة الأخلاقيّة.

*

كارليل، نيتشه، دوستويفسكي، هل هم ثوريّون؟ ومع ذلك، فهم يُعتبرون مناهضين للثورة.

*

اقتباس «الممسوسون».

مراجعة بردياييف. «شاتوف، فرخوفنسكي، كيريلوف، إنّهم أجزاء من شخصيّة ستافروغين المفكّكة المبعثرة، وانبثاقاتٌ لتلك الشخصيّة الاستثنائيّة التي تستنفد ذاتها أثناء تبعثرها. لغز ستافروغين، سرّ ستافروغين، ذلك هو الموضوع الوحيد لـــ *الممسوسون*».

أطروحة دوستويفسكي: الدروب نفسها التي تودي بالفرد إلى الجريمة، تودي بالمجتمع إلى الثورة.

فرخوفنسكي: «القوّة الأكثر أهمّيّةً للثورة هي الشعور بالعار حيال امتلاك رأيٍ شخصيّ».

مراجعة غواردديني[1]، ص ٤٠ ــ ٤١ و٢٠٢.

*

عند احتضاره، يأسف كاهنٌ لهجر كتبه! ماذا، ألا تتفوّق المتعة العنيفة للحياة الأبديّة بشكل لامتناهٍ على الرفقة المعذّبة للكتب؟

*

٨ *مايو/أيّار*. سقراط ديان بيان فو. كما في عام ١٩٤٠، مشاعرُ متراوحة ما بين العار والغضب.

عشيّة المجزرة، الحصيلةُ واضحةٌ. لقد وضع سياسيّون يمينيّون أُناسًا أشقياء في وضعٍ تستحيل حمايته، في حين كان أهل اليسار يطلقون عليهم النار من الخلف في الآن نفسه.

*

بحسب جونسون (بوزويل[2])، تكمن اللياقة الكاملة في عدم حمل بصمة أيّ مهنةٍ اعتياديّة. وإنّما على العكس، في الشعور بارتياحٍ عامٍّ في الطرائق والظروف كافّةً.

كما سبق. الزواج ثانيةً: «إنّه انتصار الأمل على التجربة».

---

(١) رومانو غواردديني، *عالم دوستويفسكي الدينيّ*، (لوسوي، ١٩٤٧).
(٢) جايمس بوزويل، *حياة صامويل جونسون*، (غاليمار، ١٩٥٤).

كما سبق. صديقٌ لــ (ج): «لقد حاولت في زمني أن أكون فيلسوفًا، ولكن لا أعرف لمَ كان الفرح يقاطعني دومًا».

كما سبق. عندما سنجتمع لوقتٍ معيّنٍ، سوف ترى أنّ أخي مسلٍّ جدًّا.

ــ «سأنتظر يا سيّدي، يقول (ج.)».

*

تعلّم سقراط الرقص في سنٍ متقدّمة.

*

جونسون: «لا أحد يكون خبيثًا حين يتعلّق الأمر بسلواه».

قبل وفاته، تصوّر «فكرةً غريبةً»: نحن لا نتلقّى في قبرنا رسائل.

*

دون جوان فاوست[1].

١) أن تكون محقًّا.

٢) لا شيء مُجاز.

---

(١) مشروع مسرحيّة كان يُفترض أن تمزج في شخصيّةٍ واحدة أسطورتَي دون جوان وفاوست.

٣) يوافق على خدعة الرهبان الفرنسيسكان الذين يقتلونه[١].

إكس أن بروفانس؟ نزعة رومنطقيّة؟

قد يكون سغناريل «السيّد عَدم» في «قصيدة الفلاسفة المُرتَجَلة». وهو مَن يعلن «سوف لن يأتِي»، (يؤنّب والد دونًا أنّا التي تستنطق دون جوانِ بشأن عيوبه. انظر القصيدة المرتجلة).

دون جوان هو فاوست من دون الميثاق ــ (للتطوير).

الفصل III، في البرازيل مع العبيد. الفصل IV، الفصل V يصبح رجلاً ووحدانيًا. *وحدانـيٌّ مع الجميع.*

(د. ج.). توقيع ميثاق مع الشيطان وإنّما من دون الشيطان. *المراهنة لصالح العالم*، الإحساس والاستمتاع هما توقيع ميثاقٍ مع الشيطان. *المراهنة لصالح العدالة*، هي أيضًا توقيع ميثاق.

*

بطلبٍ من ماسّينيون، كتبتُ إلى رئيس الجمهوريّة طالبًا العفوَ عن محكومي [مدينة] المُكنين[٢] بالإعدام. بعد بضعة أيّام، وقعتُ على الإجابة في الصحف: لقد تمّ إعدام ثلاثة من المحكومين رميًا

---

(١) مراجعة *المفكّرة I*: «بالنسبة لدون جوان. مراجعة معجم لاروس: الرهبان الفرنسيسكان يقتلونه ويجعلونه يبدو وكأنّه قد صُرِع على يد الفارس الآمر».

(٢) عام ١٩٥٤، حُكِم بالإعدام على سبعة تونسيّين قاموا باغتيال ثلاثة رجال شرطة. رسالة كامو إلى الرئيس كوتي تعود إلى ١٢ أبريل/نيسان ١٩٥٤.

بالرصاص. وبعد خمسة عشر *يومًا من تنفيذ العقوبة*، أنبأني مدير مكتب الرئاسة بأنّ رسالتي قد «حظيت باهتمام» الرئيس وأُرسِلت إلى المجلس الأعلى للقضاء. بيروقراطيّة حالمة.

*

مليونا نقابيّ على أحد عشر موظّفًا. في العام ١٩٤٧، كان يوجد سبعة ملايين نقابيّ.

*

مسرحيّة. رجلٌ سعيد. ولا أحد يستطيع تحمّله.

*

في الماء، تصبح السلحفاة طيرًا. وفي قلب المياه الدافئة، تطفو سلحفاة البحار الحارّة، الكبيرة، كطائر قطرسٍ جميل.

*

موسيقى من دون نغم، موسيقى للأصوات، للصوت المحموم الخاصّ بالإنسان الحديث.

*

رسالة إلى (م). «لا تلعني الغرب. فأنا فيما يخصّني قد لعنته في زمن تألّقه. إنّما اليوم حيث ينوء تحت ثِقَل أخطائه ومجده الطويل جدًّا، فإنّي لن أرزّحه مزيدًا... ولا تحسدي لدى أبناء

الشرق التضحية بالذكاء وبالقلب على مذبح آلهة التاريخ. فليس للتاريخ آلهةٌ، والذكاء الذي يُنيره القلب هو الإله الوحيد الذي حيّاه هذا العالم أبدًا بألف شكلٍ».

*

تشيخوف: «ليس المجد هو الأساسيّ بالنسبة إلى كاتب... وإنّما الصبر الذي ينبغي مقاساته». «حَمّل الصليب والاحتفاظ بالأمل».

*

مدرسة *النقّاد*: «قوانين» المسرح.

ــ إذا كنت قد فهمتُ جيّدًا يا سيّدي، فيجب أن أتّبع، وبكلّ دقّة، القوانين التي لم يمتنع عن خرقها لا إسخيلوس، ولا شكسبير، ولا كالدرون، ولا كورناي، وأخيرًا، ولا أيٌّ من كبار المسرحيّين العباقرة.

ــ من الأصحّ القول إنّه كان بإمكان شكسبير وإسخيلوس والآخرين أن يسمحوا لأنفسهم بخرق تلك القوانين.

ــ إذا ما اتّبعت نصائحك، لن أكون إذًا لا هذا ولا ذاك من هؤلاء المبدعين الكِبار.

ــ وهل تدّعي بأنّك واحد منهم!

ـ واحدٌ منهم، كلاّ. ولكن، قد أصبح واحدًا منهم. وإلاّ، فلمَ الكتابة؟ سأفشل، هذا أمرٌ شبه مؤكّد. إلاّ أنّ المحاولة ستضفي على حياتي مذاقًا تنتزعه أنتَ منّي مسبقًا. في النهاية، لقد وُلِد شكسبير من مائة مجنونٍ مدّعٍ ويائسٍ كانوا يريدون أن يكونوا شكسبير. أمّا فيما يتعلّق بـــ فيدو، فهو لم يخرج إلاّ من فيدو (لاحظ، إنّه يضحكني، ولكن نادرًا جدًّا لأكثر من فصلٍ واحد).

*

مسرحيّة. الملك لير هو اليوم أرستقراطيّ استولى الاشتراكيّون على أملاكه وثروته.

كما سبق. كشخصيّةٍ، ما عاد كاليغولا يتّهم العالم، وإنّما ذاته.

*

وفاة مرسيل هيرّان[1].

*

غالبًا ما يكون الأناس الفاضلون مواطنين جبناء. في جذور الشجاعة الحقيقيّة، خللٌ ما.

*

([1]) ذِكر اختفاء مرسيل هيرّان، عام ١٩٥٣، ثمانية أيّامٍ قبل افتتاح مهرجان طنجة الذي كان هو مديره. وقد حلّ ألبير كامو مكانه.

بحسب وجوديّينا، كلّ إنسانٍ مسؤول عمّا هو. هذا ما يفسّر الزوال التامّ للرحمة في عالمهم المؤلّف من عجائز عدائيّين. ومع ذلك، فهم يزعمون أنّهم يكافحون الظلم الاجتماعي. هنالك إذًا أناسٌ غير مسؤولين عمّا هم. البائس بريءٌ من بؤسه. وإذًا؟ المعوّق، القبيحة، الخجول. وفي النهاية، الرحمة من جديد؟

*

بريكليس أمام قبر رجلٍ شابّ: «لقد فقدت السنةُ ربيعَها».

*

عندما كانوا يتحدّثون عنّي كـ «مدير» (إنّه شخص يعلم باختصار الاتّجاه الصحيح) كان جزءٌ منّي ينتفخ طبعًا بغرورٍ أحمق. إلاّ أنّ جزءًا آخر لم يتوقّف عن الموت خجلاً، خلال تلك السنوات كلّها.

*

(م. هـ.)[1]. مظهر المحتضرين الحزين بشكلٍ مرعب ــ والمظهر المتصلّب الريفيّ لأولئك الذين يحضرون النزاع الأخير. هو الاجتماعيّ جدًّا، ومن ثم فجأةً مطارَدٌ تقريبًا في ذلك المضجع حيث وحيدًا...

*

---

(1) مرسيل هيرّان.

هنالك لحظاتٌ يساوي فيها الاستسلام للصدق تراخيًا لا يُغتفر.

*

الرجل الأوّل: مراحل جيسيكا: الفتاة الصغيرة الحسيّة. الصغيرة المُغرَمة والمولهة بالمطلق. العاشقة الحقيقيّة. الاكتمال خارج التباس البدايات.

«عندما كنتُ في أقصى حبّي لها، كان في أعماقي واحدٌ يبغضها لما فعلته ورأته وقاسته. لما قاسته على وجه الخصوص. كنتُ أكرهها لأنّها لم تنتظرني، ميّتةً، حتى ساعة الصباح الأولى. وكنتُ أكرهها في حضور شخصٍ آخر يضحك في داخلي من ذلك الادّعاء التافه».

*

يونان. إنّها أزمة السكن. ثم إنّ اللوحات تتراكم وتستولي على مكانه. من هنا العلّيّة.

في لحظة توقّفه عن العمل ــ «كان يسمعهم يتراكضون عبر الغُرف... الحياة، الضجيج الذي يصدره البشر، كم كان ذلك جميلاً. كانت الفتاة الصغيرة تضحك. كم كان يحبّهم! كم كان يحبّهم!».

*

مسرحيّة. الكاذب. ١) إنّه يكذب. ما بين امرأتين.

٢) إنّه يقول الحقيقة.

٣) أمام الكارثة، إنّه يكذب مجدّدًا. (تُمزّق الورقة التي قد تخلّصها من الكذب).

*

مسرحيّة حول استحالة الوحدة. *إنّهم دائمًا هنا* [١].

*

رواية. تحيّات صداقة (إلى ولدي الذي سيعاود البدء من جديد).

*

ما يتحمّله الإنسان بأكبر صعوبةٍ، هو أن يُحاكم. من هنا التعلّق بالأمّ أو بالعاشقة التي يعميها عشقها، ومن هنا أيضًا حبّ الحيوانات.

*

قنبلة نوويّة ــ حراريّة: من هذه الزاوية، يتطابق الموت المعمّم في النهاية مع الشرط الإنسانيّ. يكفي إذًا تصحيح المسار. وسوف نستعيد أوّل المشاكل وأقدمها. بعد بلوغ اللانهاية، نعاود البدء من الصفر. الانتقال الثاني للمشكلة: لم تعد الكارثة الكونيّة من صنع الإله، وإنّما من صنع البشر. فقد تمكّن البشر أخيرًا من

---

(١) موضوع قريب من موضوع *يونان*. عام ١٩٥٣، كتب كامو مسرحيّة إيمائيّة، *حياة الفنّان*، حيث يمنع الأشخاص الاجتماعيّون والأصدقاء والأتباع رسّامًا من العمل.

التساوي بالإله، وإنّما في قسوته. علينا بالتالي أن نبدأ من جديد عصيان العصور القديمة، إنّما ضدّ البشريّة هذه المرّة. نحن نطالب بإبليسٍ جديدٍ ينكر عَظَمة البشر.

*

عجيب. يقول الكبير: «يهوديّ قذر». فيضربه الصغير. كان ينبغي أن يضربه، إنّما لم يكن راغبًا. فهو لم يكن يكره ذلك الرأس الذي كان يضربه... والآخر أيضًا لم يكن راغبًا. لم يكن راغبًا بمناداة ذلك الصغير اللطيف جدًّا بـ «يهوديّ»، ولم يكن راغبًا بضربه. ولكن، كان ينبغي الردّ والضرب.

*

حكايات خياليّة.

*

المسيح ـ بان.

علم الجمال. يحدث أن ننطلق بفعل الانفعال والعاطفة، فتنفجر الصرخة. وفي مرّاتٍ أخرى، نذهب للقاء الانفعال الذي ما زال حيًّا في الذاكرة، من خلال دورةٍ كبيرةٍ من الجُمل والكلمات التي تقودنا إليه في نهايته، فتبعثه من جديد بالفعل حيًّا، لا كصرخةٍ، وإنّما كموجةٍ كبيرةٍ اتّساعها...

كما سبق. إذا قلتُ إنّ «أنفه كرأس القرع» فلن يكون كلامي معبّرًا، أمّا «كالدرّاقة»، فنعم. هكذا يكون الفنّ مبالغةً محسوبةً.

*

قصّة حبّ شار ولبوة في «حديقة النبات». يمسك برأسها من بين القضبان. تنقلب. وتفتح قوائمها القصيرة...

*

على دروب العالم كلّه، سبقتنا ملايين البشر وما زالت آثارهم باديةً. إنّما، على البحر الأكثر قِدمًا، فصمتنا هو دائمًا الأول.

*

لا أحد يستحقّ الحبّ ـ لا أحد على مستوى هذه الهِبة التي لا حدود لها. لذا، اكتشف من تلقّاها الظلمَ.

*

لو لم أرضخ لشغفي، لكنت ربّما حصلت على ما يمكّنني من التدخّل في العالم وتغيير شيءٍ ما فيه. لكنّني رضختُ له ولذا فأنا فنّانٌ، وفنّانٌ فقط.

*

دائمًا حاول أحدٌ ما في داخلي، وبكلّ ما أوتيَ من قوّة، ألاّ يكون أحدًا.

*

في أقصى تلك الفكرة الطويلة، في البعيد، تحترق نَعَم الكلّيّة.

*

في اللحظة نفسها حيث كنتُ أضع الحدود بعد جهدٍ هائل، معتقدًا أنّني جمعتُ ما لا يجتمع، كانت الحدود تختفي فأهوي في الشقاء الصامت.

*

الدفتر رقم VIII

أغسطس/آب ١٩٥٤
يوليو/تمّوز ١٩٥٨

١٥, ٨, ١٩٥٤

السيمفونيّة الرابعة بالنغمة الخامسة العليا من السلّم الموسيقي لأصوات سوبرانو وأوركسترا، من ماهلر. يجعلنا ماهلر نقدّر فاغنر أحيانًا إذ يُظهر، بالتناقض، إلى أيّة درجةٍ كان هذا الأخير متحكّمًا بضبابيّته. وفي أحيانٍ أخرى، ماهلر عظيمٌ جدًّا.

*

١٧, ٨, ١٩٥٤. يقول لي فلان: «لماذا لا نتقبّل فكرة الحياة الأزليّة؟ لأنّها في النهاية غبطةٌ تفتقد إلى الوعي ـ في حين أنّنا نريد أن نكون، أي أن ندرك أنّنا كائنون. إذًا، لمَ نأخذ على العالم ما يمنحنا الوعيُ بالضبط إيّاه، أي الشرّ والعذاب (ذلك هو بالفعل تناقض الإلحاد الحديث)؟ أنا، لطالما تقبّلت العذاب بنوعٍ من الفرح، فرح أن أكون». أجيبه: هنا تكمن العبقريّة. العبقريّة؟ أجل، عبقريّة الحياة التي تحملها هي وحدها بفخرٍ طبيعي، من بين كلّ الكائنات التي التقيتُها.

*

١٧. بيرل[١].

من الأسهل على المثقّفين قول لا من قول نعم. في نهاية حياته، وفيما كان يتأمّل حجم ما أنتجه من أعمال، انتبه الطبيب روكلو الذي كان قد انحاز إلى جانب دريفوس، أنّه لم ينتج منذ عامين شيئًا. آه! أجل، دريفوس. كان قد كرّس ذينك العامين *لدراسة* ملفّات القضيّة. اليوم، تُتّخذ مواقف استنادًا إلى قراءة مقالة وحيدة.

ما بعد ظهيرة ضائعٌ سدًى.

*

١٨.

لن أنجو. الانتحار. ماذا ينتظر إذًا من كان بالأصل ميّتًا؟ مدافن آنيه حيث كسر اللبلاب بلاطةً قديمة.

عشتُ لسنواتٍ أسيرَ حبّها. اليوم، عليّ الهرب ما دمت لم أتوقّف عن حبّها، عن حمل همّها الصعب على الأقلّ.

*

١٩.

صبيحةٌ رهيبة. ما بعد الظهيرة، معرض سيزان: لوحات أولى مرضيّة ومجنونة (الهاجس الجنسيّ بالتحديد). يتطلّب جنونٌ من هذا

---

(١) إيمانويل بيرل ١٨٩٢ ــ ١٩٧٦. كان قد أصبح صديق كامو.

النوع الانضباط الرهيب الذي عُرِف عن سيزان. المجانين وحدهم كلاسيكيّون لأنّهم إمّا هكذا، وإمّا لا شيء. لقد دفع (س) التطلّبَ لبلوغ حدّ فوضاه واختار الطبيعة الميّتة والمناظر الطبيعيّة حيث كان يمكنه إيجاد شكلٍ معماريّ، هندسة. نحو النهاية، رجع إلى الأجساد والوجوه واستعاد جنوناً، الجنون الذي كان قد تمكّن من ضبطه. التكعيبيّة هنا منظّمة (مُعلَنة[1]).

البريد.

*

.٢٠

البريد. يومٌ ميّت.

*

.٢٥

نهارٌ ميّت. (ن. أ.) (دُوران، مجنون إثر إصابته بشلل نصفيّ بعد أن صدمته سيّارة. حمت زوجته وعشيقته السابقة اللوحات وقد وضعتاها تحت الشمع الأحمر، فيما كان هو يهذي داخل عيادة).

---

(١) كلمة غير مقروءة.

باب الجحيم[1]. فيلم ياباني أميركي بعض الشيء. إنّما بربريّة فنّنا نحن مقارنةً به.

*

.٢٢

طبيعة «إيل ــ دو ــ فرانس» الحزينة والعاقلة.

*

.٢٣ ــ ٢٤

نهاراتٌ ميّتة. غداء مع بيرل.

*

.٢٥

العمل، ما عدا صباحًا. متحف الإنسان. أخرجُ منه ممتلئ الفم رمادًا، من ذلك الرماد العظميّ الذي للهياكل العظميّة والمومياء. مومياء من البيرو: [...][2] من التاريخ. من كانت يا تُرى؟

فعلٌ وكتابة: هم ليسوا على يقينٍ بأنّهم محقّون، إلاّ أنّ عدم اليقين هذا يتسبّب لهم بتأنيب ضمير. سوف يكتبون إذًا لكي

---

(1) *باب الجحيم (جيكوغو ــ مون)*، فيلم من إخراج كينوغازا، نال الجائزة الكبرى في مهرجان كان ١٩٥٤.
(2) كلمة غير مقروءة.

يتخلّصوا من تأنيب الضمير، وهم سيبحثون لذلك عن براهين جديدة سوف يجدونها، فيجزمون إذًا أكثر بقليل. وسوف يفعل المقابلون لهم الشيء نفسه، فتتصلّب المواقفُ وتعادل التأكيداتُ المتكرّرة أفعالاً سوف تستفزّهم عمّا قريب. هكذا، يكون لدى الفريق الفائز ما يكفي من التهم يوم الفوز. ولشدّة تهرّبهم من تبكيت ضمائرهم، سيكون المهزومون قد وجدوا الشعور الحقيقيّ بالذنب، فيدفعون الثمن لأنّهم ما أرادوا ذلك. وفي يومٍ آخر، سيخسر الفائزون بدورهم وسيُحاسَبون لأنّهم ما أرادوا ذلك. التاريخ جريمةٌ طويلةٌ يرتكبها أبرياء.

*

٧ سبتمبر/ أيلول

عودة الأطفال. لا تستطيع كاترين النوم لأنّها تخشى أن تموت (إذ تشعر بألم في الصدر). أن يعذّب القلق تلك الكائنات الصغيرة، أليست هذي حقًّا الفضيحة الأخيرة؟

*

٨ سبتمبر/أيلول

هاتفتني (ن. أ.): لقد توفّي دُوران. مصابٌ بشللٍ نصفيّ، مجنونًا ومضطهدًا من قِبَل امرأته التي حجزت لوحاته ووضعتها

تحت الشمع الأحمر. (ن. أ.) يائسة. لا شيء يمكن عمله. مسكينٌ دُوران الذي أحببتُ قوّته الفظّة. حيٌّ أكثر ممّا تحتمل حياته.

*

بالنسبة إلى فلان (وعائلته)، يوجد خلطٌ ما بين الحبّ والعذاب والقلق. فأن تحبّ يعني أن تتعذّب من أو لأجل. بالنسبة إليّ، لم يفترق الحبّ أبدًا عن حالةٍ معيّنة من البراءة الفرِحة. وأنا، ما كدت التقيهم حتى غرقت في مشاعر الذنب فما عدت قادرًا أن أحبّ بشكلٍ فعليّ.

*

.٢٠

ليس الموت هو ما يخيفني، وإنّما أن أعيش في الموت.

ليس في الفناء ما يخيف مَن عاش كثيرًا.

ليس الإله ضروريًّا لخلق مشاعر الذنب أو للعقاب، فالكائنات كافية وافية. إنّما يمكن الإله ربّما أن يؤسّس للبراءة.

*

.٢١

كيف يبشّر بالعدالة مَن لم يتمكّن حتى من جعلها تحكم حياته؟

كان القاتل قد تعرّى من أجل قتل عائلته، ضربًا بالفأس.

(م.): «أنتَ كتوم، طيّب، وأحياناً (للتعويض عمّا هو منفّر في الطيبة) أنتَ شغوفٌ وظالمٌ».

*

٥ أكتوبر/تشرين الأوّل[1].

ليلاً، ديكور مدينة روتردام المنتصبة بكلّ هياكل مبانيها المضيئة فوق قنواتها.

*

لاهاي.

هذا العدد كلّه، المجتمع في فضاءٍ صغيرٍ من البيوت والمياه المتلاصقة بصمت. كانت تمطر على المدينة بأكملها، طويلاً ودونما توقّف، في حين كان أطفالٌ صغارٌ قبيحون ومشاكسون ينظّمون سَير السيّارات الساكنة و[...][2] الجميلة، قضبان المتحف الملكيّ من أجل غسل الزخارف المترفة فوق مداخل الأبنية. وكانت ما تزال تمطر، وعازف بيانو يركب درّاجة هوائيّة بثلاث عجلات

---

(1) زار كامو هولندا في أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٥٤ . نجد أثر هذه الزيارة في ديكور *الانهيار*. وأصلاً، تنبئ ملاحظات ٢٠ و٢١ سبتمبر/أيلول حول مشاعر الذنب والعدالة، بهذا الكتاب.

(2) ثلاث كلمات غير مقروءة.

ويعزف مقطوعة «حزن» لشوبان يرافقه [...][1] عازفُ قيثارة ومتسولٌ أنيقٌ يجمع قِطعًا نقديّة مُحسنِة ــ صَدقاتٌ ترنّ برخاوةٍ، موجّهةٌ إلى آلهة إندونيسيا المكشِّرة التي تُرى في الواجهات أو تهيم غير مرئيّة في أجواء هولندا، تأمّل حنينَ المستعمرين الذين خسروا أملاكهم هناك. جافا، أيّتها الجزيرة النائية التي كان أبناؤها يقدّمون القهوة هنا، عندما كانت تمطر أيضًا وأيضًا، وتطفو في الهواء المبلول الذكرى الرائعة للفتاة الشابّة الواقفة في الباب، ينبوعًا لا ينضب، نور المسلول وصمت شقيق رامبرانت العجوز الذي تنتظر عيناه، دونما رغبة إلى البلاد الأزليّة.

*

٦ أكتوبر/تشرين الأوّل

تمطر أيّامًا و[...][2] الهواء البارد. كان ذلك هناك، في روتردام المطليّة حديثًا بالنيكل وفي أمستردام المبلولة دائمًا؛ وهنا، في لاهاي، جالسين على درّاجاتٍ مرتفعة المقود كبجعٍ مأتميّ، نقوم بجولةٍ حول فيغفر البارد، ما بين أسماك الأنكليس الحيّة في سوق السمك، والحليّ الرائعة في الواجهات القبيحة حيث اللون لون الأوراق اليابسة الملتصقة بالأرض أينما كان، وأسماك الرنكة

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) أربع كلمات غير مقروءة.

المدخّنة التي أبحرت طويلاً في بحار الذهب العتيق. آه سيبانغو، هناك وهنا [...][1] هولندا، هولندا العذبة حيث نتعلّم الصبر[2] حتى الموت.

*

اعتناق الجدّيّة. الجدّيّة هي الكذب المقبول والعاهة المُعترف بها. وهي الصدق الهادئ بالنسبة إلى كلّ ما تبقّى.

*

دون جوان[3].

هي: لقد عرفتُ دومًا أنّك لم تكن تحبّني.

لكن، كنت أحبّكَ.

أنتَ لم تكن تكلّمني وكنتَ أحيانًا تنظر إليّ ولا تراني.

هو: أنا لا أغوي، وإنّما أتكيّف.

*

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) كلمة مشكوكٌ بقراءتها.

(3) لطالما راود موضوع دون جوان كامو، منذ مدينة الجزائر وفي العام ١٩٣٧، حيث أخرج ولعب *دون جوان* لبوشكين في «مسرح العمل»، وحتى هذه الملاحظات التي نقع عليها غالبًا في *المفكّرة* منذ العام ١٩٤٠. وقد سبق أن رأينا في الدفتر رقم VII، أنّه كان ينوي كتابة *دون فاوست*، من خلال المزج بين أسطورتَي دون جوان وفاوست.

ليست الثورة عكس ردّ الفعل، وإنّما الإبداع. العالم باستمرارٍ في حالة ردّ فعلٍ وإذًا، هو بالتّالي، وباستمرارٍ، في خطر وقوع ثورة. إذا كان ثمّة ما يحدّد التقدّم، فهو أن يجد مبدعون في كلّ الحقول، ودونما تسويف، الأشكالَ التي تنتصر على روحيّة ردّ الفعل والجمود من دون أن تكون الثورة ضروريّةً. حين يُفتقد أولئك المبدعون، تكون الثورة حتميّةً.

*

بحسب كوستلر، كان القانون التركيُّ القديم يعتبر ظرفًا مخفّفًا أن تكون الجريمة قد ارتُكِبت من قِبل [...][١].

*

صريمة الجدي. عطرها متّصل بالنسبة إليّ بمدينة الجزائر. فقد كان شذاها يطفو في الشوارع الصاعدة نحو الحدائق المرتفعة حيث تنتظرنا الفتيات. الكروم، الشباب...

*

لوردة الصباح البيضاء رائحةُ ماءٍ وفلفل.

*

---

(١) كلمتان غير مقروءتين.

جوليا[1].

الفصل الأخير: (ج.). أنا بشعة.

دلامبير: أجل.

*

كلّ ما فيّ وما في الكائنات، ويشدّني نحو الأسفل.

*

١ نوفمبر/تشرين الثاني

أقرأ غالبًا أنّي ملحد وأسمع كلامًا عن إلحادي. إلاّ أنّ هذه الكلمات لا تخاطبني ولا تعني لي شيئًا. أنا لا أؤمن بالإله وأنا لست ملحدًا.

*

لقد وهبتُ الموتَ نفسه حياةً، كمبدعٍ. هذا كلّ ما كان عليّ فعله قبل أن أموت.

*

بافيزي: «نحن حمقى إذ ندع النساء تلتهم ما تتركه الحكومةُ لنا من حرّيّة قليلة».

*

---

(١) مشروع مسرحيّة عن جولي دو ليسبيناس. هاتان الجملتان تمّ تبادلهما ما بين جولي ودلامبير. مراجعة الدفتر رقم VII.

رامبرانت: المجد حتى العام ١٦٤٢، في سنّ ٣٦ عامًا. وابتداءً من ذلك التاريخ، المسيرة باتّجاه الوحدة والفقر. تجربةٌ نادرةٌ وأكثر تعبيرًا من التجربة التافهة لفنّان مغمور. لم يُقل بعد شيءٌ حول تجربةٍ كهذه.

*

(ب. ك.): «لا تمنح الطبيعة الإنسانَ تلك القوّة الروحيّة لكي يستمتع بها بنفسه. إنّما هي تعهد بها إليه لاستخدامٍ يتخطّى شخصه».

كما سبق: «يخضع المبدعُ الأصيل بشكلٍ عضويّ لقانون المتعة».

*

يقول سبنغلر إنّ روح روسيا تمرّدٌ ضدّ العصور القديمة. هذا صحيح. انظر أيضًا برديابيف: لم يكن لروسيا أبدًا عصرُ نهضة.

*

نصٌّ عن هيبيرتو[1]. في وسط الكهف، حوت العنبر الأبيض الكبير. يستعمل أسنانه غربالاً فلا يترك إلاّ عوالق الكتّاب اللذيذين تصل إليه.

*

---

(1) مدير المسرح الذي كان يحمل اسمه حيث قُدّمت *كاليغولا* في العام ١٩٤٥، *والعادلون* في العام ١٩٤٩.

واقعيّة. الكلّ واقعيّ. لا أحد واقعيّ. في النهاية، ليست الجماليّة هي ما يهمّ، وإنّما الموقف الداخليّ.

*

لا يموت أدب البلدان التوتاليتاريّة لشدّة ما هو موجّه، وإنّما لانقطاعه عن الآداب الأخرى. فكلّ فنّانٍ لا يكون منفتحًا مسبقًا على الواقع بأكمله هو فنّانٌ مبتورٌ.

*

٧ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥٤

٤١ عامًا.

*

الباخوسيّات[١].

في صقلّية. الآن. قرية صغيرة في منطقة باليرمو. والبقيّة على هذه الشاكلة.

أعمالٌ عظيمة جدًّا ترتسم في الأفق. وفي مطلق الأحوال، ثمّة ما يبقى منها. على سبيل المثال: دون جوان، فاوست، كلّ شيء يدخل فيها[٢].

*

---

(١) مسرحيّة ليوريبيدس (٤٠٦ ق.م). يبدو أنّ كامو كان يفكّر باقتباسها، (انظر التالي).

(٢) مراجعة الدفتر VII والدفتر VIII.

تصحيح «الرجل المتمرّد»، ص ٢٢٥، السطر السادس «عمّال بدلاً من رهبان» وص ٢٢٩، السطر الأول.

*

رسالة دو بيرّاي[١].«يستمرّ النقابيّون الثوريّون في تكريس أنفسهم لنشاطهم الجوهريّ: البحث عن أسبابٍ للانفصال حول مبادئ مشتَركة».

*

عنوان قصّة قصيرة: طهرانيّ من زمننا.

*

٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني. الساعة ١٠ صباحًا.

الوصول إلى تورينو، هذا الصباح[٢]. منذ عدّة أيّام، فرحٌ لفكرة العودة إلى إيطاليا. فأنا لم أرَها منذ العام ١٩٣٨، تاريخ زيارتي الأخيرة. الحرب، المقاومة، صحيفة *كومبا*، وكلّ أعوام الجدّيّة المقيتة تلك. أسفارٌ، لكنّها تعليميّة كان القلب يصمت خلالها. كان يبدو لي أنّ شبابي ينتظرني في إيطاليا وقوًى جديدة والنورُ المفقود، وأنّي سأهرب أيضًا من ذلك العالم (منزلي) الذي يدمّرني

---

(١) جان دو بيرّاي، مناضل نقابيّ وكاتب عرف سيمون فيل في الثلاثينيّات. مؤلّف كتاب *سمك الرنكة المقليّ بالدم*، (غاليمار، ١٩٥٤).

(٢) ذهب ألبير كامو إلى إيطاليا بناءً لدعوةٍ من «الجمعيّة الثقافيّة الإيطاليّة» وألقى محاضرات في تورينو، جنوى، وروما.

منذ عامٍ، خليّةً إثر خليّة، والفرار ربّما بشكلٍ نهائي. في الواقع، البارحة، عندما انطلق القطار، لم يبقَ فرحي على زخمه. متعبٌ في البداية، ثم كان اللقاء مع غرونييه حيث كنت راغبًا أن نتحادث باسترخاءٍ وما استطعت، وأيضًا فلان الذي لم يساعدني على الرحيل فرِحًا. رغم ذلك، كانت تلوحُ في الليل، ما بين الإغفاءات القصيرة، سعادةٌ لم تزل بعيدة.

في السابعة صباحًا، فكرةُ أنّنا في إيطاليا. أنتفض وأفتح الستائر: مشهدٌ ثلجيٌّ وضبابيّ. إنّها تُثلج فوق الشمال الإيطالي كلّه. وحيدًا في مقصورتي، استولت عليّ نوبةُ ضحك. ليس الجوّ باردًا. ومع ذلك، تزعم (ي. أ.) الجذّابة التي تنتظرني في المحطّة، أنّها تموت بردًا. بفرنسيّتها الجميلة المتحيّرة، وبحركاتها الصغيرة الهادئة والرشيقة (تذكّرني بأمّي)، وبلونها الزهريّ من البرد كزهرة ثلجٍ صغيرة، تُعيد إليّ القليل من إيطاليا. قبلاً، كان إيطاليّو القطار – وعمّا قريب إيطاليّو الفندق – قد دفّأوا قلبي. شعبٌ أحببته دومًا ويشعرني، في مزاج الفرنسيّين السيّئ باستمرار، بأنّي في منفًى.

من غرفتي في الفندق، أرى تورينو والثلج يتساقط عليها دونما انقطاع. أضحك مجدّدًا من خيبتي. إلاّ أنّ الشجاعة تعاودني.

*

تورينو تحت الثلج. في صالة العرض المصريّة، تتكوّم المومياءات التي نُزِعت أشرطتُها وسُحِبت من الرمل على نفسها

بردًا. أحبّ الشوارع العريضة المبلّطة والمتّسعة. مدينةٌ مبنيّةٌ بالفضاءات، بقدر ما هي مبنيّةٌ بالجدران. أذهب لزيارة المنزل القائم في ٦ شارع كارلو ألبيرتو حيث عمِل نيتشه ثم غرِق في الجنون. لم أتمكّن أبدًا أن أقرأ، دونما بكاءٍ، قصّة وصول أوفربيك، دخوله إلى الغرفة حيث كان نيتشه المجنون يهذي، ثم حركة ارتمائه بين ذراعَي أوفربيك منتحبًا. أمام ذلك المنزل، أحاول التفكير به، هو الذي أحببته دومًا، عاطفةً وإعجابًا بالقدر نفسه، إنّما بلا جدوى. إنّي ألتقيه بشكلٍ أفضل في المدينة التي أفهم أنّه أحبّها، ولماذا أحبّها، برغم سمائها الواطئة.

*

قصّة قصيرة. ينتخب الأسرى في معسكر اعتقال «بابا» يختارونه ضمن أكثر من تعذّبوا فيما بينهم، وينكرون الآخر الرومانيّ الذي يعيش في ترف الفاتيكان. يدعون باباهم *أبتِ* مع أنّه أحد الأكثر شبابًا من بينهم، فيطيعونه في كلّ شيء ويموتون من أجله، إلى أن يموت هو نفسُه مدافعًا عن أبنائه (أو يرفض أن يموت ويحافظ على نفسه لأنّ هناك أبناء آخرين ينبغي الدفاع عنهم وحمايتهم، وتلك هي البداية)[1].

*

---

(١) فكرة مُستَخدمة في *الانهيار*. يروي كلامانس أنّه انتُخِب بابا من قِبل رفاقه في الأسر، حين كان سجينًا في ليبيا.

٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني

نهارٌ رماديّ وضبابيّ. أهيم في تورينو. رؤوس أمواتٍ متوّجة فوق الهضبة. وفي المدينة، في قلب الفضاءات الشاسعة، تندفع جيادٌ برونزيّة في الضباب. تورينو، مدينة الجياد الجامدة في اندفاعتها تلك، حيث أصبح نيتشه مجنونًا فأوقف جوادًا يضربه سائسُه وقبّل أنفه بهوَج. عشاء في فيلّلا كاميرانا.

*

٢٦ نوفمبر/تشرين الثاني

نزهةٌ طويلة على تلال تورينو. ومن حولها، تظهر جبال الألب الثلجيّة وتختفي في السماء، داخل الضباب. الهواء بارد، رطب، معطّرٌ بالخريف. وفي الأسفل، المدينة مكسوّةٌ بالضباب. أنا بعيدٌ عن كلّ شيء، متعَبٌ وسعيدٌ بشكلٍ عجيب. في المساء، محاضرة.

*

٢٧ نوفمبر/تشرين الثاني

صبيحة الرحيل إلى جنوى مع (ي. أ.)؛ مخلوقٌ صغيرٌ غريب، واضح، ثريّ القلب والإرادة، مع نوعٍ من التخلّي المتعقّل والمفاجئ لدى كائنٍ فتيّ جدًّا. هي تريد «أن تضحك وأن تأسف». وفي موضوع الدين، إنّها تؤمن بـــ «الحبّ المترفّع». بالتأكيد، فيها

أشياء كثيرة من أمّي التي أفكّر فيها بحزنٍ. فما زالت ميتتُها القاسية المستحيلة جاثمةً على قلبي...

أمطارٌ وضباب فوق إقليمَي بييمونت وليغوريا. نتجاوز الجبال التي تحفّ الساحل الليغوري، وسط حقول الثلج. أربعة أنفاقٍ ويختفي الثلج، في حين تتضاعف قوّة الأمطار على المنحدرات المهرولة باتّجاه البحر. بعد ساعتين من الوصول، محاضرة. عشاءٌ في قصر دوريا. الماركيزة العجوز المتيبّسة، باستثناء عينيها والقلب. عند الخروج، أمشي في جنوى وقد استعدتها أخيرًا مغسولةً بسيول المياه. يلتمع الرخام الأسود والأبيض، وتسيل الأضواء تافهةً في الشوارع وفي شرايين المدينة الرئيسيّة.

*

منذ القرن السادس وحتى العام ١٨٠٠، لم يتمكّن سكّان أوروبا من تجاوز ١٨٠ مليون نسمة.

من العام ١٨٠٠ وإلى العام ١٩١٤، ارتفعوا من ١٨٠ مليونًا إلى ٤٦٠ مليونًا!

*

أورتيغا إي غاسّيه[1]. لكي يكتب ــ يميّز من يُريد أن يعرف مَن يخاطب، ما بين المجتمع والجمعيّة.

---

(1) جوزيه أورتيغا إي غاسّيه (١٨٨٣ ــ ١٩٥٥)، فيلسوف إسباني.

الحرّيّة والتعدّديّة هما الميزتان المهيمنتان في أوروبا. فيلسوف وأستاذ في الفلسفة، انظر ص ٢٦ ــ حول الأرستقراطيّة الحقيقيّة، الشغف.

*

هامبولدت[١]. التنوّع في المواقف ضروريّ لكي يغتني الكائن البشريّ ويصبح أكثر كمالاً. والحفاظ على هذا التنوّع هو الجهد المركزيّ لليبراليّة الحقيقيّة.

*

تشهد روسيا اليوم انتصار الفردانيّة بشكلها التهكّميّ.

*

أورتيغا إي غاسّيه. التاريخ نزاعٌ أزليّ ما بين المصابين بالشلل والمصابين بالصرع.

*

يرتكز كلّ مجتمعٍ إلى الأرستقراطيّة لأنّها ــ الحقيقيّة منها ــ تطلّبٌ متشدّدٌ حيال الذات من دونه يموت كلّ مجتمع.

*

---

(١) ويلهلم فون هامبولدت (١٧٦٧ ــ ١٨٣٥)، فيلسوف وسياسيّ ألمانيّ.

أورتيغا إي غاسّيه. تفترض الحياة المبدعة نظامًا صحّيًا مهمًّا ذا نبالةٍ كبرى ومحفّزات متواصلة تنشّط الوعي، ويجب إضافة أنّ الحياة المبدعة حياةٌ كلّها طاقة.

*

فلتعجّ الأزقّة الضيّقة بالأطياف. إنّي فرحٌ ومتعَب.

*

٢٨ نوفمبر/تشرين الثاني

نزهة طويلة في جنوى. مدينة ساحرة ومشابهة تمامًا لتلك التي أذكر[١]. تتفتّح المباني الرائعة داخل حزام مشدود من الأزقّة التي تعجّ بالحياة. هنا، يُصنع الجمال محلّيًا ويشعّ في الحياة اليوميّة. في زاوية أحد الشوارع، يرتجل مغنٍّ أغنيات حول آخر الفضائح. صحيفةٌ مغنّاة.

دير سان ماتيو الصغير. تضرب الريحُ أوراق الأكاديني العريضة بزخّات المطر. لحظة وجيزة من السعادة. ينبغي أن أغيّر حياتي.

مساءً: الرحيل إلى ميلانو تحت المطر. الوصول تحت المطر. ما أحبّه ستاندال ها هنا، مات وولّى.

*

---

(١) كان كامو قد زار جنوى في سبتمبر/أيلول ١٩٣٧.

لوحة العشاء الأخير لدافينشي هي حتمًا في بداية الانحطاط الإيطالي. دير سان أمبروليو. محاضرة. أركب القطار مساءً إلى روما، منهكًا من الحفلات الاجتماعيّة الغبيّة التي تلي المحاضرات، عاجزًا عن تحمّل أكثر من نصف ساعة من هذه الترّهات. ليلة سُهاد وأرق.

*

.٣٠

صباحًا، الشمس أخيرًا، شاحبة إنّما حازمة فوق الريف الرومانيّ. تأتيني الدموع بطريقة سخيفة. روما. فندق آخر من تلك الفنادق المترفة والغبيّة كالمجتمع الذي يعيلها. غدًا، أنتقل إلى مكان آخر. أتفرّج مع (ن) على ولادة فينوس. نزهة على طول فيلّلا بورغيزي وبينشيو: كلّ شيء مرسوم على صدر السماء بريشة ذات شعيرات نادرة. أغفو. المحاضرة الأخيرة. حرٌّ أخيرًا. عشاء مع (ن)، سيلوني[١] وكارلو ليفي[٢]. سيكون الغد جيّدًا.

*

---

(١) إنياسيو سيلوني (١٩٠٠ ــ ١٩٧٨)، روائي ومناضل اشتراكي إيطاليّ. كتب كامو في *الجزائر الجمهوريّة* عن روايته *الخبز والخمر* والتقاه للمرّة الأولى عام ١٩٤٨. من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٧، كتب كامو وسيلوني في مجلّة «شهود» (*نيموان*) ذات التوجّه التحرّريّ.

(٢) كارلو ليفي (١٩٠٢ ــ ١٩٧٦)، رسّام وكاتب إيطالي، صاحب *المسيح توقّف في إيبولي*.

١ إلى ٣ ديسمبر/كانون الأول.

هنالك مدن كفلورنسا ومدن توسكانا أو المدن الإسبانيّة الصغيرة، تحمل المسافر وتدعمه في كلّ خطوة يخطوها، جاعلةً مسيرته أكثر خفّة. وهنالك مدنٌ أخرى تثقل عاتقيه وتسحقه فورًا، كنيويورك، وينبغي أن يتعلّم فيها كيف ينتصب شيئًا فشيئًا وكيف يرى.

روما تُثقل هكذا، بثقلٍ حسّاس وخفيف، فنحملها على القلب كجسم مصنوع من نوافير وحدائق وقبب، نتنفّس من تحته مضغوطين قليلاً، وإنّما سعداء بشكل غريب. تتنفّس هذي المدينة الصغيرة الحجم نسبيًّا، والتي تنبلج آفاقها الهوائيّة أحيانًا عند انعطافة شارع، هذا الفضاء الحسّاس والمحدود، مع المسافر ويحيا معه.

غادرت الفندق إلى هذا النزل المطلّ على فيلّلا بورغيزي. لديّ شرفة تتقدّم نحو الحدائق والمنظر الذي يُرى منها يعتصر القلب في كلّ مرّة. بعد عدّة سنوات في مدينة لا ضوء فيها واستيقاظ في الضباب داخل الجدران، أتغذّى من خطّ الأشجار والسماوات الممتدّ من بورتا بينشيانا إلى ترينيدا دي مونتي، حيث تفلش روما من خلفه قببها وفوضاها.

كلّ صباح، عندما أخرج إلى هذه الشرفة ثملاً قليلاً بغفوة الأمس، تفاجئني زقزقة العصافير وتأتي لتسحبني من عمق النعاس، تلمس موضعًا معيّنًا، محرّرةً بضربة واحدة نوعًا من الفرح الغامض. منذ يومين، الطقس جيّد ونور ديسمبر/كانون الأوّل الجميل يرسم أمامي أشجار السرو والصنوبر المنتصبة.

أندم هنا على السنوات السوداء الغبيّة التي قضيتها في باريس. هناك سبب أملاه القلب وما عدت راغبًا به، لأنّه لا يخدم أحدًا ولأنّه وضعني قاب قوسين من هلاكي.

ما قبل البارحة، بدأت أسترجع ذاتي في القسم المنهار فعلاً من الساحة العامّة (بالقرب من الكوليزيه)، وليس في تلك السوق الغريبة من الأعمدة المدّعية المتواجدة تحت الكامبيدوليو، ومن ثم فوق هضبة بالاتان الرائعة التي لا يستنفد شيءٌ صمتَها وسلامَها. عالمٌ وليدٌ دومًا وكاملٌ دومًا. لذا، لا بدّ من صور الماضي الكبيرة عندما تعرف الطبيعة كيفيّة استقبالها وكيفيّة إطفاء الصخب الراقد فيها، لجمع القلوب والقوى التي ستخدم لاحقًا الحاضرَ والمستقبلَ بشكلٍ أفضل. نشعر بذلك في شارع آبيا حيث كنت أحسّ وأنا أتنزّه، على الرّغم من انتهاء ما بعد الظهيرة، أنّي ممتلئ القلب إلى درجة يمكن للحياة من بعدها أن تغادرني. بيد أنّي كنت مدركًا أنّ الحياة ستستمرّ وأنّ في داخلي قوّة ماضية إلى الأمام وأنّ هذه الاستراحة تخدم حركة المضيّ تلك. (مرّ عام وأنا لم أعمل. وأنا لم

أتمكّن من العمل رغم وجود عشرة مواضيع في رأسي أعرف أنّها استثنائيّة، لكنّي عاجز عن تناولها. عام كامل حتى هذا التاريخ، ولم أفقد رشدي). يطيب العيش في هذا الدير وفي هذه الغرفة حيث توفّي لو تاسّ.

ساحات روما. بيازا نوفونا. سانت إنيازيو والساحات الأخرى. صفراء اللون. أحواض البرك زهريّة قليلاً تحت التدفّق الباروكيّ للماء والحجر. عندما نكون قد رأينا كلّ شيء أو كلّ ما أمكننا رؤيته على الأقلّ، يصبح التنزّه، دونما سعي إلى *المعرفة*، سعادةً كاملةً.

البارحة ليلاً أمام سان بييترو إن مونتوريو، بدت روما تحت أضوائها كميناء تأتي الحركةُ والصخبُ ليموتا عند أقدام جسر الصمت حيث وقفنا.

*

إنّها لقناعة غريبة لا تُحتمل أن ندرك أنّ جمال الآثار يفترض دومًا عبوديّة، أنّه رغم ذلك جمالٌ، وأنّه لا يمكن أن نرفض الجمال وأن نريد العبوديّة؛ ذلك لا يجعل العبوديّة أقلّ إثارةً للرفض. لذا ربّما أراني أضع فوق كلّ شيء جمالَ منظرٍ طبيعيّ، فهو لا يكلّف أيّ ظلمٍ وقلبي فيه حرّ.

*

٣ ديسمبر/كانون الأوّل.

صبيحة رائعة في فيلّلا بورغيزي. نور صباحات الجزائر الذي يسيل بين إبر الصنوبر الرفيعة فيقطعها واحدةً واحدة. وصالة اللوحات ملأى بضوء أشقر. منحوتات لو بيرنان تسلّيني، إنّها رائعة ومربكة عندما ينتصر الجمال، كما في لوحة «دافنيه» السرياليّة جدًا (بوصفها فنًا، كانت السرياليّة، بادئ ذي بدء، هجومًا مضادًّا على الأسلوب الباروكيّ)، وقبيحة عندما يختفي، كما في «الحقيقة» المروّعة بعد أن تكشفها «الديمومة». (رسّام أيضًا ونابض).

«داناييه» لكوريّج، وبالتحديد لوحة «فينوس» التي تعصب عيني الحبّ للفنّان تيتيان الذي رسمها وهو في التسعين من عمره، لم تزل ذات فتوّةٍ معاصرة.

أعمال كارافاجيو، ولا أعني تلك الموجودة في كنيسة «سان لويس الفرنسيّين» التي رأيتها ما بعد الظهر وهي رائعة بلا شكّ لما فيها من تناقض بين العنف وسماكة النور البكماء. *ما قبل رامبرانت*. وعلى وجه الخصوص «دعوة القدّيس متّى»: رائعة. يشير إليّ (ك) بضرورة ملاحظة تكرار موضوعة الشباب والنضوج لديه. كان قد سبق لمورافيا أن حدّثني عن كارافاجيو الرجل: مجرم لمرّات عدّة، هرب من توسكانا على متن سفينة

تعرّض فيها للسرقة، فرُمي على أحد الشواطئ حيث قضى نحبه مختلاً عقليًا (١٥٧٣ ــ ١٦١٠). كما روى لي أيضًا قصّة آل شينشي الحقيقيّة التي يودّ أن يكتب عنها مسرحيّة. دخلت بياتريس إلى ما تحت مذبح «سان لويس الفرنسيّين». اضطرابات في روما، الثورة الفرنسيّة. ساهم رسّام فقير في سرقة الكنيسة. فتح القبور. هيكل بياتريس هنا، جمجمتها المنفصلة عن جسمها ترتاح فوق وسطها. تناول الرسّام الجمجمة وخرج وهو يتلاعب بها كالكرة. تلك هي الصورة الأخيرة المرتبطة بقصّة بياتريس شينشي الرهيبة.

في نهاية ما بعد الظهيرة، عدت إلى جانيكولو. سان بييترو دي مونتوريو. أجل، الهضبة هذه هي المكان الذي أفضّله في روما. في أعالي السماء الحنونة، تدور في كلّ الاتّجاهات أسرابٌ من طير الزرزور خفيفةً كالدخان، تلتقي، تتبعثر، ثم تجتمع مجدّدًا لكي تنقضّ على أشجار الصنوبر، تلامسها قبل أن تعاود طيرانها نحو السماء.

الشابّ الرومانيّ الأسمر الطويل ذو الوجه الناعم والنبيل والهيئة البسيطة والأبيّة جدًّا الذي يهتمّ بي في النزل. قصّة قصيرة. حكاية حبّ مع رسّام. وكلّ النبل من جانبه. **كتابة نصّ باروكيّ عن روما.**

*

صباحًا. قصر باربريني. «نرسيس» كارافاجيو وعلى وجه الخصوص «السيّدة العذراء» المنسوبة إلى (ب) ديلّلا فرنشيسكا والتي يتهيّأ لي أنّها تنتمي إلى الطريقة الأكثر نحولاً الخاصّة بسينيوريلّلي. رائعة في مطلق الأحوال.

*

مع مورافيا و(ن)، الغداء في تيفولي وما بعد ظهيرة طويل في فيلّلا أدريان. مكان رائع. صحيح أنّه نهار رائع مع سماء مستديرة لا غيم فيها تدلق جميعُ أجزائها الكمّيّةَ نفسَها من النور فوق أشجار السرو البهيّة وأشجار الصنوبر الكبيرة. الأقسام الكبيرة الواقفة من الجدران المنهارة تتلقّى بالتّساوي ذلك النور على ما يكسوها من أعشاش النحل، فتترك بدورها عسلَ الضوء يفوح من خلاياها الإسمنتيّة. هنا، أرى بشكل أفضل الفرق ما بين النور الرومانيّ وسواه. فنور فلورنسا مثلاً أكثر انبساطًا، فضّيّ وأخيرًا روحانيّ. على العكس، نورُ روما مستدير، برّاق ومرن، وهو يذكّر بالأجساد، ببذخ الأبدان الممتلئة السعيدة وبالحياة الناجحة. الأماكن البَعيدة أكثر غضاضة بعد. أناشيدُ عصافير ما بين الأنقاض. وأمام هذا الكمال، شعور غريب وسعيد بأنّ كلّ شيء قد قيل.

العشاء، بيوفيني[1]. في نهاية ثلاثين محادثة، بدأت أكوّن فكرة عن الوضع الحقيقيّ ها هنا. لا آراء، وإنّما فصائل. القليل من الليبراليّين، البؤس واستغلاله، ثم شيئًا فشيئًا جمودٌ معيّن.

في سنّ الأربعين، لا نعود نهتف ضدّ الشرّ، نصير نعرفه، فنكافح بحسب ما ينبغي لنا أن نفعل وبالتالي، يمكننا أن نبدع من دون إغفال أيّ شيء.

إلى يمين المذبح، كان ينبغي لأجساد مايكل أنجلو في حركة الصعود في لوحة القيامة، أن تكون ثقيلة العضل جدًّا لكي تمنح هذا الانطباع بخفّة لا تُقاوَم. أكثر خفّة كلّما ازدادت ثقلاً. تلك هي عقدة الفنّ المفصليّة.

في شقّة بورجيا، تحمل «بلاغة» بانتوريكيو سيفًا.

يُعتصر القلبُ قليلاً حين نفكّر بأنّ يوليوس الثاني دمّر جداريّات بييرو ديلّلا فرنشيسكا (وسواها)، لكي يتمكّن رافاييل من تزيين الغرف برسومه؛ بمَ دُفع ثمن «تحرير القدّيس بطرس»؟

*

لوحة «الإنزال من على الصليب» لكارافاجيو. الصليب لا يُرى؛ إنّه ولا ريب رسّام عظيم.

*

---

(1) غويدو بيوفيني (١٩٠٧ ــ ١٩٧٤)، كاتب.

٦ ديسمبر/كانون الأوّل

نهار رماديّ. حمّى. حبيس الغرفة. مساءً، التقيت بمورافيا.

رواية.

الرجل الأوّل يسلك الطريق نفسها لكي يكتشف السرّ: هو ليس الأوّل. كلّ إنسانٍ هو الرجل الأوّل، ولا أحد. لذا يرتمي على قدمي أمّه.

*

٧ ديسمبر/كانون الأوّل

الرحيل مع نيكولا وفرنشيسكو. الريف الرومانيّ. (ف) جميل وبعيد عن كلّ شيء، من دون أن يكفّ عن أن يكون حاضرًا وإنسانيًّا. قرية شيرشيه[١]. الوصول إلى نابولي. الغداء في بوتزيولي في مطعم هو توأم مطعم بادوفاني. في نابولي، أمطارٌ طوفانيّة تزيد من حمّاي. مساءً، تنقشع السماء.

*

٨ ديسمبر/كانون الأوّل

أصحو مع حمّى جادّة. مساء أمس، لم أتمكّن من إتمام هذه الملاحظات. ومع ذلك، فقد تنزّهتُ طويلاً في «الباريوس»، خلف

---

(١) تمّ ذكر جبل شيرشيو الواقع جنوبي بحيرة سابوديا، من قبل هوميروس، فرجيل، سترابون وبلين، تحت اسم جزيرة شيرشيه. القرية التي تقع على سفحه تحمل الاسم نفسه.

شارع سانتا لوتشيا. إنّها مدن صفيح خلف جادّة شانزيليزيه. الباب مفتوح ويظهر ثلاثة أطفال في السرير نفسه ــ مع الوالد أحياناً ــ غير منزعجين أبدًا من تعرّضهم للأنظار. كلّ قطع الغسيل المنشورة المصطفقة في الهواء والتي تُعطي نابولي مظهر عيد دائم، سببها في النهاية النقصُ في الملبس والبياض ممّا يُجبر على غسلها يومًا بعد يوم. إنّها رايات البؤس. (ن. ف.) هذا المساء. نذهب من ثم في عربة جياد رطبة تفوح رائحة الجلد والبراز. تمتاز صداقة الرجال دومًا بذوق رفيع. يصطحبنا (ن) إلى حيّ في منطقة بورتا كابوانا. شارع عريض يصعد. على الشرفات كلّها، قناديل مكسوّة بطرابيش تضفي على البؤس مظهر عيد استثنائي. هناك موكب مصلّين أمام الكنيسة. تتطاير الرايات فوق الحشد المتلاصق الذي يسحق في الوحل اللزج بقايا الملفوف التي خلّفتها سوق الصباح. وبالتحديد المفرقعات الناريّة خلف كلّ القدّيسين. تعلن السيّدة العذراء عن حضورها بسلسلة فرقعات. في إحدى النوافذ، يقف أبله ثابت الحدقتين، يشعل بالحركة الآليّة نفسها واحدةً من أخرى، مفرقعاتٍ يرميها على الموكب، فيتراقص الأولاد متحلّقين من حولها رقصةَ الهنود، إلى أن تفقع. فنادق البؤس. الطموح كبير. إنّه إسكوريال البؤس...

*

أمضيت النهار كلّه في السرير مع حمّى لم تتراجع. في النهاية، لن أستطيع زيارة آثار بايستوم. العودة إلى روما ما إن أتحسّن قليلاً، ومن ثم إلى باريس. هذا كلّ ما في الأمر. ثمّة رابط ما بين المعابد الإغريقيّة وبيني. في اللحظة الأخيرة، يطرأ دائمًا ما يمنعني من زيارتها.

هذي المرّة، لا لبس على كلّ حال. لقد أنهكتني هذه السنة المهلكة. وكان الأمل باستعادة قواي والعودة من أجل استئناف العمل، محض رغبة عاطفيّة. سأتصرّف مستقبلاً بشكل أفضل. فبدل الجري باتّجاه ضوءٍ أستطيع بالكاد من ثم تذوّقه، يُستحسن أن أمضي عامًا أستعيد خلاله عافيتي وإرادتي. لذا، عليّ التخفّف من كلّ ما يُثقلني. تلك هي أفكار السرير والحمّى ومسافرٍ حبيسٍ في نابولي المحيطة به. غير أنّها أفكار حقيقيّة. لحسن الحظّ أنّي أرى البحر من سريري.

الرسّام صديق (ف)، الجاهل جدًّا والذي يفترض به أن يصوّر حياة وآلام القدّيس متّى لحساب برنامج إذاعيّ، ويرسم قدّيسًا مُحاطًا بنساء جميلات وبملائكة هازئة.

*

اختفت الحمّى لدى استيقاظي. آلام في الجسد وإنهاك. ومع ذلك، أقرّر الذهاب (وكما في كلّ مرّة، أستمدّ طاقةً من تصوّر موقفٍ أسوأ: سجين، إلخ). نرحل تحت شمس مشرقة. سورّانتو (وحديقة كوكوميلّلا اللذيذة) وأمالفي المبالغة قليلاً في زينتها حيث نتناول الغداء. أتولّى من ثم القيادة لأنوب عن (ف) المتعب. وبعد اجتياز منطقة صناعيّة وأرض غريبة المظهر تذكّر بالمطهر (عيدان قصب طويلة، وأشجار نحيلة عارية)، نصل بايستوم وها هي الشمس تغيب. هنا، يصمت القلب.

(فيما بعد). أحاول استرجاع لحظة الوصول تلك، في نهاية ما بعد الظهيرة. في النزل القائم بالقرب من موقع الآثار، تستقبلنا غرفة قديمة بثلاثة أسرّة وجدران ضخمة مطليّة بالأبيض، متقشّفة وإنّما نظيفة. يلتصق بي كلب. تغيب الشمس تمامًا عندما نتسلّق الأسوار لدخول حقل الآثار، بعد إغلاق الحواجز. يأتي النور من جهة البحر القريب جدًّا والذي ما زال على زرقته، في حين تصطبغ الهضابُ المواجهة بحلكة المساء. عندما نصل معبد بوسيدون، تهبّ الغربان الراقدة في ضوضاء هائلة من خبط الأجنحة والنعيق، ثم تحلّق من حول المعبد لتهوي فوق زواياه الأربع، منطلقةً من جديد كأنّما لتحيّي الظهور الرائع أمام أعيننا لكائنٍ قُدّ من الحجر، وهو حيٌّ عصيٌّ النسيان. الساعة، التحليق

الأسود للغربان، ندرة أناشيد العصافير، المسافة ما بين البحر والهضاب ـ وها إنّنا نحفظ الروائع كاملةً ساخنةً كما هي ـ يضعني كلّ ذلك، مع تعبي وتأثّري، على حافّة الدمع. ومن ثم، هو الانخطاف اللانهائيّ حيث يصمت كلّ شيء.

المساء، السكون، الغربان، كطيور لورمارين والهرّة، دموعي، الموسيقى.

في تيبازا، صباحًا، نقاط الندى فوق الأنقاض، النضارة الأكثر فتوّةً في العالم على أكثر ما فيه قدمًا. صدقًا، هنا إيماني وبرأيي، هنا مبدأ الفنّ والحياة.

*

١٠ ديسمبر/كانون الأوّل

مساء أمس، نزهة بين عيدان القصب والأسوار والجواميس، باتّجاه الشاطئ. الصخب الهائل والأصمّ للبحر الذي يتعاظم شيئًا فشيئًا. الشاطئ، المياه الفاترة تحت السماء المشعّة والرماديّة في الليل. في طريق العودة، تمطر قليلاً ويتناقص ضجيج البحر من خلفنا. تتحرّك الجواميس على مهل ثم تخفض رؤوسها، جامدةً كالليل. عذوبة.

أغفو بعد أن تأمّلت من نافذتي المعابد ليلاً. الغرفة التي أحبّ كثيرًا ذات الجدران السميكة والعارية، ثلجيّة. بردٌ طوال الليل. أفتح

نوافذي، إنّها تمطر فوق الآثار. بعد مضيّ ساعة، لحظة خروجنا، السماءُ زرقاءُ والنورُ نضرٌ ورائع.

اندهاشٌ أمام ذاك المعبد بأعمدته الإسفنجيّة الزهريّة الضخمة، من الفلّين الذهبيّ، ثقله الهوائيّ وحضوره الذي لا ينضب. عصافيرُ أخرى اختلطت بالغربان، إلاّ أنّ تلك الأخيرة بقيت تغطّي المعبدَ بوشاحٍ أسود يرفرف في كلّ الاتّجاهات وبصرخات رخيمة. الرائحة العذبة لزهور رقيب الشمس الصغيرة التي تغطّي أنحاءَ المعبد.

الأصوات: صوت الماء، الكلاب، درّاجة ناريّة بعيدة.

ليست هي كآبة الأشياء المقوّضة التي تعصر القلب، وإنّما الحبّ اليائس لما يدوم بشكل أزليّ في الشباب الأزليّ، حبّ المستقبل.

في الآثار أيضًا، ما بين الهضاب والبحر. يصعب عليّ اقتلاع نفسي من هذه الأمكنة، وهي الأولى التي استسلم فيها كلّ كياني منذ تيبازا.

*

١٠ ديسمبر/كانون الأوّل

تابع. نغادر رغم ذلك، وبعد ساعات، بومبايي. أنا مهتمّ بالطبع، لكنّي غير متأثّر البتّة. الرومان مرفّهون أحيانًا، غير

حضاريّين البتّة. محامون وجنود يعرف الربّ وحده لماذا نخلط ما بينهم وبين الإغريق. إنّهم الأوائل، والمحطّمون الحقيقيّون للروح الإغريقيّة. للأسف، لم تنتصر عليهم اليونان المهزومة بدورها. لأنّهم استعاروا منها مواضيع الفنّ الكبير وأشكاله، ولم ينجزوا إلاّ مقارباتٍ باردة كان يفضّل ألاّ توجد، لكي تتبدّى لنا السذاجة والروعة الإغريقيّتان دونما وسيط. بالقرب من معبد هيرا في بايستوم، كلّ القدم الذي يكسو روما وإيطاليا ومعه تمثيليّة عظَمة مزوّرة. لقد عرف قلبي هذا كلّه غريزيًّا، فلم ينبض قطّ لأيّ قصيدة لاتينيّة (ولا حتى فيرجيل المستحسَن جدًّا، غير محبوب) واعتُصر دومًا لبرق مقطع شعريّ تراجيديّ أو غنائيّ، قادمٍ من بلاد الإغريق.

عند العودة من بومبايي أو بوشينوالد الثمين ذاك، الشعور بطعم الرماد وبتعب متزايد. نتناوب على القيادة أنا و(ف)، وعند التاسعة مساءً، أصل روما مرهقًا.

*

١١ ديسمبر/كانون الأوّل

طريح السرير، النهار بأكمله أو تقريبًا. حمّى مستمرّة تنتزع منّي كلّ رغبة. ينبغي أن أستعيد صحّتي، بأيّ ثمن. أحتاج إلى قواي. لا أريد أن تكون الحياة سهلةً عليّ، لكنّي أودّ مواجهتها

ومعادلتها قوّةً إذا كانت صعبة. أن أُدير الدفّة إذا ما أردت الذهاب إلى حيث أذهب. أرحل يوم الثلاثاء.

*

١٢ ديسمبر/كانون الأوّل

تقع في يدي جريدة. الكوميديا الباريسيّة التي كنت قد نسيت. مهزلة جائزة الغونكور. من نصيب رواية «ماندارين»[١] هذي المرّة. يبدو أنّي بطلها. في الواقع، يتمّ تناول الكاتب ضمن موقف معيّن (مدير صحيفة تابعة للمقاومة)، والباقي كلّه مصطنع، الأفكار، المشاعر والأفعال. أفضل من ذلك: الأفعال المشبوهة في حياة سارتر كلّها منسوبة إليّ بسخاء. فيما عدا ذلك، قمامة. إنّما غير إراديّة، كما نتنفّس بمعنى ما.

الحالة إلى تحسّن. نهار رماديّ. إنّها تمطر فوق روما التي تلمع خفيفًا قببُها المغسولة جيّدًا. تناول الغداء عند (ف.ج.). المساء، وحيدًا. الحمّى مضت.

*

١٣ ديسمبر/كانون الأوّل

كارافاجيو مرّة أخرى. سانتا ماريّا دل بوبولو. حزن روما أيضًا بشوارعها العالية جدًّا والمشدودة جدًّا. لذا فالساحات فيها

---

(١) رواية سيمون دو بوفوار.

جميلة كثيرًا، إنّها تحرّرُ، وبالتالي ينتصر الباروكيّ على الرومانيّ. كتماثيلها من أزواج رومانيّين جامدين في الحجر، لا شيء مشتركًا فيما بينهم سوى موتهم. تنسلّ ساعة حائرة بين نهاية النهار وأوّل المساء ما بين القصور، فتُدحرج الواجهاتِ الأبيّة. مساءً، تحدّثني (م) عن برانكاتي[1] وعن وفاته. العشاء وحيدًا.

*

١٤ ديسمبر/كانون الأوّل. الرحيل.

وجوديّة. عندما يتّهمون أنفسهم، يمكن الوثوق أنّهم يفعلون ذلك دومًا لكي يذمّوا بالآخرين. قضاة تائبون[2].

مع لوقا تبدأ الخيانة الحقيقيّة، تلك التي تجعل الصرخة اليائسة ليسوع المحتضر تختفي.

(م) التي أقول لها إنّ هناك بعض الأدوار التي تتطلّب من الممثّل براعة فنّيّة فقط بحيث يمكن له اختبار مهنته ومهارته، تجيبني بأنّ ذلك لا يهمّها وأنّها لا تحبّ أن تؤدّي إلاّ الشخصيّات التي يمكنها التزاوج معها وعيشها، والتي تشعرها حينها بأنّها تحيا حياةً أخرى. ثم تختتم بالقول: أحبّ أن أمثّل لأنّي رومانسيّة.

*

---

(١) فيتاليانو برانكاتي (١٩٠٧ ــ ١٩٥٤)، روائي صقلّي.
(٢) قضاة تائبون: الظهور الأوّل للمفهوم الذي سيكون مركز *الانهيار*.

أخلاقيّة. عدم أخذ ما لا نرغب به (صعب)[1].

لطالما أملت بأن أصبح أفضل. ولطالما قرّرت فعل ما ينبغي لتحقيق ذلك. أمّا عمّا إذا كنت قد فعلت؟ فتلك مسألة أخرى.

ألم يكن الزواج بالنسبة إليّ مغامرة حسيّة أكثر رفاهة؟ بلى، كان كذلك.

إذا ما تفتّحتُ ذبلتْ. هي لا تريد العيش إلاّ متّكئةً على ذبولي. إنّنا هكذا قطبان متضادّان في علم النفس.

عكس الإنسان ما تحت الأرضيّ: إنسان دونما ضغينة. إلاّ أنّ الكارثة هي نفسها.

لا يتحرّك هذا العالم بهذه الكثرة، كدودة مقطوعة، إلاّ لأنّه فقد رشده. إنّه يبحث عن أرستقراطيّيه.

*

سفينة لامارتينير البيضاء التي كانت تقلّ المساجين المحكومين بالأشغال الشاقّة إلى كايّان ـــ وكانت تتوقّف في مدينة الجزائر لكي تشحن على متنها حمولة جديدة (تحقيقي في يوم أمطار طوفانيّة ـــ البارجة المكسوّة بالمحكومين حليقي الرؤوس ـــ الداخل، القفصان

(1) مراجعة *الانهيار*: «... ذات يوم، نجد أنفسنا في موقع من يأخذ من دون أن يرغب».

إلخ. ـــ الرحلة ذاتها التي قمت بها وإنّما داخل مقصورة مريحة) ـــ قصّة؟

*

الرجل الأوّل. كان الطموح يضحكه. ما كان يريد الامتلاك، بل أن يكون. لبلوغ ذلك، العناد وحده.

منذ لحظة الكشف عن الحياة الخاصّة وشرحها لأعداد من الناس، تصير الحياةَ العامّةَ ولا جدوى من البقاء فيها.

تلك الحياة (الخاوية) في المدن والأيّام التي لا تحتمل من دون حبّ.

هي أكثر ما همّني في العالم، منذ عشر سنوات.

*

الرجل الأوّل. «من خلال التفكير بكلّ ما فعله من دون أن يريده حقًّا، لأنّ الآخرين أرادوه، أو ببساطة لأنّ آخرين قاموا به في ظروف مشابهة، كلّ ذلك انتهى تراكمُه بأن صنع حياةً، تلك التي كان يتقاسمها مع كلّ البشر الذين ينتهون بأن يموتوا لكونهم لم يعرفوا كيف يعيشون ما كانوا يريدون عيشه فعلاً».

*

الرجل الأوّل. موضوعة الطاقة. «سوف أسيطر وإنّما من دون تسويات. التسوية، الخبث، الرغبة الدنيئة بالعظمة، كلّ ذلك

سهل جدًّا. بيد أنّي سأسيطر فعلاً من دون القيام بأيّة حركة من أجل أن أتملّك أو أقتني».

القانون الوحيد بالنسبة إلى الكائن هو أن يكون، وأن يتفوّق على ذاته.

*

يونان. الناطورة المجنونة (ولدها مات): «آه يا سيّد يونان، فاهم أنت!» ثم مباشرة بعد ذلك: «لا تذهب لرؤية السيّد يونان، فهو يضرب زوجته وأولاده».

*

الرجل الأول. موضوعة الصداقة.

لا تملك (م) ثقافة كبيرة، وهي تلج الأعمال الكبرى بشكل كلّي. عاجزة عن التمهّل حتى كسلاً، أمام الأوسطيّ، ومميّزة العظمة غريزيًّا.

*

الرجل الأول. موضوعة القلق (مراجعة «معرفة الإنسان». أدلر، ص ١٥٦). محرّك الشخصيّات: رغبة السلطة، المعبّرة نفسانيًّا.

*

دون فاوست (أو الطبيب تينوريو): «ما طلبت يومًا شيئًا لقاء ما أعطيته وما تكلّمت عمّا فعلته، فأنا ما كنت أكنّ لنفسي جلّ الاحترام لكوني لم أعط بشكل كافٍ، إذ كنت أفكّر أوّلاً بما لم أعطه أبدًا. إلاّ أنّي أحتاج اليوم القليلَ الذي صنعتُ، وأحتاج أن يتكلّم أولئك الذين هم هنا، ولم أمتنع قطّ عن مدّ يد العون إليهم أو عن نجدتهم، فيشهدوا لصالحي. يصمتون جميعًا. إذًا أنا هو من سيتكلّم. هذا الرجل...» (نصّ متمرّد).

*

الرجل الأوّل. مع سيمون. لا يستطيع مضاجعتها خلال عام. ومن ثم الهرب. تبكي ويشكّل ذلك الشرارة الأولى.

يتأتّى كلّ شيء عن استحالتي الخلقيّة أن أكون برجوازيًّا وبرجوازيًّا مسرورًا. أدنى مظهر استقرار في حياتي يروّعني.

خيانة مثقّفي اليسار. إذا كان هدفهم هو الحفاظ على المبدأ الثوريّ في الاتّحاد السوفييتي، مع إصلاح انحرافاته تدريجيًّا، فما سيكون مبرّر تخلّي الحكومة الروسيّة عن أساليبها التوتاليتاريّة إذا كانت تدرك سلفًا بأنّها ستُغتفر دائمًا. في الحقيقة، وحدها المعارضة الصريحة من قبل أهل اليسار في الغرب يمكنها أن تثني هذه الحكومة، مع افتراض أنّها تستطيع ذلك أو تريده. إنّما في الحقيقة أيضًا، تُفسَّر خيانة مثقّفينا بشيء آخر غير الحماقة.

لمَ يكون الضعف أمام المتعة أكثر ذنبًا من الضعف أمام الألم؟ فهذا يرتكب أحيانًا أضرارًا لا تُضاهى.

*

دون فاوست. المشهد الأول، أو فاتحة. يطالب فاوست بمعرفة كلّ شيء وامتلاك كلّ شيء. «سوف أهبك الغواية إذًا»، يقول له الشيطان، فيصبح فاوست دون جوان.

المشهد الأخير. ينبغي دفع الثمن. «هيّا بنا». كلاّ يقول الشيطان، يجب أن تأتي غصبًا عنك، وإلاّ فستموت ببساطة. «فلنمت ببساطة إذًا» (هنا يستقبل كورس البشر الأبطال ليصيروا منه ـ المجيء بتأخّر أفضل من عدم المجيء).

عقدة روسيا والشيوعيّين الجزيريّة (مراجعة أدلر «معرفة الإنسان»، ص ١٥٤)[1].

في المجلّة الفرنسيّة الجديدة: حوارات (أجوبة، أسئلة) أو رسالة خياليّة[2] عن *حالّيات*.

*

---

(١) ألفريد أدلر، لايبزغ ١٩٢٧. *معرفة الإنسان*، بايو، ١٩٤٩.

(٢) استخدم كامو بدعة الرسالة الخياليّة عدّة مرّات. *رسالة إلى إنكليزي شابّ من الأمّة الفرنسيّة*، عام ١٩٣٩، في الجزائر الجمهوريّة. وفي الحقبة نفسها، في *المفكرة*، *رسالة إلى يائس*. وعلى وجه الخصوص، «*رسائل إلى صديق ألماني*»، الموجّهة إلى الصحافة السريّة والتي نُشرت عام ١٩٤٥.

رواية. «في ذلك المساء، لم تكن الأمور على خير ما يرام ـ كان قد صفّق خلال الحفل الموسيقيّ بعد الحركة الثالثة، ظانًّا أنّ السيمفونيّة قد انتهت. إلاّ أنّ همسات عنيفة ومؤنّبة أعلمته بوجود أربع حركات. وما زالت نظرة جيرانه المثقلة بالنشوة الأخيرة وبازدراء مفاجئ، إلى اليوم تطارده».

إحدى القصص بأسلوب فرنسي (يونان).

فيضان نهر السين. في الليل، ضجيج النهر الذي ما سُمع قطّ.

*

دون جوان. الملحد الأخلاقي يجد الإيمان. مذّاك يصبح كلّ شيء مباحًا، ما دام بإمكان أحدهم أن يصفح عمّا لا يستطيع الناس غفرانه. من هنا فجورٌ سخيٌّ متوّج بإيمان حيّ.

حبّ الإبداع قويّ إلى درجة أنّ العاجزين عنه يختارون الشيوعيّة إذ توفّر لهم إبداع جماعيّ.

*

مسرح. تيمون ـ الممسوسون ـ جولي ـ قصيدة مرتجلة ـ صحافة ـ باخوسيّات.

يتقبّل دانتي وجود ملائكة محايدين حيال شجار الشيطان والإله. يزقّهم في مدخل جحيمه. III ٣٧[١].

*

١٨ فبراير/شباط

جمال مدينة الجزائر صباحًا. الياسمين في حديقة سان جورج. يملأني تنشّق عطره فرحًا وشبابًا. النزول إلى المدينة النضرة المشبعة بالهواء. البحر المتلألئ في البعيد. سعادة.

*

وفاة فرنسوا، المعوّق. طردته العيادة إلى بيته مع سرطان في اللسان. احتُضر وحيدًا في كوخه، وبصق الدم على كامل الجدار وهو يضرب بقبضته ذاك الجدار السميك والملوّث الذي يفصله عن الجيران.

*

١٩.

لا يوجد في منزلي كنبةٌ واحدة. حفنة كراسٍ. هكذا دائمًا. لا استسلام أبدًا ولا راحة.

---

(١) «... ذاك الكورس الكريه من ملائكة لم تتمرّد ولم تخلص للإله، ولم تفكّر إلاّ بنفسها. طردتها السماوات لكي لا تخسر جمالها أبدًا، ولم تستقبلها الجحيم العميقة إذ ربّما استمدّ الخطأة منها مجدًا ما»، (ترجمة ألكسندر ماسّورون).

زيارة لأصحاب المحالّ التجاريّة في بيلكور. ٣ أموات. آل ماسّون. مارت. ألكسندرين. جولييت. زينزين (أذنان كبيرتان، بهلوان، يغنّي في سينما القصر).

*

الرجل الأول. في أيّ عام وُلد أبي؟ لست أدري. كنت أكبره بأربعة أعوام.

وأنت في أيّ عام؟

لا أدري. انظر بطاقتي العائليّة.

حسنًا، لقد تخلّت عنه العائلة. في أيّ سنّ؟ ــ لا أدري. ياه! كان شابًّا. شقيقته تركته. كم كان عمر شقيقته؟ لا أدري. ــ وإخوته؟ كان أصغرهم ــ كلاّ، كان ثاني إخوته. ــ إذًا كان إخوته أصغر من أن يهتمّوا به. ــ أجل، لا بدّ أنّه السبب. ــ لم يكن بوسعهم إذًا فعل شيء آخر.

في السادسة عشرة من عمره، عامل زراعيّ متدرّب لدى عائلة زوج شقيقته. يجبرونه على العمل لساعات طوال.

«لم يكن يرغب برؤيتهم بعد الآن. كان قد اكتفى منهم».

كما سبق. يناضل من أجل القضيّة العربيّة. يتمّ القبض عليه مع زوجته أثناء مظاهرة مناهضة للفرنسيّين، فيقتلها لكي يخلّصها من الاغتصاب، ويبقى هو على قيد الحياة. يُحاكَم ويُدان.

أو: لقد ناضلت من أجلهم عشرين عامًا، ويوم تحريرهم قتلوا والدتي.

كما سبق. انتحار فلان. سان جرمان دي بري. صديق ميفيستو[١]. مارينيلّلا. ثمالة. جان بيار الذي يشتم فلانًا: «أنت فالح في كلّ شيء. أنت تقرفني».

*

.٢٠

تيبازا. مطر وشمس. زهور الأفسنتين مبتلّة بالماء. وسيول من الأنوار النضرة فوق الآثار الرطبة. الانفعال نفسه، في تجدّد دائم.

يا لحظّ المجيء إلى العالم على هضاب تيبازا، وليس في سان إتيان أو في روبيه. معرفة حظّي وتلقّيه بامتنان.

*

.٢١

نهار مشعّ. في البعيد، يمتزج بريق البحر والسماء. وكما في كلّ صباح، الحديقة وعطر الياسمين. اليوم، تهلّل العصافير جذلة.

*

---

(١) حانة سان جرمان دي بري التي كان يملكها فرنسي من أصل جزائري.

٢٢ فبراير/شباط

ضباب.

*

٢٣ فبراير/شباط

توقظني الشمس غامرةً سريري. النهار كأس بلّورية تفيض بنور أزرق ذهبيّ لا ينقطع.

*

٢٤ فبراير/شباط

مدينة أورليانزفيل[١]. في الصبيحة، جبال مقتطعة في وريقة رقيقة من بخور مريم. في المدينة نفسها، أكواخ وإعادة إعمار: الغرب المتوحّش. فريق المهندسين الشباب الذي يفلت من الإحباط لأنّه يرى هذه المدينة في المستقبل.

*

٢٥ فبراير/شباط

الراسينغ، فريق جامعة مدينة الجزائر[٢]. سعادة تلك الصداقة البسيطة التي عشتها.

---

(١) دمّر زلزال أرضيّ مدينة أورليانزفيل عام ١٩٥٤. هو المهندس المدينيّ جان دو ميزونسول، صديق قديم لكامو، الذي اصطحبه لمشاهدة ورشة إعادة الإعمار. وقد تمّ تشييد مسرح أُطلق عليه اسم مسرح ألبير كامو.

(٢) كان كامو في شبابه حارس المرمى في هذا الفريق.

٢٦ فبراير/شباط

عندما تلد الملكة الكبيرة الملكات الصغيرات، يقتلنها أولاءِ أو يطردنها. فتموت جوعًا على حافّة قفير النحل.

عرض الحبّ التافه ذاك ومتطلّباته المقيتة التي بفضلها يتعاون الضعفاء والمبتذلون على العيش وعلى الظهور.

*

٢٦ أبريل/نيسان

مغادرة باريس. حزين ومفرغ من كلّ فرح على يد فلان. جبال الألب. والجزر التي تأتي على مهل، واحدة تلو الأخرى، إلى لقائنا في عرض البحر: كورسيكا، سردينيا، وفي البعيد إيلب وكالابريا. سيفالونيا وإيتاك المختبئتان تقريبًا في الغسق، ومن ثم ساحل اليونان، إنّما ليلاً، تصبح يد بيلوبونيز العضليّة قارّة معتمة وغامضة، مكسوّة بأزهار اللبن الثلجيّة حيث تلتمع في البعيد قممٌ مكسوّة بالثلوج. بضع نجمات في السماء التي ما زالت مضيئة، ومن ثم قمرٌ هلال. أثينا.

*

٢٧.

عند الاستيقاظ، ريحٌ، سحبٌ وشمس. قضاء بعض الحاجيات. المترجم الجذّاب ابن الـــ ٢١ عامًا الذي يرافقني، ذو النضارة

الرائعة (قلت لك إنّي قريب من الفندق، لكن لم يكن ذلك صحيحًا، وقد جريت طوال الوقت لكي لا أصل متأخرًا، لهذا السبب أنا ألهث) والذي يسعى إلى كسبي وأتبنّاه.

الأكروبوليس. لقد طردت الريحُ السحبَ كلّها فهبط من السماء النورُ الأكثر بياضًا والأشدّ فجاجةً. طوال الصبيحة، شعورٌ غريبٌ بالتواجد هنا منذ أعوام، في موطني بأيّ حال، دون انزعاج حتى من اختلاف اللغة. أثناء صعودي إلى الأكروبوليس، تضاعفَ هذا الانطباع عندما لحظت أنّي ذاهب إليه «كجارٍ» دون أيّ انفعال.

هناك، في الأعلى، الأمر مختلف. على المعابد وحجارة أرضيّتها التي تبدو وكأنّ الريح قد كشطتها حتى العظم، يسقط نورُ الحادية عشرة بزخم، يثب مجدّدًا، ثم يتشظّى آلافًا من السيوف البيضاء الحارقة. ينقّب الضوءُ في العيون، ينتزع دموعَها ويخترق الجسدَ بسرعة موجعة، يفرّغه ويشرّعه أمام نوع من الاغتصاب الجسديّ كليّة، وينظّفه في آن واحد.

بعد أن تعتاد العيون، تنفتح شيئًا فشيئًا ويتمّ استقبال الجمال المسرف للمكان (أجل، هذا ما يبهرني، الجرأة الاستثنائيّة لتلك الكلاسيكيّة) داخل كائن تطهّر، بعد أن فُرك بمطهّرات الضوء.

شقائق النعمان الحمراء الداكنة التي لم يسبق لي أن رأيت مثلها، والتي تتفتّح إحداها مباشرةً، وحيدةً فوق الحجر العاري،

الـ[...][1]، الخبّازى والفضاء المأهول حتى البحر بمناظر لا تشوبها شائبة. وجه تمثال كوريه الثانية، وساق كوريه الثالثة المثنيّة فوق معبد إيريكتيون...

هنا تكافَح الفكرة القائلة إنّه قد تمّ بلوغ الكمال، وإنّ العالم منذ ذلك الحين لم ينِ يتراجع. غير أنّ هذه الفكرة تطحن القلب في النهاية، إذ ينبغي أبدًا ودومًا مكافحتها. نحن نريد العيش، والاقتناعُ بها يعني الموت.

ما بعد الظهيرة، سلسلة جبال هيميت بلون البنفسج الفاتح. جبل بانتيليك.

السابعة مساءً. محاضرة. تناول العشاء في حانة في الحيّ القديم.

*

.٢٨

صباحًا، برفقة مرغريت ليبراكي[2]. دافني. إنّما، بيزنطية بلا ريب... المكان ساحر. مدينة إلفسينا حيث ينبغي الكثير من الخيال. إنّما الريف ما قبل إلفسينا وما بعدها جميل جدًّا. في المعبد، هناك

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) روائيّة وكاتبة مسرحيّة يونانيّة.

محوران يفضيان إلى المزار أحدهما ينحرف لكي يخفي كلّ شيء عن أنظار الفضوليّين.

أهمِّيَّة قصوى لما أعرفه عن إلفسينا. للتطوير.

في المتحف، قطع رائعة.

الغداء في السفارة. وقت ضائع.

ما بعد الظهيرة. ساحة أغورا. تيزيون. هضبة آريوباج؛ في متحف أغورا الصغير، تماثيل هيراكليون، أثينا، هراقليس. هيراقليس المفتول العضلات والقاسي تحت شجيرات صريمة الجدي المزهرة التي تغطّيه. أصعد من ثم إلى هضبة عرائس الشعر. الشمس الواطئة فوق الأفق لم تبلغ بعد اللحظة حيث يرسمها الأحمر، لونُها، بشكل بارز جدًّا في السماء الصافية. إلاّ أنّها لم تعد في كامل قواها، فإذا بها تهزل وتفقد شكلها. حينها يفلت من دائرتها المنكسرة عسلٌ متدفّق ينتشر في السماء بأكملها، يطلي بالذهب الهضابَ والأكروبوليس، ويكسو، بمجدٍ شهيّ وفريد، مكعّبات المدينة المبعثرة في زوايا الأفق الأربع، وحتى البحر.

أنزل قبل قليل من ميعاد محاضرتي المثيرة للسجال. أخرج منها بعد ساعتين، متعبًا، حيث أجيب على جمهرة من الأسئلة. أتناول العشاء في بيرايوس مع مرغريت ليبراكي. إنّها كائن غريب، سرّي وأسود، مع نوبات ضحك وحياة فجائيّة.

*

صباحًا. المتحف الوطني. إنّه يحوي كلّ جمال العالم. كان ينبغي لتماثيل كوريه أن تمسّني، كنت أعرف ذلك، بيد أنّ الانبهار الذي خلّفته فيّ ما زال مستمرًّا. يُسمح لي بزيارة الأقبية حيث وُضع بعضها لحمايته من الاجتياح والدمار خلال الحرب. وهنا، في الأقبية حيث رمتها الحرب، ها هي ما زالت تبتسم من تحت الغبار والقشّ اللذين يكسوانها، وبالرّغم من مرور ٢٥ قرنًا، ما زالت تلك الابتسامة تدفّئ وتُعلّم وتشجّع. شواهد الأضرحة أيضًا وذلك الألم المكبوت. على إناءٍ إغريقيّ قديمٍ، أبيض وأسود، لا يستطيع الميّت الذي لا عزاء له تقبّل عدم رؤية الشمس والبحر بعد الآن. أخرج من هذا الكمال ثملاً بعض الشيء وتعيسًا.

ثم أرحل إلى سونيون. لم يزل ضوء منتصف النهار محتجبًا قليلاً، يحمل في طيّاته ضبابًا خفيًّا معلّقًا، غير أنّي رغم ذلك معجب بفضاء هذه المناظر المحدودة وبسعتها. كلّما اقتربنا من سونيون، ينتعش النور ويبدو أكثر فتوّة. ومن ثم، في الخليج، عند أقدام المعبد، لا شيء هناك إلاّ الريح. المعبد ذاته لا يثير فيّ أيّة مشاعر. فللرخام الأبيض جدًّا مظهر الجصّ. غير أنّ الرأس حيث يرتفع المعبد، الرأس المتقدّم نحو البحر ككثيب نشرف منه على أسطول الجزر في عرض البحر، فيما يزبد البحر في الخلف، يمينًا ويسارًا، وعلى طول الحوافّ الرمليّة والصخور، هو مكانٌ يفوق الوصف.

تصفر الريح الغاضبة بين الأعمدة بقوّة كبيرة لدرجة تشعرنا أنّنا في قلب غابة حيّة. تخلط الهواءَ الأزرق، تستنشق هواءَ عرض البحر، تمزجه، بعنفٍ، بالعطر الفائح من الهضبة المكسوّة بزهور صغيرة نديّة، جاعلةً ملاءات زرقاء منسوجة من الهواء والنور تصفق غاضبةً من حولنا ودونما مهادنة. جالسٌ عند أسفل المعبد لكي أحتمي من الريح، يصبح النور فورًا أكثر صفاء في نوع من التدفّق الهامد. وفي البعيد، تنساب جزرٌ. لا طير. البحر يرغي بخفّة حتى الأفق. لحظة كمال.

كمال، فيما عدا تلك الجزيرة قبالة ماكرونيسوس[1] الخاوية اليوم، صحيح، إنّما التي كانت جزيرةً للمساجين المبعَدين، رُويت لي عنها أخبارٌ مريعة. على الشاطئ الصغير في الأسفل، نتناول طعام الغداء، سمك وجبن، أمام سفن الصيد الكبيرة في الميناء الصغير. نحو منتصف ما بعد الظهيرة، تحلك الألوان، تتصلّب الجزر وتسترخي السماء. إنّها لحظة النور المثاليّة، الاستسلام، وكلّ شيء *على ما يرام*. لكن يجب الرحيل بسبب محاضرتي. أنتزع نفسي بعناء من هذه الأمكنة، ولا أغادرها كلّيّةً.

على الرأس من جديد، وقبل سلوك طريق العودة، نلمح ماكرونيسوس. خلال طريق العودة كلّها، أجمل نور رأيته هنا، فوق

---

(١) يوجد في الملفّات السياسيّة، ضمن أرشيف ألبير كامو، كمّيّة مهمّة من الوثائق حول ماكرونيسوس.

حقول الزيتون، أشجار التين الخضراء بشكل استثنائي، أشجار السرو النادرة وأشجار الكينا.

محاضرة. عشاء أحصل خلاله على معلومات حول عمليّات الترحيل والإبعاد. تبدو الأرقام متوافقة. انخفض عدد المرحَّلين والمبعدين إلى ٨٠٠ أو ٩٠٠. عليّ الاهتمام بهؤلاء.

*

.٣٠

المتحف الوطني. تمثال كوروس النحيل الذي سأراه مجدّدًا. تكرار هيكوبا [ملكة طروادة]. أولئك الشابّات الإغريقيّات يفتقدن الحسن والتميّز، ما عدا واحدة. غداء في كيفيسيا، تحت نور ناعم. تضجّ الحديقة بأناشيد البلابل.

ما بعد الظهر. عمل ومن ثم هضبة عرائس الشعر. الشمس هذي المرّة قريبة من نهايتها. مرّة أخرى، فرحٌ ضاحكٌ أمام الجرأة، الأكروبوليس المعجزة حيث لم يتلاعب المهندسون بالمقاييس المتناغمة، وإنّما بالغلوّ المعجز للخلجان وللجزر المرميّة فوق خليج شاسع هائل، ولسماء أشبه بصدفة عملاقة دوّارة. ليس البانتيون هو ما بنوه، وإنّما الفضاء نفسه وضمن مناظير هذيانيّة.

على أسطول الجزر والرؤوس ذاك، المشرفُ عليه كثيبُ الصخرة، تهبط سكينةُ المساء فجأة و[...][1] فوق ملاحة صامتة.

*

رسالة مدرَجة.

عزيزي فلان.

لا يهمّ صمتي الحاليّ سواي. فهو مرتبط بعدّة أشياء في حياتي الشخصيّة لكي أتمكّن من شرحه لك. على أيّة حال، ينبغي أن يسرّك ذلك، لأنّي لو تكلّمتُ لما قلتُ ما كنت تأمل بسماعه وما كنت لأفرح أحدًا. وفي النهاية، لا تفتقد القضيّة التي تهمّك إلى محامين معيّنين (في مطلق الحال أعترف أنّهم لم يكونوا أقوياء جدًّا في هذا الظرف). غير أنّ رسالتك تدفعني إلى قول أمرٍ كنت أودّ منذ زمنٍ طويل قوله لك، وهو أنّك قد قمت بخيارك في إطار النزاع الكبير الذي يقسم القرن العشرين. أنت تعرف مثلاً أنّه قد أُعيد تسليح ألمانيا الشرقيّة منذ فترة طويلة، وأنّ عددًا معيّنًا من الجنرالات النازيّين الأسبقين ينشطون فيها، كما في ألمانيا الغربيّة. ولقد اعترف الاتّحاد السوفييتي مرّات عديدة بحقّ ألمانيا بقوّات وطنيّة خاصّة بها. أنت لا تأتي على ذكر هذا الموضوع ذلك أنّك تقبل إعادة التسلّح تلك إذا ما تمّت بإشراف الاتّحاد السوفييتي، وترفضها

(1) كلمة غير مقروءة.

في إطار غربيّ. وتلك هي الحال بالنسبة لكلّ شيء. وربّما حتى (أطرح السؤال على نفسك) تقبّلتَ تحويل فرنسا إلى ديموقراطيّة شعبيّة بحماية الجيش الأحمر (أذكّرك هنا بأنّي دافعتُ عن الشيوعيّين ضدّ كلّ «أطلسة» للسياسة الداخليّة). في كلّ مرّة حدّثتني أو كتبت إليّ عن هذه القضايا، كان رأيك الضمني بديهيًّا، ولم يكن استنكارك صادقًا إلاّ في مواجهة جرائم من نوع روزنمبرغ، في حين كان يعمّ فيك صمتٌ محمّل بالشكّ ما إن يتعلّق الأمر بقمع مظاهرة عمّاليّة في ألمانيا على يد نظام شيوعيّ[1] (النقطة الأخيرة هذه مهمّة، وهي تبدو لي بمثابة اختبار مؤلم، إنّما مصيريّ، بالنسبة لموقف مثقّفي اليسار).

لقد قمتَ إذًا بخيارك، برأيي أنا. وبما أنّك اخترت، فمن الطبيعي أن تدخل في الحزب الشيوعيّ. لستُ أنا من سيأخذ عليك ذلك، فأنا لا أشعر بالاحتقار تجاه المناضلين الشيوعيّين رغم أنّني أجد أنّهم في خطأ مميت. وإنّما أنا أكنّ احتقارًا كبيرًا للمثقّفين الذين يدّعون أنّهم مثقّفون وهم ليسوا كذلك، والذين يقتلوننا بتمزّقهم المزعوم ككهنة علمانيّين ينتهون إلى إراحة ضمائرهم على حساب المناضلين العمّال.

---

(1) عام ١٩٥٣، تمّ إعدام الزوجين روزنمبرغ المتّهمين بالتجسّس، في الولايات المتّحدة الأميركيّة، في حين قمعت الدبّابات السوفييتيّة الحركة العمّاليّة في برلين الشرقيّة.

افعل إذًا لمرّةٍ أولى وأخيرة ما ترغب بفعله، وكن صادقًا مع ذاتك. وسوف ترى من ثم. فأنت تقارن دونما توقّف بين شيئين تعرف أحدَهما وتحكم عليه ـ المجتمع حيث نحيا ـ وتجهل الآخر. لن يساعدك الحزب الشيوعي على معرفة الديموقراطيّات الشعبيّة. وهذا ضروريّ. ولكنّه سيعينك على معرفة الشيوعيّة التي لا تعرف عنها إلاّ القليل. فهنيئًا لك إذا كنت تجد فيها السلام وقاعدة حياة. وإلاّ فستكون قد كسبت على الأقلّ معرفة القضيّة حقًّا.

وتفاديًا لأيّ لغط، أكرّر عليك ما أعتقده. ينبغي التنديد بإعادة تسلّح ألمانيا في الحالتين، وإلاّ فإنّ القصّة كلّها خديعة. وإذا استمررتُ في عدم إيجاد عذر أو تبرير لمساعدة فرانكو أو للسياسة «الفاكهيّة» في أميركا الجنوبيّة أو للاستعمار، فأنا لا أقبل تطبيق السياسة الفاكهيّة على فرنسا بمعونة روسيا وداعمها غير المشروط، الحزب الشيوعي الفرنسي.

هي أمور تعرفها على أيّة حال. ببساطة، لقد عنت لك كتبي أقلّ بكثير ممّا تدّعي. في حين كانت مودّتك أكثر واقعيّة. إلاّ أنّ من يعتنقْ دينًا ويحبّ أصدقاءه ووالدته، يتخلَّ عنهم رغم ذلك. إذ لا يمكنني أن أدعك تظنّ أنّك لا تدخل في كنيسة منذ لحظة اختيارك أرثوذكسيّة كأرثوذكسيّة الحزب الشيوعيّ. لا تشكّك، واعترف على العكس في قلبك أنّ الإغراء الشيوعيّ بالنسبة إلى مثقّف هو من نوع الإغراء الدينيّ نفسه. لا عيب في ذلك، شرط أن تخضع له بولاء مع إدراك عواقبه. أمّا فيما يخصّني، فلك صداقتي حتى عن

بُعد. أطلب منك فقط، إذا ما تابعتَ مشروعك وإذا ما سمعتَ أنّي، موضوعيًّا كما يُقال، فاشيٌّ فظيع، ألاّ تنفي ذلك، فهذا سيكون مستحيلاً، وإنّما أن تحاول فقط ألاّ تفكّره. حظًّا موفّقًا من كلّ قلبي، وثق أنّك ستبقى دائمًا في البال.

*

في المساء، رقصات شعبيّة عند «جوني المجنون». أسعى جاهدًا لكي أجدها مثيرة للاهتمام. غير أنّ الراقصين، والراقصات على وجه الخصوص، قبيحون جدًّا.

*

الأوّل من مايو/أيّار

المغادرة إلى أرغوليد في الصباح المُبكر. ساحل الخليج الكورنثي. ضوءٌ متراقص، هوائيّ، مبتهجٌ، يغمر الخليج والجُزر في عرض البحر. نتوقّف للحظاتٍ على حافّة الهاوية، وكلّ اتّساع البحر أمامنا معروضٌ في تقويسةٍ واحدة، ككأسٍ نرتشف منها الضوءَ والهواءَ بجرعاتٍ كبيرة.

بعد ساعةٍ من الطريق، أنا ثملٌ حرفيًّا بالضوء ورأسي ملآنُ ببريقٍ وبصيحات صامتة؛ وفي مغارة القلب، فرحٌ هائلٌ وضحكةٌ لا تنتهي، ضحكة المعرفة التي يمكن من بعدها تقبّل حدوث أيّ شيءٍ. النزول إلى ميسان وآرغوس. القلعة الميسانيّة المكسوّة بزهور

الأقحوان على شكل باقاتٍ كثيفةٍ، ترتعش في الهواء فوق القبور الملكيّة. (كلّ المناطق التي زرتُها في اليونان مكسوّةٌ حاليًّا بالأقحوان وبآلاف الزهور). من أعلى القلعة، السهل المنبسط حتى آرغوس والبحر. لا تمتدّ مساحة مملكة أغممنون على أكثر من عشرة كيلومترات، ومع ذلك فإنّ النِسَب تجعلها المملكة الأكثر اتّساعًا تحت الشمس. ميسان المُدمَّرة بين صخرتيها العاليتين، المُحزَّمة بقلاعٍ هائلة الحجم تحت ضوءٍ يصبح ها هنا رهيبًا، هي الملكة الوحشيّة اليوم لهذه الأرض التي لا تُنسى.

ليست آثار آرغوس ذات أهمّيّة بالنسبة إليّ. ما يهمّني جدًّا هو عالِم الآثار الشابّ جورج رو من منطقة فوكلوز، الحيويّ والمولَع جدًّا بمهنته الجميلة. إنّي أحسده قليلاً وألوم نفسي بمرارةٍ على الوقت الضائع في السنوات الأخيرة، وعلى تقصيري العميق. أزينّيه حيث نتناول الغداء، وحيث سبحتُ قبلاً على الشاطئ الجميل في مياه شفّافة وباردة.

ما بعد الظهر، إبيدور حيث صنع عيد الأوّل من مايو/أيّار احتفالاً شعبيًّا من اليونانيّين الفرحين. إنّما من أعلى المسرح، في الضوء السميك والدافئ الذي ينتشر على المنحدرات المشجّرة بالزيتون، بشجر الكينا، ال[...][1] والأكاسيا، يتردّد رجْعُ كلّ

---

(1) كلمة غير مقروءة.

الأصوات في نوعٍ من البعاد الشاسع والوديع. وحدها جلاجل قطعان الخراف تُسمَع في قمّة الأصوات الأخرى، وإنّما في البعاد نفسه دائمًا. اللحظة هنا أيضًا كاملة.

المساء. نوبلي أمام البحر، في تلك الساعة التي يسمّيها اليونانيّون ملوكيّة الشمس، والتي هي ساعة الأرجوان في السماء، الليلكيّ والزرقات الملقاة فوق القمم والخلجان.

*

٢ مايو/أيّار

في الصباح، الرحيل إلى إسبرطة تحت شمسٍ رهيبة. وديانٌ شاسعة يؤسّس كلٌّ منها مملكةً من شجر الزيتون ومن السرو الأبيّ، جبالٌ وعِرة وقرى تتباعد أكثر فأكثر. هنا اليونان مقحلة. وحدها قطعان الخراف الملوّنة بالزهريّ والأخضر والأحمر، تجوبها. في سهل إفروتاس، تمدّد إسبرطة تحت جبل تايجات الثلجيّ حقولَها من شجر البرتقال التي ما عاد عطرها الوافر يغادرنا. وفوق ميسترا وأنقاضها، تحليق اليمام. ديرٌ هادئ بجدران بيضاء مطليّة بالكلس، مشرّعٌ على سهل لاكونيا الشاسع بزيتونه المستدير المنفصل جيّدًا، بعضه عن بعضه الآخر، والمرتعش تحت شمسٍ لا تكلّ.

عند العودة، النزول إلى نوبلي. خليجها، الجُزر والجبال في البعيد. استراحة في أرغوس مع علماء الآثار الشباب. الانطباع هو

نفسه الذي كان أمام المجموعة الصغيرة من المهندسين الذين يُعيدون إعمار أورليانزفيل، ويعيشون هناك جماعةً. ما شعرتُ أبدًا بالسعادة والسلام إلاّ في مهنةٍ، عملٍ، أتمّمه مع أناسٍ آخرين أستطيع أن أحبّهم. لا مهنة لديّ، وإنّما فقط دعوة. وعملي وحدانيّ. ينبغي أن أتقبّله، وأن أسعى فقط لأن أكون جديرًا به. وهذه ليست هي الحال الآن. بيد أنّني لا أستطيع صدّ شعورٍ بالاكتئاب أمام هؤلاء الرجال السعداء بما يفعلون.

نعود إلى ميسان؛ كانت الشمس تغيب عند لحظة وصولنا إلى أعلى جلٍ. قمرٌ يُبحر بخفّةٍ ما بين القمم الوعِرة المطلّة عليها. قبالتنا يمتدّ السهل الداكن المكفهرّ عند قدم جبال أرغوس الزرقاء، وصولاً إلى البحر الأكثر سطوعًا إلى يميننا. الفضاء شاسعٌ، والصمت مُطلَقٌ إلى درجةٍ تجعل القدم تأسف لأنّها دحرجت حجرًا. يلهث قطارٌ في البعيد، ويُرسل حمارٌ في السهل شكواه التي تصعد إلينا. تنزل جلاجل القطعان المنحدرات بضجيجٍ أشبه بصوت المياه. في هذا الديكور الوحشيّ والحنون، [...][1] رائعة. خفيضًا يلامس الأرض، يمرّ نسيمٌ عليلٌ على زهور الأقحوان التي تفتّحت لتوّها. وشيئًا فشيئًا، يهبط أجمل مساءٍ في العالم فوق أسود ميسان. يحلك لونُ الجبال تدريجيًا إلى أن تتحول السلاسل العشر التي تتكرّر حتى الأفق، غلالةً وحيدة من البخار الأزرق. كان الأمر يستحقّ عناء

---

(1) كلمة غير مقروءة.

المجيء من مكانٍ بهذا البُعد لتلقّي القطعة الكبيرة هذه من الأزليّة. بعد ذلك، لا أهميّة لما تبقّى.

*

٣ مايو/أيّار

العمل صباحًا. الرحيل إلى ديلف عند الساعة الواحدة ظهرًا. الضوء هو نفسه دائمًا، لكنّه هذه المرّة على مرتفعاتٍ قليلة الضخامة، حجريّة، ولا شجر فيها. هنا نشعر بأنّ اليونان هي، قبل كلّ شيء، فضاءٌ مصنوعٌ من خطوطٍ منحنية أو مستقيمة، وإنّما جانبيّة الشكل دائمًا. ترسم الأرض بأكملها السماء وتمنحها أشكالها، غير أنّ السماء بدورها ليست شيئًا من دون تلك المعالم التي ينظّم انغلاقها المتناغم فضاءها الخلصَ. لذا، فإنّ أدنى مَيلٍ هنا قد فصلَ ممالك كبيرة: مساحة الأرض هي ضعف مساحة السماء. تفقعُ سحابةٌ وحيدةٌ كنّا نراها تتعاظم منذ حينٍ، لدى وصولها إلى ما يُشبه حوضًا، وتنفجر في بضع ثوانٍ. ينهمر وابلٌ من حبيبات البرَد الكبيرة على السيّارة بصخَبٍ يصمّ الأذنين. بعد خمسِ دقائق، نجد السماء صافيةً من جديد، فننصرف وقد خرجنا من الحَوض خفيفين مرحين.

ديلف. إلى جانب ضخامة الموقع، الأكثر غرابةً أوّلاً هو في عمق الوادي الكبير، أي ذلك النهر الأخضر الغامق الذي يدفع

أردافًا مُعضلة [.....][1] نحو البحر. إنّها أشجار زيتونٍ متحاشِرة، متداخلة إلى درجةٍ تبدو من الأعالي وكأنّها لا تشكّل إلاّ دربًا مرتعشة باتّجاه الأفق. أمّا الآثار فقد بلّلتها العاصفة التي هبّت أيضًا على ديلف، وهي تبدو أكثر حياةً وسْط الأزهار الأكثر حيويّةً والأعشاب الأكثر اخضرارًا. يُبحر عقابٌ أسوَد على ارتفاعٍ كبيرٍ جدًّا، لثوانٍ، ويختفي. ومن ثم يسترخي النهار. ومن أعالي القمم، تبدأ عذوبةٌ يبشّرُ هبوطُها بحلول المساء. أعود إلى الملعب الأثريّ الذي أخرج منه سعيدًا.

مساءً، يدعوني أربعة يونانيّين بلطفٍ إلى الرقص على معزوفة بوزوكي [آلة بُزُق يونانيّة]. إلاّ أنّ خطواتهم صعبة جدًّا. لو كان لديّ متّسع من الوقت لأحببتُ تعلّمها. من غرفتي، الوادي مليء بالظلّ، وصولاً إلى عقد الأنوار الصغير الذي يحفّ بالبحر. يلقي قمرٌ محاطٌ بأوشحةٍ خفيفةٍ نورًا رقيقًا مُغبرًّا على الجبال وفي تجاويف الظلّ. الصمت الشاسع كالفضاء، لذيذ.

*

٤ مايو/أيّار

المغادرة صباحًا إلى فولوس. جبالٌ وعِرة، ومن ثم سهل لاميا. ومجدّدًا، جبالٌ أكثر نعومةً وأكثر اخضرارًا تحت الشمس الصاعدة،

---

(١) كلمتان غير مقروءتين.

وها هو سهل تيساليا الشاسع. أكواخ الأرومانيّين البدائيّة ــ والمدى الهائل. الشرق ليس بعيدًا. فولوس. ٨٠% من البيوت مدمَّرَة أو مقوّضة[١]. كلّ المدينة تحت الخيام. تمرّ الشمس ثقيلةً فوق الشوادر وعلى المدينة المُغبرّة. هناك القليل من بيوت الخلاء أو هي معدومةٌ تمامًا. أتساءل كيف سيتمّ تجنّب الوباء. مدرسةٌ فرنسيّة تحت الخيام. والبحر قريبٌ جدًّا، أملسُ ومنعشٌ، على حافّة المدينة المدمَّرَة. يستقبلني العُمدة في الباحة بالقرب من البيت المهدود. شخصيّةٌ ذكيّةٌ وأنيقة. لدى تلفّظي بكلمةٍ شقيّةٍ، يصل حلاّقٌ فيقصّ شعري في الباحة أمام الجميع، في جوٍّ من الألفة هي بين الأكثر سحرًا. في المدينة أيضًا. الاحتفال بالقدّاس خارجًا، الخيمة ــ المستشفى، إلخ. العودة بالسيّارة إلى لاريسا. قطار. من لاريسا إلى تسالونيك. في الليل، نسير بمحاذاة البحر المتلألئ تحت ضوء القمر. الوصول عند الساعة ١١ ليلاً.

*

٥ مايو/أيّار

عمل. غداءٌ مع تورنير والكولونيل برامبل[٢] (أو أحد يشبهه كثيرًا). الكنائس البيزنطيّة. الدير الصغير مع الطواويس. القدّيس داوود، القدّيس جورج. القدّيس ديمتري. الرُسل الاثنا عشر (القدّيسة

---

(١) بسبب زلزال عام ١٩٥٥.

(٢) شخصيّة من رواية أندريه موروا، *فترات صمت الكولونيل برامبل*.

صوفيا غير مثيرة للاهتمام). لا يؤثّر الفنّ البيزنطيّ فيّ كثيرًا. ينبغي أن أعترف بذلك. إلاّ أنّني مهتمٌّ بهذا التطوّر الذي يبدأ من القرن الخامس وحتى القرن الثاني عشر، والذي يُتيح إعادة تشكيل حلقة وصلٍ ما بين الفترة الهيلّلينيّة والقرن الخامس عشر في إيطاليا. فعلى سبيل المثال، الفسيفساءات واللوحات الجداريّة للرُسل الاثني عشر بعيدةٌ عن تصلّب وجمود القرون الأولى لهذا الفنّ. وهي تُبشّر بمجيء دوتشيو. أستفسر لاحقًا (في المساء) من اختصاصيّ يعلمني أنّ الفنّانين البيزنطيّين هاجروا إلى إيطاليا بعد سقوط القسطنطينيّة.

شيئًا فشيئًا، أُزيل التأثيرُ الشرقيّ من هذه الطريقة.

مساءً. محاضرة. أنفعل لحضور فتاة شابّة تسجّلت[١]. حفل استقبال أساتذة جامعيّين. أستريح في الليل على شرفة غرفتي، متأمّلاً الميناء والزوارق والبحر عند الرصيف، ومتنشّقًا رائحة الملح والليل الشذيّة.

*

٦، ٧، ٨ مايو/أيّار

غداءً مع (ت) أمام البحر، على قمّة مرتفعٍ صخريّ. الجوّ لطيف. يؤدّي (ت) أمامي من ثم آخر معزوفاته. ينبغي الرحيل.

---

(١) قراءة مشبوهة.

الطائرة. من تحتنا، تطفو جُزر سبوراد فوق البحر المتلألئ. عشاءٌ مع مِرلييه[1]. عند منتصف الليل، يأتي (د) لاصطحابي فنذهب إلى بيرايوس حيث ينتظرنا السيّد ألغاديس ومركبه الشراعيّ الجميل. رجلٌ بدينٌ وطيّبٌ، مرحٌ ومحبَّب. نغادر بيرايوس تحت قمرٍ أغبَر يُضيء البحر بنورٍ دافئ خياليّ. أنا سعيدٌ إذ أشعر بالماء يضرب قعر المركب، وأرى الزبد الخفيف ينزلق مجدّدًا عن جانبَي المقدّمة. ولكن بعد فترةٍ، نرى الضباب يولَد حرفيًّا من البحر ويتراكم طبقاتٍ، يصبح سميكًا ويسدّ الأفق شيئًا فشيئًا. الطقس باردٌ ورطبٌ. يزعم ألغاديس أنّه لم يرَ أبدًا هذا في الأرخبيل. ينبغي تحويل اتّجاه المركب الشراعي لتفادي جزيرتين صغيرتين. أنزل لكي أنام. يستعصي النوم حتى السادسة صباحًا. أستفيق بعد ساعتين وأصعد إلى السطح. الضباب ما زال هنا. أمضى ألغاديس وبحّارُه الليل ساهرَين خوفًا من الجنوح. ولكن، شيئًا فشيئًا، تطلع الشمس، تظهر شاحبةً ثم تخرق الضباب وتبدّده أخيرًا. نحو الحادية عشرة ظهرًا، نتقدّم (من دون أشرعة لعدم وجود هواء) فوق بحرٍ هامدٍ، في ضوءٍ متلألئ ورهيف. الجوّ صافٍ جدًّا لدرجةٍ توحي بإمكان سماع أدنى صوتٍ من ناحية الأفق. تدفّئ الشمس سطحَ المركب وترتفع حرارتُها شيئًا فشيئًا، فتظهر الجزيرة الأولى حينئذٍ. بسبب التحويلة التي قمنا بها، نمرّ ما بين سريفوس وسيفانوس، وترتسم سيروس

---

(1) أوكتاف مِرلييه، مدير المعهد الفرنسيّ.

والجُزر الأخرى على الأفق. كلّها ترتسم في السماء بوضوح رسمٍ بيانيّ. فوق قوقعة الجُزر المقلوبة، تبدو القرى الصغيرة المتشبّثة بالمنحدرات، أشبه بأصدافٍ وبمتحجّرات بيضاء خلّفها البحر المنسحب ها هنا.

الجُزر الصغيرة الصفراء كرزمة قمحٍ فوق البحر الأزرق.

نبحر وسط هذه الجُزر النائية، فوق بحرٍ منيرٍ يتغضّن برقّة، ونحاذي سيروس طويلاً. عمّا قريب تظهر ميكونوس، وكلّما تقدّم النهار، ارتسمت في البعيد بشكلٍ أفضل برأسها الشبيه برأس ثعبانٍ يتمدّد باتّجاه ديلوس التي لم تزل بعد خفيّة خلف رينيا. تغيب الشمس عندما نتواجد تقريبًا في مركز دائرة من الجُزر تبدأ ألوانها بالتحوّل. الذهب المُطفأ، البنفسجيّ، الأخضرُ الليلكيّ ومن ثم تغمقّ الألوان وتصبح كُتَل الجُزر زرقاء داكنة فوق البحر المتلألئ بعد. شعورٌ غريبٌ وهائلٌ بالسكينة يهبط ساعتئذٍ فوق المياه. السعادة أخيرًا، سعادةٌ قريبةٌ جدًّا من الدموع. لأنّني أودّ أن أضمّ إلى صدري وأشدّ هذا الفرح الذي لا يوصَف، والذي أعرف أنّ عليه مع ذلك أن يختفي. إلاّ أنّه يدوم بصمتٍ منذ أيّامٍ عديدة وهو يعتصر اليوم قلبي بشكلٍ واضحٍ جدًّا بحيث يبدو لي أنّ بإمكاني استعادته، أمينًا، كلّما شئت.

عندما نزلنا إلى ميكونوس، كان الليل قد هبط. عدد الكنائس بمثل عدد البيوت. كلّها بيضاء. نهيم في أزقّةٍ صغيرة حيث تُفتَح

محلاّت ملوّنة. في الشوارع الداكنة كلّيّةً، نصادف رائحة زهر العسل. القمر يلمع بخفّةٍ فوق الشرفات البيضاء. نعود إلى المركب وأنام سعيدًا جدًّا لدرجة لا أشعر معها بتعبي. في الصباح نورٌ إلهيّ يهبط على بيوت ميكونوس المطليّة بالأبيض. نبحر في اتّجاه ديلوس. البحر جميلٌ، شفّافٌ وصافٍ فوق الأعماق التي نراها. عند الاقتراب من ديلوس، نلمح على المنحدرات الأولى للجزيرة عناقيد هائلة من زهور الأقحوان.

ديلوس. جزيرة الأسود والثيران التي تغطّي رسوماتُها جزيرة الحيوانات، إذ ينبغي أن تُضاف إليها الثعابين [...][١] والسحالي ذات الأجسام الغامقة، وإنّما مع ذنبٍ ورأس بلونٍ أخضر فاتح، ودلافين الفسيفساءات. الرخام متفتّت وتالف بفعل التآكل بحيث تبدو الأُسود مصنوعة من حجر الملح الشبحيّ بعض الشيء، ما يشعرنا بأنّ أوّل مطرةٍ ستذيبها. غير أنّ جزيرة الأُسود والثيران هذه مكسوّة أيضًا بعظام بنّية وهشّة مصنوعة من الأنقاض، وتحت هذه الأنقاض فجأةً، اكتشافات رائعة ومنعشة (فسيفساء ديونيزوس الذي يستريح).

إنّها جزيرة الآثار والزهور أيضًا (زهور الأقحوان، اللبلاب، القرنفل، وزهور النجمة). جزيرة الآلهة المبتورة الأعضاء (كوروس الصغير). عند الظهر، الصعود إلى قمّة كينتوس،

---

(١) كلمة غير مقروءة.

الخلجان المحيطة، الضوء، الألوان الحمراء والبيضاء؛ تدور كلّ حلقة جزر كيكلادس على مهل حول ديلوس، فوق البحر المتألِّق، في حركةٍ هي نوعٌ من الرقصة الجامدة. يبدو لي عالم الجُزر هذا، الضيّق جدًّا والشاسع جدًّا، قلبَ العالم. وفي مركز هذا القلب، تقوم ديلوس، وهذه القمّة حيث أتواجد، وحيث يمكنني منها رؤية الدائرة الكاملة التي تحدّ مملكتي، تحت الضوء المستقيم والنقيّ للعالم.

عائدًا في زورقٍ بعد حين، تقف على رصيف الميناء مراهقة يونانيّة رائعة بملابس بسيطة. عندما يترك الزورق الرصيف، ألوّح لها فتردّ على إشارتي فورًا بابتسامةٍ جميلة. في المركب الشراعي، أخلع ملابسي وأغطس في المياه الشفّافة الخضراء. المياه باردة جدًّا. أعود إلى المركب بعد السباحة أمتارًا. نعود من ثم إلى ميكونوس. شعورٌ بالحرّيّة اللامتناهية للإبحار هكذا في كلّ الاتّجاهات، من جزيرة إلى أخرى. وحرّيّةٌ غير محدودة البتّة بفعل وجود حدودٍ لعالم الجُزر هذا. على العكس، تغتبط الحرّيّة هذه داخل دائرتها. وليست الحرّيّة بالنسبة إليّ هي كسر هذه الدائرة والإقلاع نحو سومطرة، وإنّما الانتقال أيضًا من تلك الجزيرة العارية إلى جزيرة الشجر هذه، ومن الصخرة إلى جزيرة الزهور.

في ميكونوس، من أجل شراء بعض الأغراض. كنتُ أفضّل المدينة ليلاً. ركبنا البحر في وقتٍ متأخّر. حزنٌ غريبٌ شبيهٌ جدًّا بحزن الحبّ عندما نرى ديلوس وكينتوس تختفيان تدريجيًّا خلف

رينيا. للمرّة الأولى أرى أرضًا أحبّها تختفي، مع الشعور المؤلم بأنّني لن أراها مجدّدًا ربّما أبدًا قبل أن أموت. قلبٌ معتَصَرٌ. الألوان المتحوّلة من جديد في البحر وفي الجُزر. [...][1] الأشرعة التي ترفرف برخاوةٍ بسبب ضعف الريح. بالكاد نتذوّق السلام الذي يصعد من البحر نحو السماء التي تفرغ تدريجيًّا من نورها، حتى يصعد القمر من خلف جزيرةٍ صخريّةٍ. يرتفع بسرعة في السماء وينير المياه. أبقى أتأمّله حتى منتصف الليل، أستمع إلى الأشرعة وأرافق في داخلي حركة الماء على جوانب السفينة. حياةُ البحر الحرّة وسعادة تلك الرياح. كلّ شيء يُنتسى ها هنا، وكلّ شيءٍ يُعاد من جديد. تلك الأيّام الرائعة التي صرفتها في التحليق فوق الماء، بين جُزرٍ مكسوّةٍ بتويجات الزهور والأعمدة، في ضوء لا يكلّ، أحتفظ بمذاقها في فمي، في قلبي، كانكشافٍ ثانٍ، كولادةٍ ثانية.

في الصبح، ريحٌ قويّة. الأشرعة تصفق. تزداد ساعات المبيت، ثم ننطلق نحو بيرايوس ضمن صخبٍ كبيرٍ من أصوات المياه والنسيج. أمطارٌ من النور، نقاطٌ تسقط وتثب مجدّدًا على بحر الصباح. يائسٌ لأنّني سأغادر هذا الأرخبيل، إنّما هذا اليأس جيّدٌ بحدّ ذاته.

*

---

(1) كلمتان غير مقروءتين.

٩ مايو/أيّار

الذهاب إلى أوليمبيا. طريق خليج كورينثيا. الشطآن والخلجان. الاستحمام في كسيلوكاسترون هذه المرّة، إنّها قوّة الأشجار والمياه وفاكهة الأرض النضرة. قبل أوليمبيا بقليلٍ، الهضاب المكسوّة بأشجار السرو الهشّة. عذوبة هذه الأمكنة وحنانها تحت ضوءٍ رماديّ قليلاً للمرّة الأولى: أشجار الصنوبر الكبيرة وبقايا معابد مخصّصة لزوس وهيرا. أناشيد عصافير، نهاية النهار، والسلام الذي يصعد عمّا قريب من الوادي الصغير النائم. ليلاً، أفكّر في ديلوس.

*

١٠ مايو/أيّار

الصباح رماديّ للمرّة الأولى فوق وادي ألفي الذي أراه للمرّة الأولى. إلاّ أنّ ضوءًا ناعمًا ينحدر منه فوق الحجارة على شجر السرو والمراعي الخضراء. منذ ديلوس، ما عدت أستطيع الشعور بشيءٍ إلاّ بسكينة هذه الهضاب، هذا الظلّ، وهذا الصمت الذي تغذّيه صيحات العصافير الخفيفة. المتحف. مع جداريّات سيفنوس في ديلف، الأكثر رفعةً في فنّ النحت الكلاسيكيّ. بالقرب من أبولّو أو من الوجوه البشريّة الثلاثة الماثلة في زخرفة الواجهة الشرقيّة،

أو تماثيل أثينا المختلفة في حقل المنحوتات، هناك هيرميس لبراكسيتيل الذي هو نجاح لذيذ ينتن بالانحطاط. وراءه بأيّة حال تمثالان من الطين ضخمان ورائعان، يمثّلان محاربًا وزوس مختطفًا غانيمادس، يشهدان بشكلٍ رائع على فنٍّ مختلفٍ. أغراضٌ غريبةٌ قديمةٌ مصنوعةٌ من البرونز، عنقاء وتماثيل صغيرة تبدو قادمةً من الشرق مباشرةً. نزهة. إنّها تمطر بخفّةٍ وألوان الوادي الصغير الرقيقة المغسولة، لطيفةٌ على النظر. إنّي مفتونٌ بتنوّع المناظر. كلّ ما تحاوله اليونان من مناظر، تنجح في رسمه وتمضي به حدّ الكمال.

بمعيّة أهل القرية وألفتهم اللطيفة. أحرارٌ بمظهرهم وبحركتهم، رغم غياب الحرّيّة السياسيّة هنا.

مطرةٌ مسائيّة صغيرة. أصعد الهَضبة بين حشودٍ من الأزهار الفوّاحة. قريةُ كرونيا الصغيرة. بيوتٌ بائسة. أطفالٌ يرتدون خِرقًا بالرّغم من عافيةٍ باديةٍ.

*

١٢ مايو/أيّار

صبيحةٌ عذبةٌ ومضيئةٌ. الظلّ تحت الأشجار المحيطة بالآثار أكثر أهمّيّة. الضوء إلهيّ. الاستحمام وتناول الغداء في كسيلوكاسترون. المياه النقيّة أقلّ برودةً، وعلى وجه الخصوص،

أصبح الهواء شفّافًا وانكشفت كلّ الجبال من الجهة الأخرى لخليج كورينثيا، بصفاءٍ غريب. (م) التي تمتلك ابتسامةً فاتنةً في إطار هذا المشهد. تلك هي الحال أثناء الطريق بأكملها، مع خليج أثينا عمّا قريب، والجُزر حيث نتميّز كلّ بيتٍ وكلّ شجرة. هنا أتوقّف عن تدوين المُتَع التي باتت تغمرني منذ الآن. متعةٌ طاهرةٌ، رصينةٌ، قويّة، كالفرح نفسه وما نستنشقه فيه من هواء.

*

ثيزيون.

في السماء المضيئة والصافية، كِسرةُ قمرٍ كوُرَيقة نبتة زعرور.

مساءً، عند (ر. د.). زهر العسل، الخليج في الليل بعيدًا والمذاق الغامض للحياة.

*

١٣ مايو/أيّار

قبل رحيلي، أتأمّل الآن من أثينا أيّام السباق العشرين تلك عبر اليونان، فتبدو لي مصدر نورٍ وحيدٍ ومديدٍ أستطيع حفظه في قلب حياتي. ليست اليونان بالنسبة إليّ سوى نهارٍ طويلٍ متلألئ، ممتدٍ على طول الرحلات، وهي أيضًا كجزيرةٍ هائلةٍ مكسوّةٍ بزهورٍ حمراء، وبآلهةٍ مبتورة الأوصال تنساب بلا كللٍ فوق بحرٍ من

الضوء وتحت سماءٍ شفّافة. الاحتفاظ بهذا الضوء، العودة، والكفّ عن الاستسلام لليل النهارات...

*

١٤ مايو/أيّار

الرحيل إلى جزيرة أجانيطس. البحر هادئ. السماء دافئةٌ وزرقاء. مرفأ صغير. زوارق. الصعود إلى آفايا. المعابد الثلاثة التي تعلّق في الفضاء مثلّثًا أزرق: بارتينون؛ سونيون، آفايا. أنام على بلاط المعبد، في ظلّ الأعمدة. الاستحمام طويلاً في آيا مارينا في خليجٍ صغيرٍ دافئ. في المساء، تُباع في المرفأ زنابقُ كبيرة ذات عطرٍ خانق. أجانيطس هي جزيرة الزنبق. العودة. تنزل الشمس، تضيع داخل السُحُب، تتحوّل إلى مروحة يدٍ ذهبيّة اللون، ثم إلى عجلَةٍ كبيرةٍ تُعمي أشعتها الأبصار. تنساب الجُزر مجدّدًا. أغادرها نهائيًّا عند المساء. رغبةٌ حمقاء بالبكاء.

مساءً، فاريغيريز والظلال الصينيّة.

*

١٥ مايو/أيّار

يوم الأحد. المتحف البيزنطيّ. مع عائلة (د.) في كيفيسيا، ثم على شواطئ أثينا. نزهةٌ في البحر في هواءٍ عليلٍ مفعمٍ بالضوء.

بالنسبة إليّ، إنّها ساعاتُ وداع هذا البلد الذي صبّ لنا خلال أسابيع الفرح المديد نفسه.

*

١٦ مايو/أيّار

المغادرة إلى باريس، معتصر القلب.

*

رواية. كان ينظر إلى القذيفة البرّاقة المُعمية تحت الشمس، التي كانت تُخفي المحرّك. ومن جديد كان الفرح الغامض يتسلّل، ويتدفّق نبعٌ يسيل في داخله من دون تبصّر. كان ذلك فرح ديلوس الدائريّ، الأحمر والأبيض، الحلقة الدوّارة. في الطائرة التي كانت تهوي بائسةً نحو البحر، ما فوق البذرة المُقبلة، كانت الحياة تبدأ من جديدٍ، مماثلةً للموت القريب.

*

المضيف[١]. يأخذ السجين طريق السجن، إلاّ أنّ دارو كان قد خدعه إذ دلّه على طريق الحرّيّة.

*

---

(١) ملاحظة لـ *المنفى والمملكة*.

رواية. شخصيّةٌ أبيّةٌ. لا تصرخ تحت التعذيب. لا تتنازل عن شيء.

شخصٌ ذو امتيازاتٍ يكتشف حياة العمّال عند بلوغه سنّ النضج. ما يتخلّى عنه شيئًا فشيئًا. وهذا ليس كافيًا أبدًا. فحتى أن يصبح عاملاً لا يلغي أنّه لم يولد هكذا. في النهاية، ينبغي أن يموت لكي...

حاولتُ أن أكون إنسانًا متكاملاً وجمعتُ كلّ شيءٍ فيّ. ومن ثم...

*

الرجل الأوّل. عائلة فرانسين. عائلة وولفروم.

لم يحظ الرومان من النبوغ إلاّ ما ننعته بوصفه كذلك في جيوشنا.

الدم والشجاعة يصنعان التاريخ. ذلك هو الواقع ولا نستطيع حياله شيئًا. عندما يحمل العبد السلاح ويضحّي بحياته، فهو يسود بدوره ويقمع. ولكن، عندما سيسود مقموعٌ عن طريق العدالة لأوّل مرّة في تاريخ العالم، ومن دون أن يقمع بدوره، فسيكون كلّ شيء قد انتهى، وسيبدأ كلّ شيء أخيرًا.

دراستي عن غرونييه[١]. شاقّة. هي بمثابة سحب قطع الحطب المشتعلة بلهيبٍ واضحٍ، الواحدة تلو الأخرى. وإذ بنا بالتالي أمام حطبات مسودّة.

في اليونان القديمة، كان على الذين يريدون الحصول على منصب قاضٍ ألاّ يكونوا قد قاموا بأيّة عمليّة تجاريّة خلال عشر سنواتٍ على الأقلّ.

*

جوليا[٢]. هي تظنّ أنّ بمستطاعها عيش قصّتَيْ حبّها. إنّما عندما يقترح عليها غيبار أن يعيش هو أيضًا قصّتَيْ حبّه، لا يمكنها أن تسمح له بما تأذن هي به لذاتها. لكنّها لا تقدر أن تدينه. ومن هنا مرضها المُخجِل.

ما يكفي من الحنان بعد للمساعدة... مع ذلك، يفترض هذا النوع من التفاني القناعة بأنّه مفيد. أنا لديّ انطباعٌ بالعكس، وهذا ما يجرّدني من سلاحي.

ألمٌ كبيرٌ والشمس، كلّ الأيّام. لقد شُفيَ وهو يعبد، وحيدًا، الإله الأحمر[٣].

---

(١) مقدّمة الطبعة الجديدة من جُزر، لجان غرونييه، (غاليمار، ١٩٥٩).
(٢) ملاحظة لمشروع المسرحيّة حول جولي *دو ليسبيناس*. مراجعة الدفتر رقم VII والدفتر رقم VIII.
(٣) ملاحظة لـــ *المرتدّ*، في *المنفى والمملكة*.

اتّزانٌ واختلال أو اعتدالٌ وجنون. الاتّزان في علاقاته مع الآخرين؛ الاختلال ضدّ الذات؛ لكي يرغم ذاته ولكي يحميها. والاثنان في آنٍ واحد، في الحالتين.

كان لدى المسيح ٣٠٠ مليون معاصر. سيكون له فيما بعد ملياران.

لا شيء يحترق في الجحيم إلاّي أنا (القدّيسة كاترين من جنوى)[١].

إنّ الصناعة الفرنسيّة الوحيدة التي لا تعرف نقصًا في العمالة هي الأذيّة.

•

الرجل الأوّل. مسالم لوقت طويل جدًّا. ثم ذات يوم، يقبل القتال والمخاطرة بحياته. فرحه.

•

تالينتو [معناها الموهبة بالفرنسيّة] بالإيطاليّة تعني الرغبة.

•

---

(١) القدّيسة كاترين من جنوى (١٤١٠ ــ ١٤٤٧)، مؤلّفة *حوار الروح والجسد*، أو *كتاب المطهر*.

الرجل الأوّل. «بعد مرور عدّة سنوات، عندما كان يحدث لنا أن نفترق مساءً وقد استسلمنا لأنواعٍ مختلفة من التعب، مع تلك الخيبة الخفيفة لكوننا لم نتحابب حقًا في ذلك اليوم، كانت إشارة النصر الصغيرة التي ترسلها باتّجاهي من أمام بابها، وأنا أنتظر في سيّارتي أن تدخل دارها، تصل ذلك النهارَ الضائع ظاهريًّا بالخيط المتين لحبّنا العنيد، منقذةً إيّاه بالتالي من كلّ مرارة».

كما سبق. قسوة جيسيكا التي لا تُصدّق وقدرتها على القطيعة. خسارة الحبّ هي خسارة كلّ الحقوق، في حين أنّنا كنّا نملكها كلّها.

*

مسرحيّة. رجلٌ *ينصّب نفسه ملكًا* اليوم.

*

إتيان[١]. يزأر عندما يستيقظ وعندما يكون وحيدًا.

في النهاية (إذا كانت حياةٌ تساوي حياةً)، يبرّر المحكوم نفسه أحكام الإعدام. (مراجعة ملفيل، إذ يرضخ في النهاية في «بيلي باد»).

*

---

(١) إتيان سانتيس، العمّ الأبكم الأصمّ.

أمام التهديد الثابت بالتدمير الشامل بواسطة الحرب ــ والحرمان إذًا من المستقبل ــ أيّة أخلاقيّاتٍ يمكنها أن تسمح لنا بالعيش فقط في *الحاضر*؟ الشرف والحريّة.

*

أنا من الذين أثّر باسكال فيهم كثيرًا من دون أن يحولّهم عن رأي. باسكال هو الأعظم من بين الكلّ، أمس واليوم.

*

الرجل الأول. الصديق صدّوق.

١) مناضلٌ شابّ ــ رفيقي ــ أزمة ١٩٣٦.

٢) صديق ــ يرجع إلى العرف الإسلاميّ لأنّ الآخر قد خانه. فيتزوّج بحسب مشيئة والده. ويخشى أن يخطئ امرأتهُ المجهولة.

٣) إرهابيّ.

فيما بعد، صديقٌ أوروبيّ تُغتصَب زوجته وتُقتَل. يتهافت الرجل الأوّل وذلك الصديق على أسلحتهما، يعتقلان شريكًا في الجريمة، يعذّبانه ثم يبدآن بمطاردة المذنب، يأخذانه على حين غرّة ويقتلانه. شعوره بالعار من ثم. التاريخ هو الدم.

كما سبق. مشهد المقاومة. كان يفضّل أن يكون بطلاً في مقاومة الجيش الفرنكوفوني (RAF). أن يُقتَل عن بُعد. وألاّ يتكبّد حضور العدوّ وقسوته. ولكن كلاّ، إنّه يحلم بمعارك عملاقة في

السماء المحترقة للمدن، وهو ينتقل من المترو إلى ساحاتٍ يغطّيها الغبار أو الوحل، من باريس إلى سان إتيان.

كما سبق. مشهد من شارع فوبورغ مونمارتر. في حين تتقدّم الضرباتُ بأعقاب بنادق وحدات النخبة النازيّة (س. س.) في بوّابات المداخل مقتربةً، وفي حين يتظلّم الجيران المذعورون من المقاومين، يرى نفسه: علامات الاحتقار بادية على وجهه. ولكن، لمَ الاحتقار؟ يتخلّص من الكليشيه. بعدما فتّشه النازيّون، غادر يرافقه شيءٌ من العار. وفي جيبه، عثر على بطاقة تثير هي أيضًا الشبهات.

*

الرجل الأول. بيار مناضل، جان هاوٍ. بيار متزوّج. يلتقيان معًا بجيسيكا. جان وجيسيكا كعشيقة سابقة. وفي إحدى الفواصل، تُقيم علاقة مع بيار الذي ستتركه فتجرحه، والذي سيعذّب امرأته. هكذا يتعلّم خارج الاجتماعات ما هي العدالة حقًّا. على العكس، يتعلّم جان أن يحبّ جيسيكا، متقرّبًا من البشر عبر هذا المدخل. يموت بيار بالقرب من جان (حرب، مقاومة) الذي كرهه غيرةً. فيساعده من كلّ قلبه. إنّه الرجل الذي أحبّته، أقلّه، قليلاً.

كما سبق. اكتشاف الحبّ. افتتان (م.أ.).

*

جيورجيون، رسّام الموسيقيّين. مواضيعه وفنّه التشكيلي الانسيابي دونما تحديدات، الذي يتمدّد ويؤنّث كلّ شيء، والرجال على وجه الخصوص. لا تكون الشهوانيّة جافّة أبدًا.

البندقيّة في شهر أغسطس/آب، وسُحب السيّاح التي تحطّ في الآن نفسه مع أسراب الحمام في ساحة سان ماركو، تنقد الانطباعات وتهب نفسها العطلة والقبح.

*

بارما. وهناك، الشيء نفسه. هنا الساحات الصغيرة التي أحببتها منذ ٢٠ عامًا، والتي ما زالت موجودة بعيدًا عنّي.

*

عدم نسيان إيطاليا و*اكتشاف الفنّ* ــ والدين الذي تجلّى فجأةً في علاقاته بالفنّ.

في كلّ مرّة، هذا السلام في القلب. ومع ذلك، أنا منحطّ هذي المرّة باستمرار، عاجز عن أيّ عذوبة أو انفعال. ها هو سان ليو[1]، وإذا بالقلب يفتح على صمت مريح. إيطاليا العزيزة، حيث يمكنني الشفاء من كلّ شيء. على طريق العودة، الرائحة القديمة للدروب المغبرّة. بقر أبيض بقرون طويلة من مقاطعة رومانيو، يجرّ عربات تصدر صريرًا. رائحة القشّ والشمس.

---

(1) ضيعة في مونتيفلترو، في منطقة ليمارش، على ارتفاع ٥٨٩ م.

سان ليو ــ والرغبة بالانعزال والبقاء ــ وضع قائمة بأسماء الأمكنة التي اعتقدت أنّ بإمكاني العيش والموت فيها. مدن صغيرة دائمًا. تيبازا. جميلة. كابري. لافالديموزا. كابريير دافينيون، إلخ، إلخ. العودة إلى سان ليو.

*

أوربينو. تلك المدائن الصغيرة المقفلة جيّدًا، المتقشّفة، الصامتة والمنغلقة حول كمالها. داخل الأسوار الصارمة، تنتظر الشخصيّات غير المبالية في لوحة «الجلد بالسوط» بشكل أزليّ أمام الملائكة والسيّدة العذراء الشامخة التي رسمها ديلّلا فرنشيسكا. وادي سان سيبولكرو[1] حيثما ينبغي العودة في نهاية الحياة. شاسع، متساوٍ، تحت السماء الممتدّة، إنّه يحتفظ بالسرّ.

ألتقي بالبحر مجدّدًا، دافئ وطريّ على العضلات.

وزن الصليب المقدّس. عذراء ديل بارتو[2].

أودّ أن أعود في نهاية حياتي إلى الدرب التي تنحدر نحو وادي سان سيبولكرو، أن أنزلها على مهل فأسير في الوادي ما بين أشجار الزيتون الهزيلة وأشجار السرو المرتفعة، وأجد، في منزل بجدران سميكة وغرفٍ باردة منعشة، حجرةً عارية بنافذة ضيّقة

---

(١) سان سيبولكرو في توسكانا هي مسقط رأس بييرو ديلّلا فرنشيسكا.

(٢) جداريّة لبييرو ديللا فرنشيسكا موجودة في كنيسة مقبرة مونتيركي، بالقرب من سان سيبولكرو. شفيعة النساء الحبالى، العذراء فيها حامل.

أستطيع النظر عبرها إلى المساء وهو يهبط على الوادي. أودّ أن أرجع إلى حديقة براتو، إلى آريتسو، فأتنزّه ذات مساء مجدّدًا على درب الحراسة فوق القلعة، لرؤية الليل يستقرّ فوق تلك الأرض التي لا تُضاهى. أودّ... دائمًا وأبدًا تلك الرغبة بالوحدة التي لا أفهمها حتى، والتي هي أشبه بتباشير نوع من الموت مع ما يرافقها من ميلٍ إلى الخشوع.

العودة إلى ساحة بياتزا ديلّلا سينيوريا في غوبيو والنظر طويلاً إلى الوادي تحت المطر. رؤية آسّيز دونما سيّاح أو درّاجات ناريّة، والإصغاء إلى تآلف أنغام النجوم في ساحة سان فرانسيسكو العليا. مشاهدة بيرودجا دون المنازل التي تشيّد من حولها، وبالتالي رؤية أشجار الزيتون الهزيلة على الهضاب ذات صبيحة منعشة، على حدود لا بورتا ديل سولي.

ولكن خاصّةً، خاصّةً، سلوك طريق مونتي سان سافينو مجدّدًا، في سيينّا، سيرًا على الأقدام، محاذاة ذاك الريف المليء بأشجار الزيتون والعنب التي أشتمّ رائحتها عبر تلك الهضاب من حجر الطفّ المزرقّ، الممتدّة حتى الأفق، ورؤية سيينّا تنبثق تحت الشمس الغاربة بمآذنها شبيهةً بالقسطنطينيّة في كمالها، الوصول إليها ليلاً، وحيدًا ومن دون مال، والنوم بالقرب من نافورة، والتواجد كأوّل الحاضرين في كامبو التي لها شكل راحة، كيدٍ مبسوطة تهب أعظم ما صنعه الإنسان بعد اليونان.

أجل، أودّ مشاهدة ساحة آريتسو المنحدرة، صدف كامبو في سييناّ، والتهام قلوب رؤوس البطيخ في شوارع فيرونا الحارّة.

وعندما أصبح عجوزًا، بودّي أن أُعطى فرصة العودة إلى طريق سييناّ التي لا يضاهيها شيء في العالم، وأن أموت هناك في حفرة، محاطًا بطيبة أولئك الإيطاليّين المجهولين الذين أحبّ.

*

٢٢ أغسطس/آب ١٩٥٥ . سان فرنسيسكو دي سييناّ. الساعة ١١ صباحًا.

*

في متحف سييناّ، إحدى لوحات الدينونة العديدة (جيوفانّي دي باولو)[1]. إلى اليمين، ضمن الصالحين، يرفع صديقان التقيا مجدّدا ذراعيهما تعبيرًا عن فرحهما. إلى اليسار في الجحيم، سيزيف وبروميثيوس اللذان مُدّد عذابهما.

*

رواية. بورتريه العقرب. إنّه يبغض الكذب ويحبّ الألغاز. عنصر تدميريّ. لأنّ الكذب الضروريّ يوطّد. وحبّ الألغاز يفضي إلى التقلّب.

---

(1) جيوفانّي دي باولو (١٣٩٩ ـ ١٤٨٢)، رسّام من سييناّ. لوحته *الدينونة* موجودة في المتحف الوطني، في قصر بالاتزو بيونسينيوري.

رواية. الجراد ــ الزلزال. الهجوم على المزرعة المنعزلة ــ الهجوم على مدينة فيليبفيل ــ الهجوم على المدرسة ــ إعصار في نيمور.

*

شهوانيٌّ، ظافرٌ، في ذروة حياة من المتع والنجاح، يتخلّى، يدخل في العفّة لأنّه فاجأ طفلين في الخامسة عشرة من عمرهما يكتشف كلٌّ منهما الحبّ على وجه الآخر.

*

كان يريد أن يكون سخيفًا، فكان يخرج، يرقص، وكانت له محادثات وأذواق كمحادثات وأذواق الجميع. إلاّ أنّه كان يُفزعهم إذ كان الآخرون يخمّنون، من هيئته فقط، أنّ لديه أفكارًا ومشاغل لم تكن لديه، أو أنّها كانت موجودة دون أن يقبل وضعها في أولويّاته.

*

الرجل الأوّل. الأمّ المرغمة على مغادرة الجزائر، تنهي حياتها في البروفانس، في الريف الذي ابتاعه لها ابنها. إلاّ أنّها تعاني المنفى. كلمتها: «المكان جيّد، إنّما لا يوجد فيه عرب». هنا، تموت هي ويفهم هو.

عنوان: الأب والأمّ؟

٢٤ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٥٥

تهديدات بالموت. ردّ فعلي الغريب.

*

إنّهما متّحدان لما بعد الأزمنة. غير أنّ السنين تمرّ وهي ما عادت تجرؤ على الظهور أمامه في ضوء الصباحات الباريسيّة العاري.

*

مدينة الجزائر. ١٨ يناير/كانون الثاني[١].

لقد غادرني ذلك القلق الذي كنت أجرجره في باريس وكان يتعلّق بالجزائر. فهنا على الأقلّ، نحن داخل النضال الشاقّ بالنسبة لنا، ما دام الرأي العامّ ضدّنا. لكنّني في النهاية، وجدت سلامي الداخليّ دائمًا في النضال. فالمثقّف وظيفةً، ومهما كان من أمره، وخاصّةً إذا ما كان يتدخّل بالشؤون العامّة من خلال كتاباته فقط، يعيش كجبان. وهو يعوّض عن هذا العجز بمزايدة كلاميّة. وحدها المجازفة تبرّر الفكر. ثم إنّ كلّ شيء أفضل من فرنسا الأذنيّة

---

(١) في ٢٢ يناير/كانون الثاني ١٩٥٦، في مدينة الجزائر، أطلق كامو والليبراليّون الأوروبيّون والمسلمون، أثناء اجتماع، *نداء من أجل هدنة مدنيّة*. مراجعة حاليّات III.

والانسحاب هذه، ومن المستنقع حيث أختنق. أجل، لقد استيقظتُ فرِحًا، للمرّة الأولى منذ أشهر. وقد عثرتُ مجدّدًا على النجمة.

*

من خلال ما صنعته فرنسا منّي، حاولتُ الالتحاق دونما كللٍ وطوال حياتي، بما خلّفته إسبانيا في دمائي، والذي كان برأيي هو الحقيقة.

*

٢١ يناير/كانون الثاني

تهديدات لهذا المساء وللغد.

*

٢٢ يناير/كانون الثاني

العبادة. لغز العالم.

*

٢٧ يناير/كانون الثاني

الرجل الأوّل. فلان الذي يُعلن أنّ الحزب الشيوعي وحده فعل للرفاق دومًا ما كان ينبغي. اختلاف الأجيال. عليهم أيضًا تعلّم كلّ شيء.

*

كلّ عقيدة فنّيّة هي ذريعة يحاول الفنّان بها تبرير ما يحدّ آفاقه الخاصّة.

*

عاش القدّيس أغسطينوس[1] في العالم التوتاليتاريّ: الإمبراطوريّة السفلى. يقول مارّو[2]: «فنون العيش في زمن الكارثة». المقاومتان المناهضتان للمسيحيّة صدرتا عن الفلاّحين والأرستقراطيّة. فخر الانتماء إلى الكنسية الأفريقيّة. ١٤ عامًا وهو مخلص لهذه المرأة المجهولة التي أنجبت له آدييودا. نصّ القدّيس بولس الذي رماه في أحضان الكنيسة.

«لا ولائم ولا عربدة بعد الآن، لا مجون ولا فجور؛ فلتكتسوا بالربّ يسوع المسيح ولتكفّوا عن إرضاء الجسد في شهواته».

دائمًا في صراع من أجل الذود عن كتاباته وأعماله ضدّ اجتياح المشاغل الخارجيّة. صورته عن *الشمس* الإلهيّة التي تُنير عقلنا.

«غزارة الكلام لا تمرّ دونما خطيئة».

---

(١) ناقش كامو عام ١٩٣٦ أطروحته لنيل إجازة في الدراسات العليا، بعنوان *الميتافيزيقيا المسيحيّة والأفلاطونيّة الجديدة*، وهي تتناول القدّيس أغسطينوس وبلوتان.

(٢) أربع كلمات غير مقروءة.

الورع العفيف والورع العبوديّ. «يمكنك الاستمتاع بكلّ شيء دائمًا، لكنّك لن ترى وجهي. فاخترْ». لا أحد يريد الاستمتاع بكلّ شيء دائمًا.

أولئك الذين يتّهمون العصر بأنّه عصر شقاء: «ما يريدونه ليس فترة هدوء واطمئنان، وإنّما الأمان لرذائلهم».

القرن السابع عشر، قرنٌ أغسطينوسيّ.

*

رواية. بورتريه (ف. د.). يداها الكبيرتان القويّتان وقدماها قدما راقصة في نهاية جسد نحيف وأنيق. كلّ شيء حركة وعنفٌ جامحٌ في الرقص حيث تتجلّى كاملةً.

إنّها تحتفل بذكرى اليوم الذي اقتنت فيه سيّارتها. تضع الفستان الذي اشترته لتوّها عند أسفل سريرها كلّ مساء، لكي تبتهج برؤيته عندما تستيقظ.

لا تعبّر عن ذاتها إلاّ بعبارات غائمة. ينبغي أن تذهب لاستقبال أحدٍ ما في مكانٍ ما، لاصطحابه إلى مكان آخر حيث عليها أن تفعل شيئًا ما... إلخ. حياة سرّيَّة مزدوجة أو ثلاثيّة (مراجعة فلان. «لديّ غداء»). «لديّ أفكار نجسة»، تقول. أو «إنّه كلحم عجل مغليّ»، تقول بشأن أحد لا يلهمها بالضبط أفكارًا نجسة.

الرجال الذين أقامت معهم علاقة. يبدون لها من جنسٍ آخر. مثل «الزولو»، تقول. «فكيف لا أشعر بالرأفة أمام رجل ذكيّ؟ كلّ ما يعرف ويرى ويتحمّله الآخرون لأنّهم لا يعرفونه ولا يرونه». «النساء اللواتي ينتظرن من الرجل كلّ سعادة حياتهنّ». «النساء اللواتي لا يثرن الإعجاب يبخلن بالرجل الوحيد الذي يملكنه. وحدهنّ النساء اللواتي يثرن الإعجابَ قادرات على السخاء». «لا أحبّ الأشخاص الشبّان جدًّا، فهم حمقى. يظنّ الرجل دائمًا نفسه متفوّقًا على المرأة التي... أتقبّل هذا الشعور من رجل ذكيّ، وليس من شابّ غبيّ». سيّارتها «لا أستطيع الاستغناء عنها؛ أحبّها بكلّ حنان لكلّ ما تمنحني إيّاه من حرِّيَّة». تحتفظ فيها بخفّين باليين قبيحين تضعهما للقيادة، بعد أن تخلع حذاءها الأنيق من طراز لويس الخامس عشر. هي على كلّ حال تخلع حذاءها في كلّ الأمكنة، صالات السينما، المطاعم، إلخ. قدم جميلة هي قدمها كراقصة. «في الحيّ حيث أُقيم، لا يوجد سوى عجائز ومرضى، لذا يلحظونني».

إلى الفندق حيث تصل بسلالها المملوءة مساحيق وأغراض زينة، وبشعرها الأشقر الطويل المشعّث [...][١].

«يجب أن أكون صريحة، الشهرة مثيرة للشهوة الجنسيّة».

---

(١) أربع كلمات غير مقروءة.

إذا ما أصبحت مليارديرة، وبالتحديد إذا ما اقترنت بأوناسيس، فهي ستقتني مغطسًا ذهبيًّا أو بلاتينيًّا، فهذا ما يناسب، أحسن، لون شعرها، وستملأه بعطرها المفضّل وتنتقع فيه».

«أحبّ سيّارتي أكثر ممّا أحبّ والدتي». إنّها تحبّ زمنها.

نهمها إلى الضحك. مشيئتها بالقبض على كلّ شيء، بالنجاح في كلّ شيء، في تذوّق كلّ شيء ممّا تتضمّنه متع اليوم. التزلّج، البحر، الرقص، الحياة الاجتماعيّة والدعوات، النجاح في عالم الدعاية والإعلان. وهي طاهرة في هذه الرغبة الهوجاء. بسببه هو. «لديّ دفاعات». كلماتها: «دلقت على رأسها بيضًا مخفوقًا» (متحدّثةً عن شقراء)؛ «يمكنها أن تعيث الخراب والفوضى داخل قطيع من اليسوعيّين»؛ «في هذه المسألة، يمكننا ارتكاب أعمال مجنونة وسننال مع ذلك تصفيقًا». بما أنّني أضع ضمادة على أصبعي المجروح: «أشبه نجّارًا أخرق».

ما أحبّه في (ف)، ما يجعلها جذّابة: إنّها تنتسب إلى مجتمعها الكريه مع ذلك، ومعناه أنّها حزرت ما يمكنها إعطاؤه من دون تعقيد (للتوسيع). (ف) والزواج. ستكون مخلصة لو أنّها تزوّجت. فمن واجبها أن تخلص للمسكين الذي... إلخ.

تنّورتها الداخليّة المنعشة الشبيهة بتنانير الفتيات، والتي نراها دومًا عندما تجلس.

«أنا لا أفهم أولئك النساء المتزوّجات اللاتي يُتعبن أزواجهنّ ويزعجنهم. فلديهنّ مال، وآباء لأطفالهنّ، الأمان، نهاية حياة مؤمّنة، وهنّ يطالبن فوق ذلك كلّه بالإخلاص. إنّهنّ يبالغن».
وأيضًا: «في الزواج، الرجل معرّض لخسارة كلّ شيء، والمرأة لكسب كلّ شيء»، إلخ، إلخ.

*

دون فاوست والدكتور جوان[1]. لوبيرولّو. العدم.

كما سبق. يصبح ممثّلاً. المسرح على المسرح.

كما سبق. فاوست وصبا النساء (مراجعة دوبوي).

كما سبق. عاشقًا، لم أكن مخلصًا لها، وإن لم تكن تخلص لي، كنت عاشقًا لها.

لوبوريلّو: العدم.

«أهو خادمك الجديد»؟

«أجل، إنّه فيلسوف. لقد شريته في باريس».

كما سبق. العدم. فيك ندمٌ يزعجني. لا شيء، قلت لك. يمكنك أن تدعو هذا التمثال، لكنّك لن تراه يأتي.

(د. ف.). هل أنت متأكّد؟ ادعُه.

---

(1) مراجعة الدفتر VII والدفتر VIII.

يذهب لوبوريلّو.

(د. ف.). كلاّ (يتردّد). أجل.

لوبوريلّو يمازح التمثال.

(د. ف.) يقرّر التعفّف، يبحث عن فتاة عفيفة ويجدها. كنت اهتديت من زمن طويل. لكن، لطالما أمسكتني عن ذلك الخشيةُ ممّا قد يقوله أصدقائي.

طبيب المقدّمة العجِوز هو عالمٌ بالذرّة. يمكنه أن يدمّر العالم. لكن ليست هذه هي المسألة؛ هو يريد أن يستمتع وأن يعرف.

النهاية. احتجزه رهبان الفرنسيسكان في دير[1]. ينكر إلههم ويعترف لهم. التعبّد لكيان العالم.

*

غدًا، إذا ما وجد المبدعُ الحقيقيّ نفسَه وحدانيًّا، فهو سيعرف عمق وحدةٍ لا يملك أيّ عصر أدنى فكرة عنها. وسيكون وحيدًا في تصوّر وفي خدمة حضارةٍ لا يمكن لها أن تولد من غير عون الكلّ. وسيكون لديه الشكّ بأنّ تلك الحضارة تواجه فرصتها الأخيرة، وأنّه أحد آخر من يدركون ذلك.

---

(1) في أبريل/نيسان ١٩٤٠، دوّن كامو أنّه وجد في المعجم الموسوعيّ لاروس أنّ دون جوان قُتل على يد رهبان فرنسيسكان.

(ف. م.). لديه إجابة عن كلّ شيء، إلاّ عن الحشمة.

*

ما قبل الطابق الثالث: قصص قصيرة عن «بطل من عصرنا». موضوعة *الإدانة والمنفى*[1].

الطابق الثالث هو الحبّ: الرجل الأوّل، دون فاوست. أسطورة نيميزيس.

المنهج هو الصدق.

*

التاريخ، يسهل تفكيره وتصعب رؤيته على كلّ الذين يقاسونه في لحمهم.

ليس على المقموع أيّ واجب حقيقيّ لأنّه لا يتمتّع بأيّ حقّ. الحقّ يعود إليه عن طريق التمرّد وحده. لكن، ما إن يحصل على حقّه حتى يتحتّم عليه الواجب دونما تأخير. هكذا يكون التمرّد الذي هو مصدر الحقّ، أمّ الواجبات في الآن نفسه. تلك هي أصول الأرستقراطيّة. وتاريخها. من يهمل واجبه يفقد الحقّ ويصبح قامعًا

---

[1] هذه مسودّة عن مخطّط عامّ للعمل الأدبي، من النوع الذي طوّره كامو غالبًا. بعد دورة العبثيّة (*الغريب، أسطورة سيزيف، كاليغولا، سوء التفاهم*) ودورة التمرّد (*الطاعون، الرجل المتمرّد، العادلون*)، عمل كامل حول موضوعة الإدانة والمنفى، هو *الانهيار*. من ثم جاءت دورة الحبّ ونيميزيس التي كانت برأيه رمز التوازن والاتزان.

حتى ولو كان يحكي باسم المقموعين. ولكن، ما تراه يكون ذلك الواجب؟

*

رواية. معتقل يُعرّى. عند خلعه ثيابه، يسقط زرّ قميصه ويكرج إلى الزاوية، فيذهب ويلمّه.

*

باريس. ربيع متأخّر ومُفاجئ. كلّ أشجار الكستناء مكسوّة بشمعداناتها الشمعيّة.

*

(م): «كيف يمكن لي أن أغار من كائن أعرف أنّه سيموت وسيفلت منّي إلى الأبد. قد تكون غيرتي الحقيقيّة هي أن أريد بكلّ قواي الموت معه».

*

الحجر الذي ينمو[1]. لوكوك ــ ولكن ليس هذا سيّئًا. ينبغي أن تقتل عدوّك: ألم يكن كذلك؟

داراس: بلى، كان كذلك.

لوكوك: هنا، نقتل أعداءنا ومن ثم هناك يسوع الرؤوف.

*

(1) ملاحظة خاصّة بـــ *المنفى والمملكة*.

عند سوليدور؛ رجل، بربارا، يقدّم وصلته كرجل متخنّث (متنكّر في زيّ امرأة من المجتمع الراقي) أمام مدعوّيه: أي والدته، جدّته، وفتًى هو ابن عشيقه في تلك الفترة. المنزل في ابتهاج.

*

يوليو/تمّوز. باليرمو[1].

كانت ثلاثة أيّام من الريح الشماليّة قد مشّطت السماء وكشطتها حتى نسيجها الأشدّ رفعًا، قشرة رقيقة، شفّافة وزرقاء، منتفخة بوزن ثقيل من المياه الذهبيّة... وكنّا ننتظر أن تُثقب هي أيضًا فيتدفّق منها سيلٌ من خمر أصفر سيُغرق الأرض في طوفان جذل.

*

١٢ *يوليو/تمّوز. باليرمو*.

عن الريح الشماليّة. أيّام حارّة وكنت أنتظرها أن تهبّ. فكنت أذهب إلى الهضبة المكسوّة بالأعشاب الفوّاحة وبآلافٍ لا تحصى من بزّاق صغير متحجّر. كانت تهبط من الشمال، تكشط الجبال القريبة، تمشّط السماء حتى نسيجها، تخلط الأشجار وتنظّفها،

---

(١) سكن آل كامو، صيف ١٩٤٨ و١٩٤٩، في منزل كان يشكّل جزءًا من أرض باليرمو، في جزيرة ليل ــ سور ــ لا ــ سورغ. وقد عادوا إلى هناك في مناسبات أخرى. وقد نزلت عائلة ألبير كامو الجزائريّة هناك عندما حاول هذا الأخير عبثًا جعل والدته، وعمّه إتيان سانتيس، وأخيه لوسيان وعائلته، يتكيّفون مع الإقامة في فرنسا.

تصرخ في الريف، تُحبس البهائم والناس في البيوت، وتسود أخيرًا... إلخ. ومضطجعًا فوق الهضبة، ساحقًا الأصداف في حمّام الريح والشمس العنيف... كنت في عيد.

تكتب لي (أ. ب.) قصّة فان آيك الحقيقيّة. بعد فترة وجيزة من حادث السرقة، تقع الشبهة على كاهن ملحق بالفصل. يعترف. لقد سرق اللوح لأنّه لم يكن يستطيع تحمّل رؤية القضاة بالقرب من حمل الله. ينال الغفران نظرًا لنواياه، ويعد بالكشف عن مخبأ اللوح يوم مماته. يجيء اليوم. مسحُه بالزيت المقدّس في آخر لحظة. يودّ الكلام. إلاّ أنّ صوته ينطفئ. يتلفّظ بكلمات غير مفهومة ويموت[١].

ما أجده دومًا في قلب موقفي، على مرّ السنين، هو رفض الزوال من العالم، من أفراحه ومتعه وعذاباته، وهو هذا الرفض ما صنع منّي فنّانًا.

*

طلب جان عدّة صيدٍ اشتريتُها له. بحث عبثًا عن ديدان. ثم وجد البعض منها. ذهب إلى الصيد. التقط ستّ دودات صغيرة وأجهش بالبكاء أمام احتضارها. لم يعد يريد أن يتصيّد.

*

---

(١) قصّة اللوح المسروق من لوحة بعدّة أجزاء لفان آيك مستخدمة في *الانهيار*.

٢٢ يوليو/تمّوز

القمر الخفيف والممتلئ فوق شجر الحور. جبل لوبيرون الأبيض والعاري تقريبًا في البعيد. نسمة عليلة في عيدان القصب. ننظر أمّي وأنا هذا الليل الرائع بالقلب المعصور نفسه.

لكنّها سترحل وأنا أخشى دائمًا ألاّ أراها مجدّدًا.

*

نيميزيس. الأفكار المركّزة على التاريخ هي تلك التي ستحتقر أكثر ما يكون الزمنَ، تأثيراته، عماراته وحضاراته. فالتاريخ بالنسبة إليها هو ما يدمّر.

*

نهاية يوليو/تمّوز

ليالٍ ملأى بالقمر والهواء. [...][1] الكبيرة في فوكلوز.

*

لا يستطيع أيّ حزب في هذي البلاد على ما يبدو أن يؤيّد الجهود الوطنيّة لوقتٍ طويل. هكذا تخاذل اليمين عام ١٩٤٠، ومن ثم اليسار بعد ١٦ عامًا.

*

---

(١) كلمة غير مقروءة.

ليلة عاصفة. الهواء خفيف هذا الصباح، والأطر نقيّة. على الهضبة المغمورة بالضوء النضر، سجّادةٌ من اللبلاب الزهريّ. شذا شجر السرو الفتيّ. لا تنكرْ بعد الآن شيئًا!

*

حين لا نعود نعرف إلاّ هذا: أودّ أن أكون أفضل.

*

موسيقى عن العابر للأطلسي في الأطلسي الجنوبي. وحدها الموسيقى بحجم البحر. وبعض المقاطع من شكسبير، ملفيل، [...][١].

*

نكتة (خياليّة على ما أعتقد) في روسيا: أمر ستالين كروبسكايا بالكفّ عن توجيه أيّ انتقاد، وإلاّ عيّن امرأةً أخرى أرملةً للينين.

*

رواية — نهاية. أمّي. ما كان صمتها يقول. بم كان ذلك الفم الأخرس والباسم يصرخ؟ سوف نُبعث أحياء.

صبرها في المطار، في عالم الآلات والمكاتب الذي يتجاوزها حيث انتظرت، دون أن تنبس بحرف، كما تنتظر نساء عجّز منذ

---

(١) كلمة غير مقروءة.

آلاف السنين وفي العالم بأكمله، أن يمضي العالم. ومن ثم، ضئيلة جدًّا، منكسرة قليلاً، فوق الأرض الشاسعة، باتّجاه الوحوش الزاعقة، وهي تتثبّت بيدها شعرها المسرّح بعناية...

*

إن لم يكن هناك ما يفتدي أيّامنا وأفعالنا، أفلا نكون بالتالي مجبرين على السموّ بها تحت أقوى نور ممكن؟

*

رواية. إتيان. حساسيّة كبيرة. رائحة البيض في الأطباق. من هنا، المآسي الصغرى.

*

باريس. الجمال هو العدالة الكاملة.

*

ليست الحرّيّة هي أمل المستقبل. إنّما هو الحاضر والتوافق مع الكائنات والعالم في الحاضر.

الثورة أمر جيّد. وإنّما لماذا؟ ينبغي أن تكون لدينا فكرة عن الحضارة التي نريد ابتكارها. إنّ القضاء على المُلكيّة ليس هدفًا. إنّما هو وسيلة.

*

عند تساقط أول الثلوج، كان جدّ تولستوي لجهة أبيه يرسل غسيله من روسيا إلى هولندة على عربات التزلّج التي كانت تعود به نظيفًا قبيل حلول الربيع.

تولستوي: «للأدب السياسيّ الذي يعكس مصالح المجتمع الانتقاليّة أهمّيّته، وقد يكون ضروريًا لتطوّر الشعب؛ هذا لا يعني عدم وجود أدبٍ آخر هو صدىً للمشاغل الأزليّة التي تتقاسمها البشريّة جمعاء ويتضمّن الإبداعات الغالية على قلب الشعب، أدب في متناول إنسان أيّ شعبٍ وأيّ زمنٍ، ولم يستطع أيُّ شعب قويّ ومفعم بالحيويّة أن يتطوّر من دونه.

*

رُزق تولستوي بولدٍ غير شرعي من أكسينيا (فلاّحة).

كما سبق. يتلو تورغينييف «آباء وأبناء» على مسامع تولستوي الذي يغفو.

كما سبق. مراجعة الكونتيسة: «إنّه يثير اشمئزازي بشعبه» (نسخت «*الحرب والسلام*» سبع مرّات).

كما سبق. تولستوي: «الانتقادات الجارحة تجعلني مكتئبًا».

كما سبق. «الجنون أنانيّة».

كما سبق. شكسبير: «كلّ عمل مقيت هو شرك وخداع».

تمّ تأسيس «إرميتاج أوبتينا» الذي كان يجذب كلّ الكتّاب الروس في القرن الرابع عشر، على يد قاطع طريق تائب.

*

انظر ألكسندرا تولستوي: *والدي*[1]، *ليون تولستوي*، ص ٣٠٢ وخاصّة بالنسبة إليّ، ص ٤٤٤.

تولستوي بصدد الحرب الروسيّة ـ اليابانيّة: «يجب أن تُهزم الشعوب المسيحيّة في الحرب مع شعب غير مسيحيّ». كما سبق، في يوميّاته: «رغبة مجرمة بالموت». وفي لحظة مماته: «ألكسندرا، لا تفقدي الشجاعة، فكلّ شيء على ما يرام».

*

رواية (نهاية). ترجع إلى الجزائر حيث القتال (إذ هي ترغب في الموت هناك). يُمنع الابن من الذهاب إلى قاعة الانتظار. فيبقى ينتظر. يتناظران على مسافة عشرين مترًا وثلاث سماكات زجاج، مع إشارات صغيرة من حين إلى حين.

*

العالم ينهار، الشرق يحترق، الكائنات تتنازع من حولها و(م.) على شاطئ مقفر في أقصى أطراف أوروبا، في الريح العنيفة، تسابق ظلّ السحب فوق الرمال. إنّها الحياة في انتصارها.

*

---

[1] ترجمة وتقديم إدمون كاري، آميو ـ دومون، ١٩٥٦.

(ك.). أحبّ هذا الوجه الصغير المهموم والمجروح، المأساويّ أحيانًا، والجميل أبدًا؛ هذا الكائن الصغير ذا الأواصر القويّة جدًّا وإنّما بوجهٍ تُنيره شعلة داكنة وعذبة، شعلة الطهارة، روحٌ. وعندما تُدير ظهرها على الخشبة لشتيمة شريكها، ها هو ذلك الشقاء الصغير الذي يرحل، وكتفاها النحيلتان.

للمرّة الأولى، منذ زمن طويل، تصيبني امرأة في القلب، من دون أيّ رغبة، أو نيّة، أو لعبة، فأحبّها لذاتها وليس من دون حزن.

*

رواية. بعد خمسة عشر عامًا من الحبّ مع جيسيكا، يلتقي راقصة صبيّة تملك، مع فوارق، المواهب نفسها والشعلة نفسها التي لدى (ج)، فيولد شيء ما في جان يشبه الحبّ الذي أحسّه حيال (ج). كما لو كان بعدُ قادرًا على البدء من جديد (ومثل (م.هـ.) الذي أحبّ جيسيكا في الأمكنة ذاتها، من دون أن يبوح). إلاّ أنّه عجوز، وهي صبيّة، وهو ما زال يحبّ جيسيكا ويحبّ حبّه لها. يصمت. يتراجع. الحياة لا تبدأ من جديد. فهو بالكاد كان قد اكتشف أو ظنّ أنّه اكتشف أنه يحبّها، حتى قرّر مذعورًا ألاّ يرفع يده عليها أبدًا. نودّ لو يعرفنا من نبدأ نحبّهم كما كنّا قبل أن نلتقي بهم لكي يلحظوا ما فعلوه بنا.

*

رسالة مدرجة.

أنا عجوز أو إنّني سأصبح عجوزًا. لقد أمضيت نصف عمري أدافع عن كائن لقاء التضحية بآخر وربّما بجزءٍ من ذاتي. ما صرفت ١٢ عامًا للاحتفاظ به، لا أستطيع رميه لقاء بضعة أشهر أو بضع سنوات من الحياة. وما حطّمت كائنًا من أجله، لا أستطيع أن أحطّمه بدوره كما لو كنت ولدًا مؤذيًا يقطّع أوصال لعبه، واحدةً تلو الأخرى.

لطالما فكّرت بأنّ الحبّ وأيّ شعور ينتهي دائمًا بأن يشبه ما كان لحظة ولادته نفسها. وما شعرته حيالك هو الحبّ دونما تملّك وإهداء القلب. التملّك أضيف إليه وهو ذو حجم لكنّه غير حسّي...

هنا ربّما يمكننا استعادة نوعٍ من التحالف، زواج معروف من قبلنا فقط، التزام، ميثاق.

*

لم يعد الوقت موجودًا بالنسبة إليّ؛ خلال عشر ساعات يوميًّا في هذا المسرح تحت الأرض، وفي بريق أضواء التمارين، الضعيف والقاسي، كنت أتابع مفتونًا فوق ذلك الوجه الصغير المنار من الداخل بضوء آخر، كلّ الانفعالات التي يمكن لألم العيش أن يولّدها على وجهٍ بشريّ في يوم عذاب. كنت جالسًا هنا، قبالة ما هو الأكثر عمقًا، إحساسًا بالجرح، جلالةً وضعفًا لدى الإنسان.

وعندما كنّا نخرج، كنّا نستقبل المطر المفاجئ، أو ليل أيلول الناعم، كما هما، نظاما ثابتًا وديكورًا لكلّ ما يضطرب ويعاني في قلب الرجال والنساء، ولما ملأني وجعلني وحده أحيا خلال أسابيع طوال.

*

(ك.)، شخصيّة روائيّة. شابّة يهوديّة معتقلة خدمت في معسكر وحدات الخدمة النازيّة س. س. (شقيقة فلان). تعود. تمتهن التمثيل: ١) لأنّ قدرتها على السخرية باتت مشهديّة؛ ٢) لأنّ ذلك يعزلها عن العالم؛ ٣) لأنّها تعيش كلّ الحيوات التي ستفضّلها أبدًا على ما رأته وفعلته. وعلى وجهها: بلسن [معسكر اعتقال نازيّ] والشفقة. هذا ما يصفَّق له.

رعونتها. تحرق، تلطّخ، تضيّع، إلخ.

بعد عمل الليل الطويل ذاك، هما وحيدان في السيّارة، باريس مقفرة، والمطر المتواصل الذي يضجّ على الصفائح من فوقهما. على ذلك الوجه المنار فقط بمصباح عبر الزجاج الأماميّ، كان ظلّ نقاط الماء المنسابة فوق الزجاج يسيل دونما توقّف. وحول ذاك الظلّ، الاثنان متقوقعان في بيتهما الصفيحيّ ومن حولهما الشارع، المدينة الصامتة، قارّة والعالم المحترق، وهو لا يستطيع أن يملّ النظر إلى هذا الوجه حيث تنهمر دموعٌ من ظلّ.

«عطلتنا الهادئة، السرّيّة، الخاوية». كان يهزّ أغصان الشجر فوق الجدران، فتسقط نقاط المطر على وجه صديقته المقلوب. ثم يشرب، واحدةً واحدةً، تلك النقاط التي كانت تلمع كعيون متوهّجة وحنونة.

*

الأحد، ٢ سبتمبر/أيلول ١٩٥٦

الغرق البطيء ووجه الغريقة الذي لها. ولادة.

*

الاثنين.

المطر الأمين.

*

الثلاثاء.

العطاء الطاهر. من دون المطالبة للذات.

*

الخميس ٦.

تعب لا يمكن التغلّب عليه، وفي النهاية بوحٌ بحبّ.

أودّ لو أستطيع التنفّس ـ أن أتوصّل إلى حبّها من الذاكرة أو من باب الإخلاص. إلاّ أنّ قلبي معتصر من دون انقطاع. أحبّك دومًا باللحم الحيّ. قبلاتها المجروحة على يديه ترافقه دومًا. طريقتها المزعجة في ترك شيء ما دائمًا وراءها.

والد (ك) ـ طبيب يهودي ـ يبقى في باريس تحت الاحتلال. يموت معتقلاً في بيركونو. حمّى التيفوئيد. حرق الجثّة؛ «أفكّر دومًا بأنّه كان يملك أسنانًا ذهبيّة». منفصل عن زوجته، عنيف، مولّه، جذّاب. كانت (ك) تحبّه. حياتها التي بدأت في السادسة عشرة من عمرها، يوم الإنزال.

باريس حيث الشمس ترفّ، حيث يكلّف الموتُ مبالغ باهظة، وحيث لا يوجد شجر من دون حساب مصرفيّ. باريس التي تريد أن تعطي دروسًا للعالم.

*

يشقّ المسرحُ جدرانَ المدينة. والقملُ ذاك الذي يريد صنع مسارح يعشّش فيها القمل على صورة المدن.

*

(ك) في الرابعة عشرة من عمرها وقد هربت ليلاً من بيتها في البيار، ملاءاتها المعقودة كحبل.

*

(ك) وقلبها الجوعان شقاءً. وغضبها ضدّ جسدها.

*

الحبّ المأسويّ وذاك فقط. سعادة مأسويّة. وعندما يكفّ عن أن يكون مأسويًّا، تختلف الأشياء، وإذا بالشخص يرتمي بحثًا عن المأسويّ من جديد.

*

من خلال القضاء على الجمال الطبيعيّ وتغطيته على مساحات طويلة بالنفايات الصناعيّة، ولدت الحضارةُ الصناعيّة الحاجاتِ الاصطناعيّةَ واستحثّتها. فجعلت عيش الفقر أو تحمّله مستحيلين.

*

فاوست وقد صغر سنًّا وبات دون جوان[1]. إنّه العقل الحكيم والمسنّ في جسد فتيّ. مزيج قابل للانفجار.

كما سبق. مشهد حيث يحضر دون جوان جنازته. دون فاوست أو فارس الغرب.

*

الفجر. أمثولة. دون جوان المعرفة: لم يكتشفه أيّ فيلسوف ولا أيّ شاعر. ينقصه حبّ الأشياء التي يكتشفها، إلاّ أنّه يملك الفطنة

---

(1) مراجعة الدفتر VII والدفتر VIII.

والشهوانيّة ويتمتّع بمفاتن المعرفة وحيلها ـــ التي يطاردها وصولاً إلى أكثر النجوم ارتفاعًا وبعادًا ـ حتى لا يبقى في النهاية شيء يطارده باستثناء ما هو *مؤلم* بشكل مطلق في المعرفة، كسكّير ينتهي إلى شرب الأفسنتين وماء النار. لذا يخلص إلى الرغبة بالجحيم. المعرفة الأخيرة هي ما يغويه. وهي أيضًا ربّما ما سيخيّبه ككلّ ما عرفه. وبالتالي، فإنّ عليه التوقّف إلى الأبد، مسمّرًا إلى الخيبة. وبما أنّه قد أصبح هو نفسه ضيفًا حجريًّا، فسيرغب بوجبة المعرفة المسائيّة، الوجبة التي لن تكون قسمته أبدًا لأنّ عالم الأشياء كلّه لن يجد بعد الآن لقمةً يقدّمها لهذا الجائع.

*

مثقّفو التطوّر. إنّهم حاكة الجدليّة. عند سقوط كلّ رأس، يعيدون إصلاح حبكة التحليل التي مزّقتها الأحداث.

*

بقيت جانّ المجنونة أربعةً وأربعين عامًا في غرفة صغيرة لا نافذة فيها، مضاءةً ليلاً ونهارًا بمصباح، فما كانت تغادرها إلاّ للعبور إلى الدير المجاور حيث كانت تتأمّل ضريح زوجها. ربّما كانت هذه هي الحياة الحقيقيّة.

*

رجل الأعمال الذي ما عاد يحتمل فأصبح مهرّجًا، إنّما من دون مغادرة منزله أو أعماله. هو فقط يرتدي زيّ مهرّج.

*

فلانة الفلانيّة. بعد قبل طويلة: «ما أعنف هذا!».

*

كوستين: «التناقض القائم بين روح متوهّجة متّقدة وانتظام الوجود وتشابهه، هو ما يجعل حياتي لا تُحتمل».

كما سبق. «اليوم حيث لم تعد الكلمة إلاّ مفاوضة ما بين الحقيقة والترّهات»[1].

*

المفكّران العظيمان اللذان وهبتهما السماء للرومانيّين، لوكريسيو وسينكا، قد انتحرا.

*

بعد أعراس، *الصيف*. العيد (١ ــ كرة القدم؛ ٢ ــ تيبازا؛ ٣ ــ روما ــ الجزر اليونانيّة ــ الريح الشماليّة ــ الأجساد ــ الرقص ــ الصباح الأزلي).

*

---

(١) آستولف دو كوستين، *نكريات وبورتريهات*، دار روشيه.

يفقد ابنته. أنا رجل عجوز الآن. لتكون شابًّا، تحتاج إلى مستقبل.

*

ذبح الأبرياء في حياة المسيح. بسبب ولادة مذنبة، ينبغي الموت ببراءة[1].

*

إعادة طبع *الانهيار*، ص ٧٣: «استسلامات كئيبة»، ص ١٢٦: جماعة ذكوريّة.

*

دكتور شنيتزلر. عدّة معسكرات اعتقال. يُنقذ في النهاية لأنّه كان *محبّبًا*. فساعده الجميع.

*

بروفسور فلان: «على البشر أن يحبّوا بعضهم البعض»، «علينا أن...» «علينا أن...». ومن حوله الواقع: فوضى هائلة لا توصف.

*

---

(١) مراجعة *الانهيار*: «أطفال يهودا وقد ذُبحوا حين كان والداه يفرّان به إلى مكان آمن، ولمَ يموتون لولاه؟».

أحيانًا، أجد نفسي وقد انتابني شعورٌ هائلٌ بالحنان حيال أولئك الناس من حولي الذين يعيشون في القرن نفسه.

*

البغيّ الكنديّة في ذلك المقهى، بالقرب من كاباريه لافولي بيرجير: «قام والدي بجولة على العالم، أنا أيضًا، صدّقيني، قد زرت ألمانيا، الجزائر، تعذّبت كثيرًا، تضوّرت جوعًا، أنا الآن سيّئة ووالدتي لم ترني منذ خمسة عشر يومًا، والدي داس عبوّة قتلته، أخي أيضًا، أنا في النهاية أفعل ذلك من أجلك لأنّك صديقة. حسنًا أنا أنتظره وجيّد أنّي أطعم عائلتي مالاً. الخروج مع ذلك الأحمق مجدّدًا. آه لا تسير الأمور على خير ما يرام. أنا لا أعرف أحدًا».

*

(ن): القوّة في الاعتدال هي القوّة العظمى.

*

تقول(م): «عِرق المسيح ــ والعرق الآخر».

*

مسرحيّة. كاتبٌ (أو عالم أو فنّان أو ممثّل) مجهد بسبب الضغط الاجتماعي، يتمّ تجاوزه *في الحياة*. إلى جانبه أستاذ محترم جدًّا يُظهر نزعة طفوليّةً عند وقوعه في الحبّ: فهو يزعم أنّه

يعرف الشرب، قيادة السيّارات، ممارسة الحبّ، لعب الجودو، إلخ...

*

هناك في العالم قوّة إقناع هائلة تسمّى الثقافة وتسير بالتوازي مع قوّة الموت والإكراه.

*

في العهد القديم لا يقول الإله شيئًا، إذ هم الأحياء من يستخدمهم كألفاظ. لذا ما فتئت أحبّ ما هو مقدّس في هذا العالم.

*

(ن) وقد حقّق ذاته. تعدّد التجارب التي تسيطر عليها الحريَّة القصوى ــ وإنّما بحسب النظام ــ وتوجّهها نحو الكائن الأسمى والحقبة الأكثر رفعة ــ والحياة التي يجازَف بها دونما هدنة كعقوبة متواصلة ــ وحدة متقبّلة ومسرفة تنحني فقط أمام كيان العالم بشكل سرّي. الكفّ عن القول، وإنّما الفعل لإضفاء معنى على كلمة أرفع، وعدم الكلام إلاّ بحسب... (لمن يضيّع ذاكرته، اليوميّات كأداة لهذه العزلة المتنسكة).

*

كوستين: «الهندسة العربيّة فنُّ شعبٍ مخنّث (أوراق مقتطعة يغطّي بها بائعو الحلوى علب السكاكر). إنّه (كوستين) يستشهد بكلمة لفولتير أو ديدرو: «يهترئ الروس قبل أن ينضجوا».

*

في العاشرة من عمره، أسّس نيتشه مع رفاقه مسرح *الفنون* حيث قُدّمت مسرحيّتان من الطراز القديم كان هو مؤلّفهما.

*

يونيو/حزيران ١٩٥٧

انتهى مهرجان طنجة[1]. تعب سعيد. الحياة، الحياة الرائعة، إجحافها، عزّها، شغفها، صراعاتها، الحياة تبدأ من جديد مرّة أخرى. قوّة حبّ كلّ شيء وابتكار كلّ شيء بعد.

*

١٥ يوليو/تمّوز

مغادرة باريس. النوم في غيريه. إنّه عالم المسمّمة العائليّة.

*

---

(١) لعب كامو دورًا كبيرًا في مهرجان طنجة في يونيو/حزيران ١٩٥٧. فقد اقتبس وأخرج *فارس أولميدو*، من تأليف لوبي دي فيغا، وأخرج *كاليغولا*. وكان المهرجان يتضمّن أيضًا *لا ينبغي التلاعب مع الحبّ*، التي أخرجها جان مارشا.

١٧ يوليو/تمّوز

كورد[١]. صمتٌ وجمال. وحدة هذا النزل الكبير في المدينة الميتة. الوقت يسيل حسّاسًا في داخلي، وتعود إليّ أنفاسي. حول كورد، على دائرة الهضاب المكتملة، ترتكز السماء رؤوفةً، هوائيّةً، مأهولةً بالسحب ومضيئةً في آن. في الليل، تغفو فينوس الكبيرة كثمرة درّاق، بسرعة جنونيّة فوق الهضبة الغربيّة. تتوقّف لحظةً عند خطّ الذروة، ثم تختفي فجأة كما لو أنّها قطعة نقديّة التهمها ثقب. ومباشرةً، تتكاثر النجوم ويصبح درب التبّانة حليبيًّا.

*

١٨ يوليو/تمّوز

إنّها تمطر. وادي لافيرون الوحشيّ، هذا الصباح. عمل. ما عدت أطيق أيّ ارتباط، إنّي مجنون بالحرّيّة إلى حدّ يضاعف، شيئًا فشيئًا، وحدةً قد تصبح خطيرةً. أفكّر دونما هوادة بـ (ف)، تعاستي.

مساءً. محبطٌ من ذاتي، من طبيعتي الصحراويّة.

*

---

(١) كانت كلير تارغوباير، المتعاونة السابقة مع إدمون شارلو في مدينة الجزائر، قد فتحت فندقًا في دوّار في كورد، في إقليم تارن. وكان كامو قد قدّم لكتابها، كورد، (إدوار بريفا، ١٩٥٤). بعد مهرجان طنجة، جاء إلى هنا لكي يرتاح ولكي يعدّ مشاريع مسرحيّة جديدة، مع جان ـ بيار جورّيس بالتحديد.

٢٠ يوليو/تمّوز

رسالة من الأب الرئيس جورج ديدييه[١] تنبئني بمصرعه في حادث سيّارة في سويسرا.

*

٢١ يوليو/تمّوز

مطر لا يتوقّف منذ أيّام. حزن عميق وجافّ.

*

٢٢ يوليو/تمّوز

رسالة من (مِي.) تحكي لي فيها عن عائلتها وعن «ولائمهم العدوانيّة». عند اتّصالها بمن تحبّ لم تجد ما تقول. «كنت بائسة وسعيدة».

*

٢٣ يوليو/تمّوز

الحقيقة. الحقيقة!

*

---

(١) صديق الطفولة لكامو الذي كان قد دخل سلك الرهبنة. قُتل في حادث سيّارة، في لا شو ــ دو ــ فون في سويسرا، بتاريخ ٩ يوليو/تمّوز ١٩٥٧. مراجعة الملحق.

٢٤ يوليو/تمّوز

ريفٌ جميل ومقفر حيث ينهار كلّ بيت ألتقيه أنقاضًا. في علّيّات مبقورة يجتاحها نبات القرّاص، تصدأ آلات الحراثة ذات العجلات، أشبه بعناكب عملاقة تقلق سكينة هذه المملكة الخاوية. التهافت على المدن والمصانع والمتع الجماعيّة. هنا، تُحتضر حضارة من حولنا ببطء، والبيوت القديمة تشهد على ذلك. أقول ذلك لـــ (م) التي لم يتكوّن لديها انطباع بالموت وإنّما بالانتظار. انتظار ماذا؟ ــ المسيح.

تمطر دائمًا؛ أنا جائع إلى الضوء، كما إلى الخبز وما عدت أستطيع تحمّل ذاتي.

*

٢٤ يوليو/تمّوز

المغادرة إلى روسيّون. البحر. العودة مساء ٢٥.

*

٢٦ يوليو/تمّوز

صباحات رائعة. طيور السنونو ثملة.

الذين ليسوا فضوليّين: ما يعرفونه يقرفهم ممّا يجهلونه (ك).

*

البونيّة هي الإلحاد وقد أصبح دينًا. الانبعاث *انطلاقًا* من العدميّة. مثالٌ فريد، على ما أعتقد، وثمينٌ ينبغي لنا التأمّل فيه نحن الذين نتصارع والعدميّة.

*

لا يمكننا مطالبة العذاب بشرح مبرّراته. إذ ربّما تعرّضنا لعدم التعاطف مع أيّ شيء.

*

كورد. كنت أذهب كلّ مساء لرؤية فينوس تغفو والنجوم تطلّ من فوق سريرها على الليلة الدافئة.

*

السيّدة الإنكليزيّة العجوز التي أقدمت على الانتحار. يوميًّا ومنذ أشهر، كانت تدوّن في يوميّاتها: «اليوم، لم يأتِ أحدٌ لزيارتي».

*

في نهاية «المراهق» (وفي تنويعاته الثلاث)، يقوم دوستويفسكي بمحاكمة تولستوي بسخرية.

*

كورد. ٤ أغسطس/آب

تفكير بالموت.

*

٦ أغسطس/آب

زيارة كايلا: مكان وحدانيّ وصامت يأتي العالم ليموت من حوله. هكذا أفهم بشكل أفضل ما أقرأه من ثم في يوميّات أوجيني دو غيران: «بملء إرادتي، أنذر نفسي للبقاء حبيسة كايلا. لا مكان في العالم يعجبني كمنزلي». وأيضًا: «أين سأكون؟ أين سنكون عندما تكون هذه الأشجار قد أصبحت كبيرة؟ البعض سيذهبون للتنزّه تحت ظلالها وسيرون مثلنا مرور رياح سوف تقتلعها».

*

كان المؤمنون القدماء في روسيا يظنّون أننا نحمل شيطانًا صغيرًا على الكتف اليسرى وملاكًا على الكتف اليمنى. توجد ها هنا فكرة مسرحيّة (لدون فاوست؟): يكبر الملاك والشيطان بحسب ما نطعمهما. وبشكل عامّ، الأول /و الثاني كبيران جدًّا. تعود الشخصيّة التي أعمل عليها مع شخصيّتين أصغر حجمًا ومتساويتي الطول. حوارهما فيما بينهما، وحوار الشخصيّة مع المخلوقين، وحوار الشخصيّتين، إلخ، إلخ.

*

«الخيط الحريريّ الأكثر خفّةً ثقيل على قلبي، بمثل ما تزن كرةٌ فولاذيّة على قلب آخر» (ن). للأسف، على قلبي أنا أيضًا.

*

سفيدريغايلوف في «الجريمة والعقاب»: «غرفة صغيرة ملأى بالدخان مع عناكب في الزوايا، وها هي الأبديّة كلّها»[1].

*

٨ أغسطس/آب ١٩٥٧. كورد.

للمرّة الأولى بعد قراءة «الجريمة والعقاب»، شكٌّ مطلقٌ بدعوتي. أتفحّص جدّيًّا إمكانيّة التراجع والتوقّف. لطالما آمنتُ بأنّ الإبداع حوار. ولكن مع من؟ مع مجتمعنا الأدبيّ الذي يقوم مبدأه على الأذيّة التافهة وحيث التهجّم منهجٌ نقديّ؟ المجتمع فقط؟ شعبٌ لا يقرأنا، طبقة برجوازيّة تقرأ، بشكل عامّ، الصحفَ وكتابين رائجين. الحقيقة هي أنّ المبدع اليوم لا يستطيع أن يكون إلاّ نبيًّا وحدانيًّا، مسكونًا، يتآكله إبداعٌ مفرط. ألَنا ذلك المبدع؟ هذا ما ظننته. لقد ظننت بالضبط أنّي أستطيع أن أكون ذاك المبدع. اليوم، أنا أشكّك بالأمر، وإغراءُ التخلّي عن هذا الجهد المستمرّ الذي يجعلني تعيسًا في السعادة نفسها، عن هذا الزهد الفارغ، وعن ذاك

---

(١) في *دفاتر الجريمة والعقاب*، دوّن دوستويفسكي بأنّ سفيدريغايلوف «يؤمن بالحياة المستقبليّة، بالعناكب، إلخ». (دوستويفسكي هو من سطّر كلمة «بالعناكب»).

النداء الذي يجعلني أتصلّب نحو شيء أجهله، إغراءٌ قويٌّ. سأعمل في المسرح، سأكتب، كيفما اتّفق، أعمالاً مسرحيّة دونما قلق، وأكون حرًّا ربّما. ما لي ولفنٌ محترم أو شريف؟ وهل أنا قادر على ما أحلم به؟ وإن لم أكن قادرًا، فما نفع الحلم؟ التحرّر من ذلك أيضًا والقبول بلا شيء! آخرون فعلوا ذلك من قبلي وكانوا أكبر منّي.

*

١٢ أغسطس/آب

(ك. س.) «ليس الألم هو ما يجب أن يُثير أكبرَ شفقةٍ، وإنّما قلّة الكرامة. فأكبر شقاء هو أن نحسّ أنّنا في العار. يبدو عليكم جميعًا أنّكم لم تعرفوا أبدًا إلاّ عذاباتٍ جميلة، عذاباتٍ مميّزة». هذا صحيح.

إمِرسون: «إنّ سرّ النبوغ هو عدم تحمّل وجود أيّ قصّة خياليّة من حولنا».

*

١٣ أغسطس/آب

مغادرة كورد.

*

موسيقى غير نغميّة، دراماتيكيّة دائمًا رغم مشيئتها أن تكون ردّ فعل ضدّ الرومنطيقيّة الموسيقيّة. ذلك أنّ اللامعنى مثيرٌ للشجن دائمًا ودراماتيكيّ. كما سبق بالنسبة للفنّ التشكيليّ.

تعليق على *الانهيار* طالما أنّهم لا يفهمون. بلورة الموقف الحديث بشكل ساخر، وذلك الندم العلمانيّ للخطيئة، الغريب والوقح. مراجعة شيستيرتون[1]«القرن التاسع عشر (كما سبق، القرن العشرون) مليء بالأفكار المسيحيّة التي أصبحت مجنونة».

في أنّ لينين لم يكن على أيّ صلة بالجماهير. مراجعة سبيربر[2]: اليسار والنقطة الرابعة لدى ترومان[3].

كما سبق. لم يكن فرويد يشعر بأيّ دعوة طبّيّة، بأيّ «ميل إلى البشريّة المعذّبة».

نيميزيس. التواطؤ العميق ما بين الماركسيّة والمسيحيّة (للتطوير). لذا، فإنّي ضدّ الاثنتين.

*

---

(1) جيلبير كيث شيستيرتون (١٨٧٤ ــ ١٩٣٦)، كاتب وناقد لاذع كاثوليكي إنكليزي.

(2) مانيس سبيربر (١٩٠٥ ــ ١٩٨٤)، كاتب من تلاميذ أدلر وصديق مالرو. في ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٦، شارك مع كامو، كوستلير، سارتر ومالرو في اجتماع من أجل محاولة تحديد أخلاقيّات سياسيّة دنيا (مراجعة الدفتر II).

(3) *مبدأ ترومان*، الذي عرضه رئيس الولايات المتحدة في ١٢ مارس/آذار ١٩٤٧، كان يهدف إلى احتواء التوسّع السوفييتي، وقد أفضى إلى وضع خطّة ماريشال، برنامج المساعدة الواسع للأمم التي يتهدّدها المدّ الشيوعي.

العاشقان الأعميان اللذان يقتلان الزوجَ الأعمى وهما يتلمّسان طريقهما في الظلام.

*

مسرح لا يتوقّف.

*

الجاذبيّة التي يمارسها الدّين على أهل المسرح. حياة الحلم والحياة الحقيقيّة.

كنت أحبّ تلك الأمكنة (مطاعم مضيئة، حفلات راقصة، إلخ) التي اخترعها البشر لكي يحتموا من الحياة. ذلك الشيء المجروح فيّ.

*

ضرورة الأضداد وتمجيدها. التوازن كمكانٍ للتناقض. شمسٌ وظلمات.

*

في الخامسة عشرة من عمره، وأمام نكران رفاقه لما فعله موسيوس سكايفولا[1]، رفع نيتشه، دون أن ينبس بحرف، فحمةً

(1) دوّن كامو هذه الملاحظات أثناء قراءته لـ نيتشه من تأليف دانييل هاليفي (برنار غراسيه، ١٩٤٤). (كايوس موسيوس كوردوس سكايفولا هو بطل

مشتعلةً من الموقد، وأراها لأصدقائه. وقد حمل أثر الحرق ذاك طوال حياته.

حكاية بيت الدعارة[١] (هـ. ص. ٤٨). كوزيما التي ينبغي لومها بشدّة لأنها أتلفت كلّ رسائل (ن) إلى (و). «المعرفة المأساويّة والفرح الإغريقي». ساحة الكاتدرائيّة في مدينة بال حيث كان نيتشه وبوركهارت[٢] يتحادثان. «تنسّكٌ حديث ـ استحالة العيش بالتوافق مع الدولة». كما سبق. «ينبغي لأرستقراطيّة الفكر أن تنال حرّيّتها كاملةً حيال الدولة التي تكبح اليوم زمام العلم» ـ كما سبق. الإنسان الحالم، الممدّد فوق نمر.

حول حريق اللوفر، أثناء كومونة [عاميّة] باريس، وقد أبكاه وجعله تعيسًا لأيّام: «أبدًا، ومهما كان ألمي حيًّا، ما رميتُ حجرًا واحدًا على تلك المدنّسات التي لا تحمل في نظري سوى خطيئة الجميع، وهي خطيئة تستدعي التفكير بها بشكل عميق». «احرصْ

روماني أسطوري من القرن السادس ق.م.) اعتقل أثناء تسلّله إلى معسكر العدوّ لاغتيال الملك الإترووري بورسينا، وقبل أن تُحرق يده على أن يشي بشركائه، من هنا لقّبه سكايفولا أي الأعسر.

(١) في كولونيا وأثناء بحثه عن فندق، توجّه نيتشه إلى بيت دعارة. في الصالون، أمام الفتيات العاريات، جلس إلى آلة البيانو وارتجل معزوفة من تأليفه أمام دهشة الجميع.

(٢) جاكوب بوركهارت (١٨١٨ ـ ١٨٩٧)، مؤرّخ سويسري، زميل وصديق نيتشه في الجامعة وفي بيداغوجيوم بال. كان يمثّل في عينيه نموذج المعلّم الكبير.

على أن أدفن كوثتيّ مخلص، دونما كذب». حزين دونما ضوء، متحمّس منذ عودته.

مشروع «سنوات عشر من التأمّل والصمت». فكرة «القناع»[١]. مديح نابوليون في لاغايا سيانزا[٢]. مغامرة مع السيّدة (ف. ب.)، البطاقة الأخيرة إلى رود. مؤثّرة[٣] جدًّا. رود لا يجيب. «ليزبيث[٤]، لماذا تبكين؟ ألسنا سعيدين؟».

*

كان لديّ الكثير من الحيطة حيال القوميّة. إلاّ أنّ شغف زملائي...................[٥].

*

٨ سبتمبر/ أيلول

وفاة روبير شاتّيه[٦]. وحيدًا، في مستشفى فيلّجويف.

*

---

(١) «أعطني قناعًا إضافيًّا، قناعًا ثانيًا!» (*ما وراء الخير والشرّ*).
(٢) *المعرفة المرحة*، الكتاب الخامس، رقم ٣٦٢.
(٣) «ورائي الآن ثلاثة وأربعون عامًا، ولم أزل وحيدًا كما عندما كنت طفلاً».
(٤) إليزابيت فورستر ــ نيتشه، شقيقة نيتشه.
(٥) جملتان غير مقروءتين.
(٦) صاحب مكتبة، صديق باسكال بيا الحميم.

رفضُ أن نلمع عندما يمكننا أن نلمع وأن نعجب، إلخ. ينبغي القليل من التصنّع، إلاّ أنّ التصنّع ينتهي بالتهام كلّ شيء. المقاساة (ما يلزم من الوقت مهما طال) أكثر خصوبةً في نهاية المطاف، من الثرثرة والخروج للا شيء.

ما ينبغي: ليس فقط أحد نحبّه من دون مطالبته بأيّ مقابل، وإنّما حتى شخص نحبّه ولا يعطينا شيئًا.

*

رواية. (مِي): كانت تتنفّس في الحبّ كسبّاحةٍ وتبتسم في الآن نفسه، ثم كانت تسبح بسرعة متزايدة مفتوحة الفم، مبتسمةً أيضًا، كما لو أنّ الماء قد أصبح، بفعل كثرة المغاور والقيعان العميقة، عنصرَها، والأرضُ المكانَ القاحلَ حيث كانت تختنق بفرح كسمكة تقطر ماءً.

*

أعظم إنسان، أعظم قوّة روحانيّة: الأكثر، الأكثر تركيزًا...[1].

*

نيتشه. لا دينيّ، تديّنًا. باسكال ــ بطريقته ــ. بحسب توماس، الإيمان هو في نهاية الأمر شجاعة الفكر.

---

(1) كلمتان غير مقروءتين.

كما سبق. بالنسبة إليه، المسيح: المخلّص اللاأخلاقيّ.

*

كوستين: «ذات يوم، سيصحو العملاق النائم وسوف يضعُ العنف حدًّا لحكم الكلمة. إذًا، ودونما جدوى، ستنادي المساواةُ اليائسةُ الأرستقراطيّةَ القديمةَ لكي تأتي إلى نجدة الحرّيّة؛ وسيكون السلاح الذي التُقط بشكل متأخّر جدًّا وحملته أيدٍ بقيت عاطلة عن العمل لوقت طويل، قد أصبح بائدًا».

كما سبق. حول الفرنسيّين؛ «قد يقبلون بتصوير أنفسهم قبيحين، على القبول بأن يُنسوا».

*

دون فاوست. عندما يتحوّل إلى دون جوان، يبدأ المشهد بضحكة قويّة لرجل في الكواليس يعيّن دخولَ دون جوان.

نيتشه. «أيضًا بضعة آلاف من السنين على درب القرن الماضي! ـــ وفي كلّ ما سيفعله الإنسان، سيكون الذكاء الأعظم باديًا ـــ إنّما على هذه الشاكلة، سيكون الذكاء قد فقد بالضبط كامل كرامته. ولا شكّ أنّه سيكون من الضروري أن نكون أذكياء، لكنّه سيكون أيضا أمرًا جدّ اعتياديّ بحيث سيشعر أنبل عقل بأنّ تلك الضرورة هي أشبه ببذاءة. وربّما، سوف يعني أن تكون نبيلاً وجود أفكارٍ مجنونة في الرأس».

*

لقد ولدت التوراة وسط الحجارة.

*

١ أكتوبر/تشرين الأوّل

زيارة (ج. ت.)[1] التي جاءت تخبرني بما فعلت قبل سفرها إلى الجزائر. منذ شهر في مدينة الجزائر. يتّصل بها مبعوثو جبهة التحرير الجزائريّة ويقترحون عليها موعدًا مع مسؤولين يودّون طرح أسئلة عليها حول كرّاستها (الجزائر ٧٥). فتقبل. موعدٌ ثم سلسلة من الإجراءات. باختصار، بيت القصبة حيث تستقبلها امرأتان. يصل من ثم رجلان مسلّحان. نقاش. تشرح لهما (ج. ت.) أطروحتها، عمليّة التعطيل عن العمل والتشريد، حجم الوظائف والأعمال الموقّتة القادمة من الحاضرة، إلخ. (آراؤها: صحيحة سياسيًّا، جاهلة اقتصاديًّا). حينها، أحدهما ويبدو أنّه القائد: «أنت تعتبريننا قتلة». فتجيب (ج. ت.) «ولكنّكم قتلة» (كان ذلك بعد فترة وجيزة من حادثة التفجير في كازينو الكورنيش). إذًا ردّ الفعل ذاك الرهيب: العينان الدامعتان. ثم: «هذه القنابل، أريد رؤيتها في قاع البحر». «الأمر يعود إليك»، تقول (ج. ت.). يتحدّثون عن التعذيب. إنّي صاحبة شكوى، تقول (لقد كانت من أعضاء اللجنة

---

(١) جيرمان تييّون، عالمة إثنولوجيّة عاشت في جبال الأوراس من ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٥٤ إلى مارس/آذار ١٩٥٧. كتب كامو مقدّمة للطبعة الأميركيّة لكتابها الذي صدر بالإنكليزيّة تحت عنوان *الجيريا*.

حول النظام الاعتقاليّ). يتوصّلون إلى اتّفاق: إلغاء الإرهاب المدنيّ، مقابل إلغاء عقوبات القتل. تقريبًا بالمفردات التي كنت قد اقترحتُها (إنّما البقيّة، للأسف...). يقول الآخر بصدد عمليّات التسمير: «تلك هي فرنسا». «اذهب وقل ذلك لجدّتك، تجيب (ج. ت.). كنت حاضرة هناك. إنّها جبهة التحرير وأنت تعرف ذلك». يُشير القائد إلى الآخر كي يصمت. تعلم بعد فترة أنّه علي لابوانت [علي عمّار وكان قائدًا للفدائيّين]. عند خروجها، تمسكه من ربطة عنقه وتشدّه. «ولا تنسَ ما قلته». فيجيبها هو: «كلاّ يا سيّدتي».

المقابلة الثانية بعد تنفيذ عمليّة القتل، وتُدرك ساعتها أنّ القائد هو يوسف سعدي. بعد مرور أسبوعين، يُلقى القبض على هذا الأخير.

تُريني أيضًا مسابقات ٣٠ تلميذًا عربيًّا أعمارهم ما بين ١١ و١٢ عامًا، أعطاهم الأستاذ العربيّ موضوع: «ماذا كنتم تفعلون لو كنتم خفيّين؟»: كلّهم يحملون السلاح ويقتلون إمّا الفرنسيّين، وإمّا المظلّيين، وإمّا قادة الحكم. إنّي يائس من المستقبل.

أن يكون العبد مستعبَدًا لأنّه فضّل الحياة على الموت، خاطئ تاريخيًّا. بودابست.

*

١٧ *أكتوبر/تشرين الأوّل*

نوبل. إحساسٌ غريب بالإحباط والكآبة. في العشرين من عمري، فقيرًا وعاريًا، عرفت المجد الحقيقيّ. والدتي[١].

*

١٩ *أكتوبر/تشرين الأوّل*

مذعورٌ ممّا يحدث لي ولم أسعَ إليه. ولزيادة الطين بلّة، تهجّمات سفيهة إلى درجة تعصر قلبي. يتجرّأ روباتيه[٢] فيحكي عن حنيني لإمرة فصائل الرمي بالرصاص، في حين أنّه أحد الذين طالبت لهم بالعفو مع كتّاب آخرين من المقاومة، عندما حُكم عليه بالإعدام. عُفي عنه، لكنّه لا يعفو عنّي. رغبة مغادرة هذي البلاد مجدّدًا. ولكن، إلى أين؟

الإبداع نفسه، الفنّ نفسه، تفصيله، كلّ الأيّام والقطيعة... الاحتقار فوق طاقتي. في مطلق الأحوال، عليّ التغلّب على نوع من الخوف، من ذعر غير مفهوم رماني ذلك الخبر المفاجئ فيه. لذا...

«إنّهم لا يحبّونني. أهو سبب كي لا أباركهم»؟ ن.

القدّيسون يخافون المعجزات التي يصنعون. هم لا يستطيعون أن يحبّوها، ولا أن يحبّوا أنفسهم فيها.

*

---

(١) عند إعلان جائزة نوبل، اتّصل كامو بوالدته في الجزائر.
(٢) صحافي متعاون كان يكتب في «أنا أينما كان»، مؤلّف *أنقاض*.

خلال الشهر، ثلاث نوبات اختناق ضاعف من خطورتها ذعرُ التواجد في أماكن ضيّقة. اختلال.

لم يكن الجهد المبذول دونما كلل لكي ألتحق بالآخرين من خلال القيم المشتركة ولكي أقيم توازني الخاصّ، عديم الجدوى بشكل كامل. فما قلته أو وجدته يمكنه أن يفيد، بل يجب أن يفيد آخرين. ولست أنا من استسلم الآن لنوعٍ من الجنون.

*

٢٩ ديسمبر/كانون الأوّل

الثالثة من بعد الظهر. نوبة ذعر جديدة. منذ أربع سنوات بالضبط، يومًا بيوم، دخل فلان في اختلاله (كلاّ، نحن في ٢٩، بفارق يوم واحد إذًا). أثناء دقائق معدودة، الإحساس بجنون كامل. ومن ثم إنهاك وارتعاش. مهدّئات. أكتب هذا بعد مضيّ ساعة.

ليلة ٢٩ إلى ٣٠: هواجس قلق لا تنتهي.

*

٣٠ ديسمبر/كانون الأوّل

تمديدٌ أفضل.

*

١ يناير/كانون الثاني

قلق مضاعف.

*

يناير/كانون الثاني ـ مارس/آذار

اختفت النوبات الكبيرة. فقط قلق أصمّ ومتواصل.

*

٥ مارس/آذار

مقابلة مع ديغول. بما أنّي أتحدّث عن خطر الاضطرابات إذا خسرنا الجزائر، وعن غضب فرنسيّي الجزائر في الجزائر نفسها: «الغضب الفرنسي؟ عمري ٦٧ عامًا ولم أرَ في حياتي فرنسيًّا يقتل فرنسيّين آخرين. باستثنائي أنا».

مقارنة فرنسا بالبقيّة. «في النهاية، يقول، لم يُخترع شيءٌ أفضل من فرنسا».

*

نشيد ثوريّ العام ١٩٠٥: «أيّها الإخوة، إلى الشمس، إلى الحرِّيَّة».

*

سبيربر. عقب أخيل[1]، ص ٢٠٢: «فكرةُ إحلال قطيعةٍ جذريّة مكان الانتحار ليست جديدةً. ففكرة إنكار أفعالنا الخاصّة بشكل نهائي، والفكاك منها إلى الأبد، موجودةٌ غالبًا في الأحلام التي يستسلم لها أشخاصٌ ما زال منطقُ الجسد وحده يصلهم بالحياة، من دون أن يربطهم أيّ شيء بالكائنات: لا ما تلقّوه منها، ولا حتى ما أعطوه لها. يولد هذا الحلم من وحدةٍ قادرةٍ حتى على تدمير العاطفة التي يكنّها الإنسان لذاته.

كان كيركغارد يشهر في وجه هيغل تهديدًا رهيبًا: أن يرسل إليه شابًّا يسأله النصح.

دوستويفسكي، إثر الخطاب الرائع عن بوشكين[2]:«بشأن ما قلتُه في موسكو، انظر كيف عوملتُ في كلّ صحافتنا تقريبًا: كما لو أنّي سرقت أو سطوت على مصرف ما. أوخانتسيف (نصّاب شهير) نفسه لا يتلقّى ما أتلقّاه أنا من نفايات».

كما سبق. بعد نجاحه في بداياته: «... لقد ابتدعوا لي سمعةً مشبوهةً، وليتني أدري إلى متى سيدوم هذا الجحيم».

---

(١) دار كالمان ــ ليفي، ١٩٥٧.
(٢) الذي ألقي في ٨ يونيو/حزيران ١٨٨٠، في الجلسة الرسميّة «لجمعيّة أصدقاء الأدب الروسيّ»، ونشر في *يوميّات كاتب ١٨٨٠*، عدد أوحد.

«إنّ أكثر فكرة تشغلني هي: علامَ يقوم تواصل الأفكار فيما بيننا، وما هي النقاط التي يمكننا الالتقاء جميعًا حولها، أيًّا كانت انتماءاتنا...».

«لا ينبغي أن نفسد حياتنا لأيّ هدف كان» (تمديد).

*

أولئك الذين لديهم، حقًّا، شيءٌ يقولونه، لا يتكلّمون عنه أبدًا.

*

مرسيليا.

مدينة الجزائر من على متن *القيروان*[1]. الرزاز المزدوج. الأول يرغي ويطقطق عند قمّة الموجة التي تتكسّر على السفينة ــ فتسطو الريح عليه بدفعة واحدة، تلويه وتعصره؛ والثاني، أخفّ حمولةً بالماء، دانتيل مطروز من أبخرةٍ رقيقةٍ يرتفع على شكل ضباب.

طيور النورس ذات الأجنحة المتكسّرة في الوسط تمامًا /\/\ على شكل سقف.

---

(١) عاد كامو إلى الجزائر في مارس/آذار وأبريل/نيسان ١٩٥٨، حيث استضيف في جامعة الجزائر والتقى مولود فرّاوون، كاتب ومدرّس قبائلي اغتيل على يد التنظيم السرّي المسلّح عام ١٩٦٢.

الجنود فوق الجسر وتحت الريح، محتمون داخل الحبال، رؤوسهم ملفوفة بالأوشحة ومعاطفهم بلا شكل. تلك اللحظات حين يتخلّى الإنسان عن العرض فيتكوّم عند مستوى الحاجة. ذلك هو التاريخ.

جامدٌ فوق الجسر الأعلى فيما النوارس تهبط وتواصل طيرانها الصبور على مقربة منّي. نوارسُ عنيدة بعينها الجاحظة، مناقيرها الشبيهة بمنقار ساحرة شرّيرة، وعضلاتها التي لا تنضب. ليس لدى طيور البحر ما تحطّ عليه. فيما عدا الجوف المتبدّل للموج الصاخب، أو صليب الصاري الكبير المتهادي.

*

كوندورسيه: «روبيسبيار هو كاهن ولن يكون قطّ سوى ذلك».

يُدرج بافلوف «ردّ فعل الحرّيّة» ضمن ردود الفعل *الأوّليّة*، أي تلك التي تنتمي إلى الطبيعة الفوريّة للإنسان أو الحيوان.

*

لا تنفصل السلطة عن الظلم. السلطة الجيّدة هي الإدارة السليمة والحذرة للظلم.

*

عدم الحديث أبدًا عن عملنا.

*

ممثّل.

*

نيتشه. «للشقاء نفسه ألقٌ شمسيّ في وفرة القوى المحيية والمُرمِّمة، بحيث يولّد عزاءه الخاصّ...».

كما سبق: «مع افتراض أنّنا دائمًا في حالة توقّع للشرّ والمفاجأة السيّئة، فنحن سنبقى في حالة توتّر وعداء، سنكون لا نُحتمل بالنسبة إلى الآخرين، وسوف نرى صحّتنا تتدهور؛ مثل تلك الطبائع تتّجه إلى انقراضها».

كما سبق. «الخوف من الموت، مرضٌ أوروبي».

كما سبق. «تكمن السعادة في تأهّب الإحساس والفكر؛ فكلّ من يتمكّن من الشعور بتحليق شعاع نور سيمتلئ سعادةً لأنّه يتمتّع بسرعة كبيرة».

كما سبق. «بورتريه الإنسان القادم: غريب الأطوار، حيويّ، دافئ، لا يتعب، فنّان، عدوّ الكتب».

كما سبق. «إنّ الأشخاص ذوو الثقافة الرفيعة جدًّا والبنية القويّة، هم فوق كلّ الأسياد».

*

حول ملتهمي المادّة الحيّة[1]: دفاتر مونتيرلان، ص. ٨٢: كلّ شيء مُقال فيها بامتياز واعتدال.

*

فيما يخصّني: لكنت خضعت لكلّ شعورٍ من مشاعري بقي فريدًا. لطالما قابلتُ ما بين شعورين.

*

تيبازا: السماء الرماديّة والعذبة. وسط الأنقاض، تأتي ضربات البحر المهتاج قليلاً لتتوب عن زقزقة العصافير. جبل شينُوا الهائل والخفيف. سأموت وسيبقى هذا المكان يوزّع كمالاً وجمالاً. لا مرارة في هذه الفكرة، وإنّما على العكس شعورٌ بالتبجيل والامتنان.

*

مطر مدينة الجزائر العموديّ والثقيل. متواصل. داخل قفص.

*

الجزائريّون. حياتهم قائمة في سماكة الصداقة والعائلة ودفئهما. الجسد وفضائله في المركز ـ وحزنه العميق حين يتلف ـ حياة دونما أفق آخر سوى الفوريّ، الدائرة الجسديّة. فخورون

---

[1] العبارة لمونتيرلان: «أولئك الذين يقضمون حياتنا ويلتهمونها، هم أوّلاً اللامبالون الذين تجبرنا الأعمال على إعطائهم أغصان وقتنا...».

برجولتهم وبقدرتهم على الأكل أو الشرب، بقوّتهم وشجاعتهم. غير محصّنين.

*

اليمامة المطعونة.

*

العودة. القيروان. العاصفة. حافزٌ لا يقاوَم لإلقاء نفسي في البحر. الوحدة واستسلام الرجل الوحيد للأمواج الغاضبة المتلاطمة خلف السفينة التي تتابع طريقها...

*

مراحلُ تماثلٍ إلى الشفاء.

ترك الإرادة تنام. كفى «يجب».

نزع السياسة كلِّيَّةً من الذهن من أجل الأنسنة.

كتابة «الذي يخاف ضيق الأمكنة» ــ ومسرحيّات كوميديّة.

الامتثال لقانون الموت، أي قبوله.

قبول عرض الذات وأداء أدوار. لن أموت من هذا القلق. وإذا متّ منه، ينتهي الأمر. وإلاّ، فسلوكٌ متهوّر في النهاية. يكفي تقبّل حكم الآخرين. تواضع وقبول، تلك هي علاجات القلق الطبّيّة كلّيّةً.

يتّجه العالم نحو الوثنيّة، بيد أنّه ما زال يرفض القيم الوثنيّة. ينبغي ترميمها وجعل المعتقَد وثنيًا والمسيح يونانيًّا، فيعود التوازن.

ألا يكون الأمر أنّي عانيت من فرط مسؤوليّاتي؟

بما أنّني في الصحراء وفي الوهن، ينبغي دفع القحل حتى أقصاه لكي يبلغ الحدّ ويتجاوزه بشكل أو بآخر. جنونٌ أو سيطرةً أكبر.

المنهج: ما إن يظهر القلق، تنفّسٌ سريع أو بطيء منذ الإنذار. و*إرفاق* ذلك بحرمانٍ فوري من *كلّ فعل* ومن كلّ حركة.

إرفاق ثان: استرخاء عامّ.

على المدى الطويل: نقل شحنة الطاقة الخاصّة بكلّ إرادة أو رغبة، ومراكمتها من خلال التعطيل الموقّت لتلك الإرادة ولتلك الرغبة.

الاعتراف بأنّي لا أتوقّع من المجتمع شيئًا. هكذا تصبح كلّ مشاركة هبةً لا تنتظر مقابلاً. ويصبح بالتالي المديح أو الذمّ ما هما عليه: لا شيء. أخيرًا، إلغاء ميل العيش ضمن الجماعة.

إلغاء الأخلاق المعلوكة والعدالة المجرّدة.

البقاء على مقربة من واقع الكائنات والأشياء. الرجوع قدر الإمكان إلى السعادة الشخصيّة. عدم رفض الاعتراف بما هو

حقيقيّ، حتى عندما يعاكس الحقيقيُّ المرغوبَ به. مثلاً: الاعتراف بأنّ القوّة هي أيضًا، هي خاصّةً، تُقنع. الحقيقة تستأهل كلّ العذابات وهي وحدها تبني الفرحَ الذي يجب أن يتوّج ذلك المجهود.

الاعتراف بضرورة الأعداء. حبّ أن يكونوا.

تحطيم كلّ الأعمال التلقائيّة من الأصغر إلى الأعلى، بشكل منتظِم. التدخين، الطعام، الجنس، ردود الفعل العاطفيّة الدفاعيّة (أو الهجوميّة. فهي ذاتها) وحتى *الإبداع* هو نفسه. الزهد لا بالرغبة التي ينبغي الحفاظ عليها كاملةً، وإنّما بإرضائها.

*

استرجاع أكبر قوّة، لا للسيطرة وإنّما للعطاء.

*

٣ مايو/أيّار

استردادٌ كاملٌ للعافية تقريبًا، إنّي آملُ بالقوّة المتزايدة نفسها. أنا أفهم اليوم بشكل أفضل ما عرفته دائمًا: لا يستطيع من يجرّ حياته وينوء تحت ثقلها، مساعدة أحدٍ ببعض الواجبات التي يمليها على نفسه. وبإمكان من يسيطر على ذاته وعلى الحياة أن يكون الكريمَ الحقيقيّ فيعطي دونما جهد. عدم انتظار شيء وعدم طلب شيء إلاّ قوّة العطاء والعمل تلك.

يوميّات.

*

نهاية أبريل/نيسان ١٩٥٨. كانّ[1].

في البحر كلّ يوم. منارات الشبكات (قنّينة مع خفّاق من الرصاص، عائمة على فلّين) تصدر في الليل ضجيجًا يشبه الرنين الذي يجمع قطعان البحر. في الميناء ليلاً، تصيح السفن وتئنّ من صواريها وجسورها.

الضوء ــ الضوء ــ ويتراجع القلق، لا يختفي تمامًا، ولكنّه أصمّ كما لو غفا في الدفء والشمس.

*

٣٠ أبريل/نيسان

مارتين دو غار. نيس. يجرجر ذاته مع روماتيزم مفاصله. ٧٧ عامًا. «أمام الموت، لا شيء يصمد، ولا حتى إنتاجي. لا شيء، لا شيء...». «أجل، من الجيّد ألاّ نشعر بالوحدة» (وتغرورق عيناه بالدمع). نأخذ موعدًا لشهر يوليو/تمّوز، في

---

(١) أثناء إقامته عند ميشال غاليمار، استخدم كامو مركب هذا الأخير، مركب سباق بطول ٨ أمتار اسمه *آيا*.

تيرتر[1].«إذا كنت على قيد الحياة». ولكن دومًا ذلك القلب المهتمّ والمعنيّ بكلّ الأمور.

*

٢٩ مايو/أيّار ١٩٥٨

مهنتي هي تأليف كتبي والقتال عندما تكون حرّيّة ذويّ وشعبي مهدّدةً. هذا كلّ ما في الأمر.

*

الفنّان كابله ديلف: «إنّه لا يُظهر ولا يُخفي: وإنّما يعني».

*

تشيكوف: «أنا لست ليبراليًّا ولا محافظًا... إنّ أقدس القدّيسين بالنسبة إليّ هو الجسد البشري، الصحّة، الذكاء، الموهبة والحرّيّة المطلقة. تحريرها بأيّ طريقة من كلّ قوّة وحشيّة ومن كلّ كذبة تجعلها تعبّر عن نفسها:

هكذا سيكون برنامجي لو كنت فنّانًا كبيرًا» (رسالة إلى بليشتشياف[2]. ١٨٨٨)...

*

---

(١) اسم ملكيّة مارتان دو غار في بيلّلام (أورن). عام ١٩٥٥، قدّم كامو *الأعمال الكاملة* لمارتان دو غار، في بلبياد.

(٢) ألكسيس بليشتشياف (١٨٢٥ ــ ١٨٩٣)، شاعر، حُكم عليه بالإعدام وعُفي عنه في الوقت نفسه مع دوستويفسكي.

موزيل[1]: مشروع ضخم يقتضي كلّ وسائل الفنّ التي لا يمتلكها. من هنا هذا العمل المؤثّر بهناته، لا بما يقوله. مونولوج الكاتب ذاك الذي لا ينتهي وحيث يتألّق النبوغ في بعض الأمكنة، فلا ينيره الفنُّ أبدًا بأكمله.

موزيل: «يمتلك كلٌّ منّا طبيعةً ثانيةً حيث يكون كلّ ما يفعله بريئًا».

«الحياة العاديّة هي معدّل كلّ جرائمنا الممكنة».

*

أمّي. لو كنّا نحبّ الذين نحبّهم بشكل كافٍ، لمنعناهم من الموت.

*

٩ يونيو/حزيران ١٩٥٨

الرحيل إلى اليونان مجدّدًا.

*

١٠ يونيو/حزيران

أكروبوليس. شعور أقلّ حجمًا من المرّة الأولى. لم أكن وحدي وكنت منشغلاً برفقتي. ومن ثم، اللقاء بـــ (أو) الذي يزعجني. ليس

---

(١) صدرت ترجمة *رجل من دون صفات* عام ١٩٥٧، (لوسوي).

الأكروبوليس مكانًا صالحًا للكذب. على مسافة ساعتين في الطائرة من رودس. الجزر صخورٌ على البحر تنساب وراءنا، فتّات قارّات مسحوقة. في رودس، نحطّ وسط الحقول حيث ينمو قمح قصير ومزهر، تجعله الريحُ يتراكض أمواجًا نحو البحر الأزرق. جزيرة رائعة ملأى بالزهور. النزهة ليلاً وسط الهندسة الإفرنجيّة. اللقاء مع (ر. ب.) بروكبيرجيه الذي يعلن لي نيّته مقاطعة الكنسيّة من دون خلع زيّه الكنسيّ. ما زال تعاطفي معه حيًّا. رحلة في السفينة مع عائلة ميشال (غ) وآل براسينوس[١].

*

١١ يونيو/حزيران

أغادر السفينة في الصباح الباكر وأذهب للاستحمام على شاطئ رودس، على مسافة عشرين دقيقة من هنا، وحيدًا. المياه شفّافة، عذبة. والشمس في بداية مشوارها تدفئ من غير أن تحرق. لحظات لذيذة تعيد إليّ تلك الصباحات في مادراغ حيث كنت أخرج من الخيمة ناعسًا على بعد بضعة أمتار من البحر، لأغطس في مياه الصباح الناعسة[٢]. للأسف، ما عدت أتقن السباحة. بالأحرى ما

---

(١) ميشال غاليمار والرسّام ماريو براسينوس.

(٢) في يوليو/تمّوز ١٩٤١، عاش كامو أسبوعًا تحت الخيمة في كثبان شاطئ مادراغ، بالقرب من وهران. مراجعة تمهيد طبعة ١٩٥٨، لـ *الوجه والقفا*.

عدت قادرًا على التنفس كما كنت أفعل. ومع ذلك، فأنا أغادر على مضضٍ الشاطئ حيث كنت سعيدًا للتوّ.

عند العاشرة صباحًا، نغادر رودس لكي نتجاوز رأس الجزيرة الشمالي ونبلغ ليندوس.

*

١٢,٣٠ ظهرًا. ليندوس.

ميناء صغير طبيعيّ مقفل تقريبًا. خليجٌ يقارب الكمال. نفقد مرساة في المياه الشفّافة تمامًا. تهيمن على الخليج بيوتُ القرية البيضاء أوّلاً، ومن ثم أكروبوليس المدعَّم بحصون من القرون الوسطى تنبثق في وسطها جذوع الأعمدة الدُوريّة.

نصل إلى الشاطئ مهلّلين. سباحة. في نهاية ما بعد الظهيرة، نصعد صوب أكروبوليس. على القمّة العريضة والسلّم السريع الذي يُفضي إلى ساحة واسعة جدًّا مكشوفة تحت السماء، تطلّ من جانب على الميناء حيث رسونا، ومن الجانب الآخر على فراغ هاوية سحيقة، خليجٌ آخر مقفلٌ من حيث قدم القدّيس بولس. تحوّم طيور السنونو فوق هذا الفضاء، ثملةً بالضوء، تهوي في الفراغ بشكل عموديّ ثم تعاود التحليق مطلقةً صرخاتٍ حادّة. ينتهي النهار على الأعمدة، الخليجين، الرؤوس التي تتكاثر حتى الأفق، والبحر الشاسع أمامنا. شعور بالعجز عن اللحاق بهذا الكمّ من الجمال وعن

التعبير عنه. وإنّما في الآن نفسه، اعترافٌ بالجميل أمام كيان العالم الكامل. عند العودة، المدينة، الحمير الصغيرة، القارب في المساء... في الليل، أصوات نهيقٍ مرتفعة.

*

١٢ يونيو/حزيران

أصعد عند السادسة صباحًا إلى الجسر لرؤية الخليج الذي أحبّ مرّةً أخيرة. الجميع نائمون في السفينة ما عدا القبطان. في الصبيحة الخفيفة، رائحة ليندوس، رائحة الزبَد، الحرارة، الحمير والعشب، الدخان...

*

رودس عند الساعة ٨,٣٠ صباحًا.

نزهة من أجل مشاهدة مضيقٍ مليءٍ بالفراشات المتفتّحة حديثًا. إنّها جاثمة في العشب، الشجر، المغاور، وهي تخرج أمام خطواتنا على شاكلة سحبٍ صامتة ومضطربة. حرٌّ ساحق. العودة. المغادرة إلى مرمريس، الميناء التركي، في الثالثة من بعد الظهر. الوصول عند الخامسة من بعد الظهر. الخليج حيث نحن جميلٌ لكنّه مظلم، وتبدو القرية الصغيرة من البعيد بائسة. شيئًا فشيئًا، نرى السكّان بأجمعهم يتجمّعون على رصيف الميناء. دخول أعضاء الشرطة والجمارك التركيّة إلى السفينة. هذر ومباحثات لا تنتهي لإتمام

الإجراءات المعتادة. ثم النزول إلى اليابسة حيث يحيط بنا ويتبعنا حشدٌ من الأطفال البؤساء. الفقر والإهمال البادي على الشوارع والبيوت يعصران القلب لدرجة أنّنا نغادر دونما تلكّؤ. بعد العشاء، زيارة رسميّة جديدة. هذر ومباحثات جديدة (هم لا يتكلّمون أيّة لغة غربيّة) لا تنتهي. لقد احتفظوا بجوازات السفر، إلخ. نستعيدها عند السادسة صباحًا. يعترض القبطان.. إلخ. في الواقع، ينبغي المجيء غدًا صباحًا لأخذها.

*

١٣ يونيو/حزيران

المغادرة عند السابعة صباحًا. عند الحادية عشرة صباحًا، جزيرة سيمي. نظافة يونانيّة رائعة. البيوت الأكثر فقرًا مطليّة حديثًا بالكلس، مزيّنة، إلخ. شيء لا يصدّق ومثير للسخط أن يكون الأتراك قد سيطروا على هذا الشعب كلّ تلك الفترة الطويلة. سباحة. وإنّما ضيق متزايد من الأمكنة الضيّقة. فيما يخصّ كلّ ما تبقّى، حالة ممتازة. عند الثالثة من بعد الظهر، نعاود الانطلاق إلى جزيرة كوس.

*

كوس. ميناء صغيرٌ مسائيّ حيث الحياة سهلة. موسيقى. مكبّرات صوت إذاعيّة تبثّ أخبار قبرص بنبرة أعرفها جيّدًا. نتناول العشاء تحت الأضواء الزهريّة.

*

١٤ يونيو/حزيران

الجزيرة. معبد صغير على شاطئ مياهه شفّافة. السباحة وتناول الغداء في بساميروس. في الخليج الصغير، خمسة منازل مطليّة بالكلس، بيضاء وزرقاء. تنزل فتيات صغيرات في المياه بقمصانهنّ ويسبحن باتّجاهنا.

كلّ يوم، الشمس المتوحّشة... غير المكسوّة بالضباب أو الثقيلة، وإنّما الواضحة الصافية المرسلة كلّ نيرانها، والمفترسة...

عند السادسة مساءً، نحو كاليمنوس. البحر مكسوّ بأمواج قصيرة ومنعشة... عشرات الأطفال ذوي الرؤوس المستديرة، يواكبوننا. كاتينا. ١٥ يونيو/حزيران، في الغد، تركض حتى رصيف الميناء وتلوّح طويلاً بذراعها. الظهر والسباحة في ليروس. ثم نحو بطمُس حيث نلج خليجًا محميًّا تقريبًا بشكل كامل. ساعة المساء.

*

١٦ يونيو/حزيران

نتسلّق نحو بطمُس ودير سان جان (ب) على ظهري بغل وحمار. من علٍ، البرزخان. تهبّ ريح الشمال العنيفة (ملتم). للريح الشماليّة اليونانيّة التأثيرات نفسها: إنّها تمشّط السماء وتُخرج نورًا نقيًّا، صافيًا، مشدودًا، شبه معدني. إلاّ أنها تمنعنا من ركوب البحر، إذ ينبغي أن ننتظر ها هنا أن تهدأ.

*

١٧ يونيو/حزيران

المغادرة عند السادسة صباحًا وسط رياح «ملتم» لبلوغ غيديروس. غير أنّ البحر غاضب. تضربنا خلال ٣ ساعات أمواج مرتفعة عاتية، الجميع على متن السفينة مريض أو مُصاب بالدوار، تنحرف السفينة إلى جزر فورني. اللجوء إلى خليج مقفر حيث الريح أقلّ عصفًا، لكنّها تعصف. نهار من الانتظار. نحو المساء، تخفّ الريح جزئيًّا. لكنّ الوقت متأخّر للرحيل.

*

١٨ يونيو/حزيران

الرياح التي هبّت مجدّدًا في الليل تعصف بعنف. نتخلّى عن فكرة المغادرة. ثم، بما أنّ شيئًا لم يتبدّل والخبز يتناقص وكذلك المياه عمّا قريب، نقرّر مع ذلك الرحيل عند السادسة مساء. الجميع

في مقصورة القيادة. عاصفة حقيقيّة، إلاّ أنّنا نصل مهتدين بأضواء تيغاني (ساموس سابقًا) عند الثامنة والنصف مساء.

وداعة المرفأ الصغير الهادئ في الليل، بعد بحر هائج عنيف.

*

١٩ يونيو/حزيران

في الصباح، أذهب للسباحة وحيدًا. الانطلاق لزيارة الجزيرة في السيّارة. إحدى أكثرها جمالاً بسبب كثافة أشجار الزيتون، وأشجار السرو الرفيعة الطويلة التي تزيّن منحدرات الهضاب والجبال الهابطة باتّجاه البحر. نتناول الغداء في قرية صغيرة على الساحل الجنوبيّ، بعد أن سبحنا. المائدة في الخارج. جمهرة من الأطفال الجميلين يلعبون من حولنا، ثم يقتربون لرؤيتنا. ماتينا، إحدى الفتيات الصغيرات تلامس قلبي بعينيها الذهبيّتين. عندما نتهيّأ للرحيل، تقترب من السيّارة فآخذ يدها الصغيرة. في المساء، هيرايون [معبد هيرا]، معبد مصعوق، بقاياه الرائعة المرميّة أمام البحر، ما بين القصب والشوفان، وسط منظر رائع من الجبال والبحر، دُمّرت هي نفسُها في الزلازل والهزّات الأرضيّة الحديثة. في مقهًى قريبٍ من هنا حيث دعانا السائقون الذين يرافقوننا إلى تناول كأس شراب، يبدأون بالرقص معًا على موسيقى مذياع لمتعتهم ولإمتاعنا.

بوليقراطس، طاغية ساموس «رجل دولة عبقري وطاغية فاسق». مذعورًا من حظّه الوقح الدائم ومن نجاحاته الراسخة وثروته الخياليّة، رمى في البحر خاتمًا ثمينًا كان يحمله، ناشدًا حماية القدر. بيد أنّ سمكة قُدمّت له على مائدته أرجعت إليه الخاتم الذي كانت قد ابتلعته. أتمّ تشييد هيرايون، وكان له بلاط باذخ احتلّت فيه الفنون مكانة كبيرة. انتهى مصلوبًا بخطّة دبّرها كرواتيس الذي استدرجه إلى كمين (٥٢٢).

*

٢٠ يونيو/حزيران

نهار في البحر باتّجاه شيوس. في الصبيحة، خروف بحر تحت صدر السفينة. يدور على نفسه، يتقدّم، يتبختر باستهزاء، ثم يغطس نحو الأعماق. بعد فترة وجيزة، على بُعد أميال من السواحل، تبلغنا مع الهواء رائحة الغار الزهري. بعد ظهيرة من الشمس والاستحمام في خليج ماؤه هوائي لشدّة شفافيّته وصفائه، ندخل إلى شيوس في مساء جميل وهادئ.

*

٢١ يونيو/حزيران

جزيرة خيوس. الحيّ التركي. عبور الجزيرة. البيوت ضخمة مبنيّة بحجر كلسيّ. الأرض حمراء. أشجار زيتون ضخمة.

فلاّحون يضربون القمح بسنابك بغالهم، في حرّ يعمي الأبصار. صيف المجازر[1]. وفي الختام، مستشفى المجذومين في واد ضيّق مزروع بشجر الكينا، تسدّه الصخور في نهايته. سلسلة من المباني المتهالكة البنّيّة والزيتيّة الغامقة. متروكون في المساء الصاعد في غرفهم ذات الأسرّة الحديديّة الكبيرة المكسوّة بأغطية خشنة بنّيّة. تحت الشرفات، تهيم ١١ مجذومة و٣ مجذومين. بعضهم بُترت أصابعهم، وآخرون بعيون كبيرة عكرة صفراء لا أحداق لها ولا بآبئ، كنقطة ماء كبيرة ونتنة. حبورهم الطبيعي تحت ملابسهم السميكة الرماديّة، وفقرهم المدقع. إحدى المجذومات تشكو أمر إخراجهم من هذا المكان البائس ونقلهم إلى مكان آخر... مساء، رقصٌ وضحكٌ حتى ساعة متقدّمة جدًّا من الليل.

*

٢٢ *يونيو/حزيران*

نحو ميتيليني. فتحة شاسعة تقطّعها الخلجان والشواطئ. أشجار الزيتون تنزل في البحر تقريبًا. (ب) مريضة. الطبيب (باريتيس). الصعود إلى أياسوس. استحمام. أسبح قليلاً. السفر على

---

(١) تلميح إلى مجازر خيوس التي ارتكبها الأتراك في أبريل/نيسان ١٨٢٢ وألهمت فيكتور هوغو قصيدة *الطفل*، في *الشرقيّات*، ودولاكروا لوحته الشهيرة *مشاهد من مجازر خيوس: عائلات يونانيّة تنتظر الموت أو العبوديّة...*

طول الجزيرة. في نهاية ما بعد الظهيرة، تحلّق مئات طيور السنونو البحريّة الطائرة على وجه المياه الساكنة، بعكس السفينة. الوصول إلى سِغرِس.

(نصل الموانئ عند المغيب. وأحيانًا، كانت الشمس تخفي الميناء عنّا، ثم تختفي خلف الهضبة، فيظهر الميناء في الغروب...).

*

سغرس. العودة إلى سغرس. الخليجان مقفلان. الهضاب عارية. الماء أملس. نور المساء. العالم والحياة ينتهيان ها هنا. ويبدآن من جديد.

في الليل، القرية مرئيّة من على متن السفينة المنارة بأضواء سان ـــ جان.

المغادرة ليلاً. ميشال وأنا نشرب كأس منتصف الليل. الليل على البحر شاسع بعد أن غاب الهلال غربًا. تنزل مجموعات النجوم نحو الأفق. تتشكّل جزرٌ مفاجئةٌ على شكل أطياف فوق الأفق. في الصباح، سكيروس المبنيّة طوابق عند قممها.

المغادرة إلى سكوبيلوس عند الثالثة من بعد الظهر. ما بعد الظهيرة، سبورادس الشماليّة. واحدة، اثنتان، خمس، عشر، أربع عشرة جزيرة تتفتّح فوق البحر. في المساء، سكوبيلوس وسقوفها

المسطّرة ذراها بالكلس. ياسمين، رمّان، خبّازى. ليل هادئ. في الصباح سكياثوس وندخل نحن في مضيق وابيه.

*

٢٦ يونيو/حزيران

خالكيس. مقدمة غرونييه[1]: «كلّ وعي يريد موت الآخر». وإنّما لا. سيّد وعبد. معلّم ومريد. لقد بُني التاريخ على الإعجاب، بقدر ما بُني على الكراهية.

أتمنّى لهذا الكتابِ القارئَ الشابَّ الذي يشبه ذاك الذي كنته أنا.

كرحلة البحث تلك من جزرٍ إلى أخرى، التي وصفها ملفيل في *الثلاثاء*، سوف تنتهي هذه بتأمّلات في المطلق والإلهيّ.

*

خالكيس. في المساء، خليج ماراثون الشاسع الصامت. تهدأ المياه فجأة. فقط تكسّرُ أمواجٍ وجيزٍ وثقيل. يهبط الليل على وادي الجبال الهائل وعلى الخليج الذي يبدو بغتةً غامضًا. الجمال ينام على المياه.

*

---

(1) مراجعة مقدّمة *الجزر* لجان غرونييه: «من ضمن أنصاف الحقائق التي تكبّل مجتمعنا الثقافي، توجد تلك، المثيرة، حيث يريد كلّ وعي موت الآخر. وها إنّنا كلّنا بالتالي أسياد وعبيد، مقدّرون للاقتتال فيما بيننا...». «وبالفعل، مثل ملفيل، يُنهي غرونييه رحلته بتأمّلات في المطلق والإلهيّ».

٢٧ يونيو/حزيران

في الصبيحة الباكرة، عندما يبدأ صرير الزيزان في التلال المجاورة، الاستحمامُ في المياه الساكنة العذبة. ومن ثم البحر، وعند الظهر كيبا، جزيرة الصخور الخضراء، محارة ترابيّة كبيرة تحت سماء غائمة قليلاً. في الليل، تهبّ ريح الجنوب. وفي اليوم التالي، ٢٨، نعلق في كيبا. ٢٩. المغادرة صباحًا وركوب بحر هائج. سونيون. ضوء. هيدرا، قضاء الليل في سبيتسي. ٣٠. بوروس، أجانيطس، ومن جديد آيا مارينا كما منذ أربع سنوات. جزيرة رائعة في مركز دورانٍ من الضوء والفضاء. العودة إليها.

*

١ يوليو/تمّوز

أثينا. قيظ. غبار. فندقٌ أبله. تعب. ٢. ديلف. مجدّدًا، الصعود الرائع على سلالم النور. أضع خطاي فوق خطاي. رائحة المساء على الملعب الصغير. ٣. العودة إلى كورينثوس. حتى باتراس. وحيد، الاستحمام في البحر، الماء... باتراس هي وهران كبيرة مغبرّة، قبيحة وحيّة. ٤. أوليمبيا. ٥. ميسان، أرغوس. أشجار الصنوبر الكبيرة في أوليمبيا تفرقع بصرير الزيزان. تنفجر اليونان بنهيق الحمير في جوف الوديان وعلى منحدرات الجزر.

*

بافيزي[1]. في أنّ السبب الوحيد الذي يجعلنا نفكّر بأنفسنا دومًا هو أنّ علينا البقاء مع أنفسنا لوقتٍ أطول من بقائنا مع الآخرين. في أنّ النبوغ خصوبة. الكينونة هي التعبير، والتعبير من دون توقّف. في أنّ البطالة تجعل الساعات بطيئةً والسنوات سريعةً، والعمل يجعل الساعاتِ وجيزةً والسنوات بطيئةً. في أنّ كلّ الماجنين عاطفيّون لأنّ العلاقات بين الرجال والنساء هي موضوع انفعالات عاطفيّة وليست واجباتٍ بالنسبة إليهم.

كما سبق. «عندما تتزوّج امرأة، تصبح ملك آخر، وعندما تصبح ملك آخر، لا يعود هناك شيء يمكن قوله لها».

كما سبق. مانتينا العجوز التي تجاهلت التّاريخ خلال سبعين عامًا. عاشت حياة «ثابتة وجامدة». هذا ممّا يُثير ذعر بافيزي. وماذا لو كانت مانتينا العجوز والدته؟

*

العيش في الحقيقة ومن أجلها. حقيقة ما نحن عليه أوّلاً. الامتناع عن القيام بتسوية مع الكائنات. حقيقة ما هو. عدم التحايل مع الواقع. القبول إذًا بفرادتنا وبعجزنا. العيش بحسب تلك الفرادة،

---

(1) كانت ترجمة ميشال آرنو لدفتر يوميّات بافيزي، *مهنة العيش*، قد صدرت لتوّها، (غاليمار). المقاطع التي دوّنها كامو موجودة في الصفحات ٨٦، ١٩٣ و٣٠٣.

وصولاً إلى ذلك العجز. في المركز، الإبداع بواسطة القوى الهائلة للكائن المحترَم أخيرًا.

*

العودة. تناول الغداء مع (أ. م.) الذي يعلّمني أنّ ماسّو واثنين أو ثلاثة من معاونيه قد خضعوا للتعذيب لكي يحقّ لهم أن... (الفرق: اختاروا الأمر. لا ذلّ إذًا). انطباعٌ غريب.

*

عشرة أيّام منذ العودة من اليونان. قوّة الأجساد وفرحها. رقاد الروح والقلب. في العمق، ينام الدير، البيتُ القويّ والعاري حيث الصمت في تأمّل.

*

الكذب يرقد أو يحلم، كالوهم. الحقيقة هي القوّة الوحيدة المرحة التي لا تنضب. لو كنّا قادرين على العيش فقط من الحقيقة، ومن أجلها: طاقة فتيّة وخالدة فينا. إنسان الحقيقة لا يشيخ. قليلٌ من الجهد بعدُ وهو لن يموت.

*

ملحق

كان ألبير كامو قد أضاف إلى الدفتر رقم VIII مسودّات رسائل وملاحظات ننشرها على شكل ملحق.

رسالة إلى عمروش

١٩ نوفمبر/تشرين الثاني

عزيزي عمروش[١]،

الوقت ــ والصحّة ــ هما ما منعاني من الردّ عليك. كان ذلك سيقتضي منّي وقتًا طويلاً، في حين كنت بالكاد أردّ على بريدي العادي. اليوم، لستُ أفضل حالاً، لكن لا أريد أن أتأخّر في توجيه الشكر إليك على رسالتك الثانية التي أثّرت فيّ؛ من واجبي، مع ذلك، أن أطالعك بحقيقة رأيي فيها. لا يمكن لأمور شخصيّة أن تفرّق بيننا، فما أهمّيّتها في مواجهة ما يُفعل وما يُعَدّ؟ إلاّ أنّني صُدمت بشكل مؤلم بما كتبتَه عدّة مرّات بشأن فرنسيّي الجزائر بشكل عامّ (في صحيفتَي *لوموند* و*كومّون*). من حقّك أن تختار مواقف جبهة التحرير الوطنيّة، وهي برأيي مواقف قاتلة بالنسبة للحاضر، عمياء وخطيرة بالنسبة للمستقبل. ولكن، حتى وإن

---

[١] شاعر وكاتب قبائلي (١٩٠٦ ــ ١٩٦٢). كان قد نشر في العام ١٩٤٦، في مجلّته *لارش*، *المينوتوروس أو استراحة وهران*.

وضعت نفسك في هذا الجانب، فعليك أن تقوم بتمييزات ضروريّة أغفلتَها أنت. لقد تخلّيتُ عن إرادة المجاهرة علنًا برأي العقل. وأتمنّى، ضدّ كلّ أمل، أن أتمكّن من فعل ذلك يومًا. إنّما ينبغي أن أطلعك بيني وبينك على ردّ فعلي، وعليك ألاّ تتجاهل أنّ إطلاق النار أو تبرير إطلاق النار على فرنسيّي الجزائر *بشكل عامّ*، ومن يُعتبرون كذلك، هو بمثابة إطلاق النار على ذوي الذين لطالما كانوا فقراء ومن دون كراهية والذين لا يمكن خلطهم مع آخرين ضمن عصيان ظالم. أبدًا لن تجعلني أيّة قضيّة، حتى وإن بقيت بريئةً وعادلةً، غير متضامن مع والدتي التي هي أكبر قضيّة أعرفها في العالم على الإطلاق.

أعرف أنّك ستجد في لغتي الصادقة هذه صدًى لأخوّة الماضي، على أمل أن تلهمك العمل في اتّجاه التهدئة والاجتماع بدلاً من اتّجاه التفرقة القاتلة للإخوة. تلك هي الأمنية التي يتمنّاها أخوك في المولد وفي السماء، من أعماق قلبه.

ألبير كامو

*

رسالة إلى مجهول

٣ أبريل/نيسان ١٩٥٤

سيّدي،

لقد أخّرت صحتي السيّئة هذه الإجابة ولك اعتذاري. منذ أكثر من عام، وبعد أن تعرّفت إلى ما كان يفصلني بشكل لا عودة عنه، عن اليسار كما عن اليمين، في ما يخصّ قضيّة الجزائر، قرّرتُ عدم المشاركة في أيّة حملة عامّة حول هذا الموضوع. فالتوقيعات الجماعيّة، تلك التحالفات المريبة بين أشخاص يفرّقهم كلّ شيء بأيّ حال، تستدعي إرباكات تتجاوز ـ وتعرّض بالتالي للشبهة ـ بشكل كبير، الهدفَ الذي ترمي إلى خدمته. وحتى عندما يكون الهدف ذاك قيّمًا، كما هي الحال، فقد قرّرت ألاّ أتحرّك إلاّ بشكل شخصي، في الوقت وضمن الشروط التي أجدها مفيدة، أيًّا تكن الضغوط التي تمارَس عليّ.

إنّي أنوي التطرّق فيما تبقّى للمواضيع التي تهمّك في كتابٍ سيصدر قريبًا ولا يُلزم سواي. على كلّ حال، إنّي أعهد بهذا الجواب الشخصي إلى ولائك، وتفضّل بقبول أصدق المشاعر وخالص التحيّة.

ألبير كامو

*

رسالة إلى غيران[1].

عزيزي غيران،

لقد نُقل إليّ (فأنا لا أقرأ هذي المجلّة ولست مشتركًا في «أرغوس») مقالك في «لاباريزيان». كلاّ، لن ألومك على «الجحود» ولا على «التشدّد»، فأنا لا أستسيغ الأسلوب الوقح ولا موضع التعبير عنهما. كما أنّي لا أُحبِّ أن تتحدّث عمّا تجهله، أي عن حياتي. فلو كنتَ تعرفها لصمتَ حول تلك النقطة. أمّا في العمق، فمن حقّك أن تقول إنّك لا تحبّ ما أنشره وأن تقول ذلك دونما تكلّف.

ما ألومك عليه هو إساءة لا توصف لأصول التصرّف التي تفترض عدم القيام بنشر رسالة شخصيّة من دون موافقة صاحبها. فأنا يوم كتبت إليك لم أفعل لكي يُصار إلى نشرِ رسائلي الواثقة المكتوبة بحرّيَّة الفؤاد، بعد عشر سنوات. من حقّك أن تبوح بما تشاء إلى هذا الجمهورِ وأن تحكي بكلّ حرّيَّة عن أولئك الذين كانوا أصدقاءك، إنّما لا يحقّ لك أن ترغم هؤلاء على البوح. فقد انتابني لدى قراءة تلك الجمل المعبّرة عن عاطفة الرفقة والمرسَلة إلى صديق في مُقاساته، في الموضع حيث نشرتَها، ضيقٌ لا يُحتمل ونوعٌ من الاشمئزاز كان حريًّا بك أن تحسّهما بشكل مسبق، وأنا لن أغفر لك قطّ أنّك أنزلتَهما بي. وفي مطلق الحال، لا يمكنني أن أدعك جاهلاً بمشاعري حيال هذه النقطة.

ألبير كامو

*

---

[1] دانيال غيران (١٩٠٤ ـ ١٩٨٨)، عالم اجتماع ومؤلّف كتب حول الفوضويّة تحديدًا.

رسالة إلى مجهولة

٢٠ يوليو/تمّوز ١٩٥٦

سيّدتي،

إنّي آسف لما تقولينه خاصّة أنّ الأمر ــ أؤكّد لك ــ يتعلّق من دون أدنى شكّ بسوء تفاهم.

ربّما أكون قد التقيتُ الطبيب الذي تذكرين، إلاّ أنّ اسمه لا يقول لي شيئًا، وهو بالتالي ليس أحد أصدقائي. على كلّ حال، أنا لا أعرفه بشكل كافٍ يُتيح له أن يأذن لنفسه بكشف ما يخصّ طرفًا ثالثًا. ناهيك عن أنّ مجرّد تصوّر أنّه يمكنني استخدام هذه المعلومة ــ مع افتراض أنّه باح بها دونما حذر ــ هو دليلٌ على عدم معرفتي جيّدًا.

أقسم بشرفي إنّ التفاصيل الواردة في «الانهيار» لا تخصّ أحدًا سواي. فصديقك ليس الوحيد الذي يحبّ المرتفعات. أنا أيضًا أحبّها وقد عشت فيها. وكمصابٍ أسبق بالسلّ، إنّي أعاني من تصلّب رئويّ يجعلني لا أُحتمل التواجد في أمكنة ضيّقة. بإمكان المحيطين بي أن يؤكّدوا لك رعبي من الهاوية والمغاور وكلّ الأمكنة المغلقة، المتّصل بهذه الإعاقة الشخصيّة جدًّا. غالبًا ما أمازَح بشأن قلّة صبري حيال مستكشفي الأغوار وبشأن غمّي في الوديان الجبليّة السحيقة، إلخ. لذا، فمن الممكن لكلّ تفصيل من

التفاصيل التي شدّت انتباه صديقك، أن يلقى تفسيرًا غير قابل للدحض. أمّا في ما يخصّ النكتة الرئيسيّة، فسوف تتفهّمين أنّني لست هنا بصدد البوح بأسرار، ومع ذلك، فاسمحي لي أن أذكر جملةً من رسالة تلقّيتها مؤخّرًا من أحد أصدقائي: «هكذا، فإنّ في حياة كلّ واحد منّا، دونما استثناء، فتاة لم يهبّ إلى نجدتها».

تلك هي البداهة بعينها، وعلى صديقك أن يقتنع بهذه البداهة. تذكرين أنّه لطالما قرأني بانتباه خاصّ وبتقدير، لذا فهو لا يجهل بالتالي أنّي أعجز عن الكذب في موضوع كهذا.

أقسم بشرفي، مرّة أخرى وبشكل صارم، ألاّ علاقة له البتّة بشخصيّتي. هو لم يتعرّض للخيانة من قبل أيّ كان، وإذا كان مثلما أظنّه، فسيعيد إلى أصدقائه ثقة القلب التي تصبح كلّ حياة من دونها تعاسةً مستنفَدة.

إنّ السبب الأوّل للشكّ الذي ينتاب صديقك اليوم، هو الحياة المنهكة التي نعيشها جميعًا وعلى وجه الخصوص، أولئك الذين يضيفون إلى ثقل الحياة الحديثة اللامتناهي، جهدَ عملٍ ذاتيّ. فكيف لا أتفهّمه؟ إذ يحدث لي أن أنهي بعض نهاراتي وأنا أكزّ على أسناني، ولديّ غالبًا الانطباع بأنّي أتقدّم وأعمل بفعل الإرادة الصافية التي تبقيني هي وحدها واقفًا. إنّما في هذه الحالات، علينا أن نبقى متسامحين مع أنفسنا ومع طبيعتنا الخاصّة. علينا العودة إلى حياة أكثر حيوانيّة، الاسترخاء والوحدة.

الآن وقد استنار بشهادتي، أرجو أن يستردّ صديقك الشعور بالارتياح وبالسلام، فهذا ممّا يعزّي عن كوني قد رميت سهوًا الاضطرابَ في قلبٍ طيّب. أمّا الآن، فإنّي فقط أشعر بالحزن لكوني قد تسبّبت بإساءة عبر أحد كتبي، في حين اعتقدت دائمًا بأنّ الفنّ لا يكون ذا أهمّيّة إن لم يكن في النهاية قادرًا على الإحسان وعلى تقديم المساعدة.

*

رسالة إلى (م. ر. ب.)[1]

(م. ر. ب.).

وصلتني رسالتك مع تأخير كبير والخبر الذي تطلعني عليه بشأن الوفاة المفاجئة لصديقي يَبلغني وقد انتهى كلّ شيء. مع ذلك، فإنّي أودّ التعبير لك عن عميق امتناني لكونك قد فكّرت بي.

كان ديدييه جزءًا من طفولتي ومن شبابي. ثم حين التقيته مجدّدًا وهو في ثوب الرهبنة، لم أجد صعوبة في أن أحبّ من جديد ما كانه أبدًا. فقد بقي الطفل ذاته، وأصبح الرجل نفسه، مع الإيمان ذاته وإنّما بشكل أكثر نقاء وأكثر عمقًا، ومع الإخلاص نفسه. فما كان للتحفّظ والرقّة الثابتة التي كان يضفيها على صلاتنا المتباعدة

---

(1) صديق كامو في الطفولة. كان قد دخل سلك الرهبنة. قُتل في حادث سيّارة، في لا شو ـــ دو ـ فون في سويسرا، بتاريخ ٩ يوليو/تمّوز ١٩٥٧.

جدًّا بسبب حياتينا المختلفتين، إلاّ أن تُثريا صداقة طفولتنا وأن تجعلاها أكثر حساسيّة. إنّ النهاية المفاجئة والعنيفة هذه هي شقاء كبير بالنسبة إليّ. فمنذ ساعات قليلة، بات العالم في عينيّ أكثر فقرًا. لست أغفل أنّ الموت لم يكن بالنسبة إليه أكثر من عبور، فقد كان يُجيد الكلام عن أملٍ ما. إنّما بالنسبة لمن هم مثلي ممّن أحبّوه من دون أن يتمكّنوا من مشاطرته ذاك الأمل، فإنّ الأسى يبقى كاملاً. يتبقّى، أنت محقّ، الذكرى والمثال. وثق أنّي أسبغ بكلّ امتنان جزءًا من صداقتنا الطويلة على من أحبّوه وسعدوا بالعيش قربه. مع أصدق وأخلص مشاعري.

أ. ك.

*

اكتشف فلان في المستشفى شيئًا لطالما عرفته (بسبب تجربة مماثلة [...[1]] الشباب ــ وأيضًا بسبب شيء آخر) تعاضد الأجساد، والوَحدة وسط الأبدان الزائلة المتألّمة. هذا ما نحن عليه ولا شيء آخر. نحن هذا، إضافةً إلى النبوغ البشري بكلّ أشكاله، بدءًا من الطفل وصولاً إلى آينشتاين.

*

([1]) ثلاث كلمات غير مقروءة.

كلاّ يا عزيزي دومينيك، ليس مذلاً أن نكون تعساء. الألم الجسدي هو المذلّ في بعض الأحيان. إنّما لا يمكن لتعاسة الكائن نفسها أن تكون كذلك، فهي الحياة بقدر ما هي تلك السعادة التي تكلّم عنها برنار في نصّه، بقناعة هزّت مشاعري بكلّ عنف.

*

أتردّد في قول ذلك، إنّما ما ينبغي عليكِ الآن فعله، إنّما هو العيش كالآخرين. لقد استحققتِ، بما أنت عليه، سعادةً وشعورًا بالامتلاء لا يعرفهما سوى قلّة من الناس. فحتى اليوم، لم يمت شعور الامتلاء هذا ولم يزل محسوبًا على الحياة ولها، وهو يهيمن عليكِ، شئتِ ذلك أم أبيت. لكن، في الأيّام المقبلة، عليك أن تعيشي وحيدة مع هذا الثقب ومع ذاكرتك الموجعة. فذاك الوهن الذي نحمله جميعًا في دواخلنا ــ نحن، أعني أولئك الذين لا يوضعون بمنزلة السعادة ويتذكّرون بألم سعادةً أخرى تعبر[1] الذاكرة.

*

بالنسبة إلى النفوس العنيفة[2]، الوقت المُنتزع من أجل العمل، الوقت المُنتزع من الوقت، هو الأفضل أحيانًا. هوىً بائس.

*

---

(1) كلمة مشكوك فيها.
(2) كلمة مشكوك فيها.

ملاحظات في مفكّرة

غال[1] وأنا خلال المظاهرة:

سترتكب مجدّدًا حماقة

حسنًا! لا تريد المجيء؟

ألبير، سأضربك.

*

هذا مثل أخي، وفي عائلتي من يمسّ أخي فهو ميّت.

*

المجدُ ديْنٌ.

*

فلانة. دروس على يد أستاذ الرياضة الخاصّ بوالدتها. بطلبٍ من الوالدة، يعطيها الأستاذ دروسًا جنسيّة (في عمر ١٥ سنة). ثمّ يقنعها أنّ الأفضل هو أن يقوم شخص فنّان بذلك...

فلان. يردّد رفيقه في الجولة جملةً من كتاب القصّة المسلسلة التي يقرأها: «أن نعيش كلّ ساعة كما لو كانت الأخيرة والأجمل»، ثم يهتف: «الأمر هو هذا بالضبط». لكن، يقول فلان: هو لا يخرج

---

(١) بيار غاليندو، صديق وهراني لكامو ورد ذكره سابقًا في المفكّرة عام ١٩٣٩، ١٩٤١، ١٩٥٠.

حتى من غرفته لزيارة المدينة ويوزّع وقته بين الوجبات الرفيعة وسريره.

يقول فلان، نحن كهؤلاء المسيحيّين في قلوبهم. حسنًا، وثنيّون، جميعًا، إلاّ أنّنا نبشّر بوثنيّتنا بطرف شفاهنا، وهو أيضًا. صديقته، مع [...][1] الرياضي والتي لا تستطيع أن تحبّه قبل المباراة لأنّ عليه أن يحتفظ بقواه، ولا بعدها لأنّه يفقدها، لا تخرج للأسباب ذاتها. صباحًا، يوقظها برفسة من ركبته في ظهرها لكي تعدّ له وجبة الفطور... هي: «لا أمارس الحبّ، لا أخرج، أقوم بدور خادمة، والأمر مستمرّ منذ ٣ أعوام».

*

ملحق

بحبر السجون

على سلاسل العبد

ذي الوجه اللطيف كأوجه المعدمين بالرصاص

أكتب اسمكِ

أيّتها الحرّيّة[2]

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) القصيدة هذه هي ردّ بلهجة ساخرة على قصيدة إليوار الشهيرة، *حرّيّة*، إذ إنّ الحرّيّة تعرّضت للخيانة. البيت الأخير، «بأحرف الألم الكبيرة» يُشير

سيقانك قضبان

وجهك قفلٌ

متآخٍ مع الجلاّدين

على جدران شبابيك التذاكر

أكتب اسمك

أيّتها الحرّيّة

أيّتها الحرّيّة، الحرّيّة المُخانة

أين هم المدافعون عنك؟

في ليل الأقبية

فرقعت عيناك العذبتان

أكتب اسمك

كالاند تموت

الكتابة سهلة

- إلى نيّة الإشارة إلى إليوار بما أنّ «عاصمة الألم» هو عنوان أحد دواوين الشاعر في مرحلته السرياليّة.

الموت فظيع

أكتب، أكتب

أكتب اسمك الخائن

على اسمك اليائس

آه! ماذا فعلت بكالاند الفتيّة؟

نموت عراة

عندما يقتلك إخوانك

أكتب اسمك الصوتيّ

بحبر مشين

لكي أشطب المستقبل

أمحو الذكرى

أكتب اسمك

أيّتها الحرّيّة

بأحرف الألم الكبير

بيار سيرمان

*

الدفتر رقم IX

يوليو/تمّوز ١٩٥٨

ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٥٩

٢١ يوليو/تمّوز

وحيدًا طيلة النهار، أفكّر. في المساء، عشاء مع (ب. م.). مكان (م) في داخلي فراغٌ يزعجني طيلة النهار. أكتب إليها.

*

٢٢. ٢٤.

لا شيء. سجّلت *الانهيار* على مسجّلي. رسالة (مِي) («ليال عنيفة وطاهرة»). همتُ ليل أمس في حيّ سان ــ جرمان ــ دي ــ بري ــ وأنا أنتظر ماذا؟ تحدّثت إلى رسّامٍ مخمورٍ «ماذا تفعل في الحياة؟ ــ لست في السجن ــ هذا سلبيّ ــ لا هذا إيجابيّ»، ثم التهم خمس بيضات مسلوقة وشرب معها كونياك. أنا يائس من عجزي عن العمل. لحسن الحظّ هناك جيفاغو[1] والحنان الذي أحسّه حيال كاتبه. عدلت عن السفر إلى الجنوب.

*

---

(1) بوريس باسترناك، دكتور *جيفاغو*، غاليمار ١٩٥٨.

.٢٥

لا شيء. تسجيل *الانهيار*. توزيع أدوار *الممسوسون*. المجلّة الفرنسيّة الجديدة NRF. عشاء مع (أ. ك.). قصّة حبّه مع (م)، عاجز جنسيًا مع زوجته، وقد باح لها بالأمر. «إنّه أفضل حالاً»، قالت ــ «ومعناه؟» ــ «يعني أنّه ليس رجلاً بعد، لكنّه لم يعد كهلاً». منطقة الظلّ تلك المخيّمة على الحيوات. كلّ الحيوات. بعد أن رافقتُها، تنزّهت في سان ــ جرمان ــ دي ــ بري. أنتظر بغباء. آه، لو عادت إليّ قوّة العمل، سيعمّ النور أخيرًا. الأزرار الصغيرة المتنكّرة على شكل جيمس دين، وحركة اليد على شكل ملعقة وهي تسعى ببنصرها إلى معالجة القضيب العالق على ما يبدو في سراويل الجينز الضيّقة جدًّا. أفكّر في الأجساد العارية السمراء، في ما مضى، في بلادي المفقودة. هؤلاء كانوا أطهارًا.

*

.٢٦

تسجيل *الانهيار*. بالكاد بدأت إعداد مقدّمة «الجزر»[١]. عشاء مع (ك) الكسول والمتهكّم، المعنيّ بالاستمتاع فقط. إلاّ أنّه يعمل لحسابه. وهو كذلك كاتب ثانوي. لكنّه لا يشبه أحدًا. غادرته باكرًا. سوف يلعب البوكر، وهذا ممّا يقضي عليّ. أعود إلى البيت. قبل

---

(١) جان غرونييه، *الجزر*، غاليمار، ١٩٣٢. طبعة جديدة قدّم لها ألبير كامو، عام ١٩٥٩، أنظر المفكّرة VIII.

ذلك، قامت فتاة فظّة إلى حدّ ما، بصدّ عربيّ كان يلاحقها. «أنا عنصريّة»، قالت بكلّ بساطة.

*

.٢٧

انتهى تسجيل *الانهيار*. دون جيوفاني. سماء رماديّة طيلة النهار. مساءً، فيلم عن كأس العالم لكرة القدم. الشبّان البرازيليّون السود يبكون بعد الفوز ويحاولون إخفاء وجوههم عن عدسة الكاميرا. ما زال هذا يمسّني ويؤثّر فيّ، كما من قبل.

*

.٢٨

عشاء عند (ب. م.). ينضمّ إلينا (أ. ك.). العاصفة تثقل صدر المدينة، لكنّها لا تنفجر.

*

.٢٩

صباحًا، يستولي عليّ هوس الجزائر. لقد فات الأوان، فات الأوان... بعد أن فقدت أرضي، ما عدت أساوي شيئًا.

*

٣٠ يوليو/تمّوز

يوم وحدة. عملٌ لا شكل له. مساءً، في بيت نابوكوف، نارايان الذي سيكون خليفة غاندي، والذي يشرح لنا حركة الاشتراكيّة القرويّة والزراعيّة في الهند (فينوبا)[1]. أصغي بإعجاب، نائيًا. في طريق العودة ولدى مروري من أمام «ليغلون»، أرى اسم (أ. م.) على اللافتة الكهربائيّة. أدخل. لقد عرفت معها السعادة، منذ ١١ عامًا. هي متزوّجة الآن من مضيف في شركة الطيران الفرنسيّة، ترافقه إلى الصيد. وتغنّي كلّ مساء.

*

٣١ يوليو/تمّوز

تأتي (أ. م.) بعد الظهر لرؤيتي خلال نصف ساعة. في ضوء النهار، أرى الآثار التي خلّفتها إحدى عشرة سنة. كان عمرها ٢٢ عامًا، واليوم عمرها إذًا ٣٣. إلاّ أنّنا نضحك جدًّا سويّةً.

*

١ أغسطس/آب

الغداء عند بارّو في شامبورسي. السماء سوداء باستمرار ومثقلة بعاصفة لا تنتهي. يقترح (ب) عليّ مجدّدًا شراكة دانتشنكو

---

(١) مراجعة لانزا ديل فاستو، *فينوبا أو الحجّ الجديد*، دونويل، ١٩٥٤.

ـ ستانيسلافسكي[1]. ما بعد الظهر، كولن ويلسون[2] ـ طفلٌ على ما يبدو هو أوروبا، قد قهر إنكلترا. «ينبغي الآن أن نعمد إلى تقاسم الإيمان بـ...» [...][3] أعرف ذلك جيّدًا. ذلك الإيمان خاصتّي وهو لم يتركني أبدًا. إلاّ أنّني سلكت درب العصر بما فيها من خيبات ومحنٍ لكي أتفادى الغشّ ولأؤكّد بعد أن تقاسمت العذاب والإنكار، كم كنت أشعر بها. الآن، ينبغي التبدّل وهو ما يقلقني إزاء الكتاب الذي ينبغي وضعه وما يكبّلني. فربّما كان تصوير شدّة معيّنة قد استنفد رجال جيلي بحيث لن نعرف بعد الآن قول إيماننا الحقيقيّ. سنكون فقط قد مهّدنا الطريق للصبيان الذين سيلوننا. أقول ذلك لـ (ك. و.)، و«إن لم أنجح، فأكون على الأقلّ شاهدًا مهمًّا، هذا في أفضل الأحوال. وإن نجحتُ، أكون مبدعًا».

مساء، تناولت العشاء مع (أ. إ) وكارين، ثم تنزّهتُ مع كارين وحدها في مونمارتر. الحدائق ليلاً مغسولةٌ بأشعّة القمر وإنّما داكنة. عمر كارين ١٨ عامًا. والداها مطلّقان. غادرت السويد لسببٍ أجهله وعملت عارضة أزياء لدى مصمّم من الدرجة الثانية يستغلّها. خمسة وثلاثون فرنكًا لقاء ٧ ساعات عمل يوميًّا. تملأني شجاعة فتيات منتصف القرن بالإعجاب ذاته دائمًا. جمالٌ صبيانيّ

---

(١) مؤسّسا «مسرح الفنّ في موسكو»، عام ١٨٩٨.

(٢) كولن ويلسون، مواليد لايسستر عام ١٩٣١. كان هذا الكاتب الإنكليزي الشابّ، العصامي، قد ابتكر نوعًا جديدًا من الأبطال، المتمرّد، أو «الغريب».

(٣) كلمتان غير مقروءتين .

بعض الشيء، وإنّما متمهّل كما لو أنّه غائب. العودة. طبيعيّتها. تتقدّم فورًا نحوي بفمها الطازج المنعش، ثم ترحل دقيقةً ومتحفّظةً.

*

٢ أغسطس/آب

أرغم نفسي على كتابة هذه اليوميّات، إلاّ أنّ اشمئزازي قويّ. أدرك الآن لمَ لم أفعل ذلك أبدًا: بالنسبة إليّ، الحياة سرّيّة. إنّها هكذا حيال الآخرين (وهذا ما كان يعذّب فلانة إلى هذا الحدّ) وعليها أن تكون هكذا في نظري أنا. عليّ ألاّ أكشفها في الكلمات. صمّاء وغير مصاغة، هكذا تكون ثريّةً بالنسبة لي. وإذا ما كنت أرغم نفسي في هذه اللحظة، فبسبب ذعري أمام عيب ذاكرتي. بيد أنّي لست واثقًا من قدرتي على الاستمرار. في مطلق الحال، حتى هكذا، أنسى تدوين الكثير من الأمور. ولا أقول شيئًا عمّا أفكّره. ولا عن تفكيري الطويل بشأن (ك).

*

السبت ٢.

مساء، (م) في المحطّة حتى مساء الأحد. متعبة ونائية. قُبيل المساء، تستعيد الحياة وتنتعش، فأُسعَد أنا.

*

الإثنين ٤.

الغداء برفقة (م). ما بعد الظهر، الطبيب فلان. بحسب رأيه، ضرورة المحافظة على صحّة فلانة، تجعلني أحيا داخل «كرة زجاجيّة». وصفته: حريّة وأنانيّة. وصفةٌ رائعة، أقول. ويسهل فعلاً اتباعها. مساءً، (ك).

*

الثلاثاء ٥.

ما بعد الظهيرة، (م). محادثة طويلة. قلّة من الناس مضت أبعد منها في تقبّل الحياة.

يوم ٦. مساءً.

الخروج مع ميشال، آن و(م). رقص.

يوم ٧.

الشعور مجدّدًا بابتعاد (م). الكائن الأكثر توقّدًا الذي عرفت، هو الأكثر عفّة. العشاء مع بريس بارّان[1] في داره، برفقة الممرّضة الروسيّة وحفيدته ذات التسعة أعوام. ككلّ النفوس المتديّنة، يحاول (ب. ب.) تبرير كلّ البلايا بضرورة التكفير. أقول له إنّنا ربّما كنّا بذلك نوافق على ما هو أكثر سوءًا في الجدليّة. هو يدرك ذلك. إنّه يفكّر.

*

(١) بريس بارّان (١٨٩٧ ــ ١٩٧١)، فيلسوف وكاتب، أحد أهمّ المتعاونين مع دار غاليمار.

الجمعة ٨.

يوم وحدانيّ ككلّ الأيّام السابقة تقريبًا. أحاول تنظيم عملي. إنّها تمطر منذ يومين. رسالة من فلانة: «المحادثات المزيَّتة وعديمة الشكل» (على الهاتف). حارّة، حرّة، حقيقيّة.

*

الأحد ٩.

مريض.

الأحد ١٠.

الاثنين ١١. *الحبل*. أتمدّد وأغفو مع صداع فظيع. ليلة سيّئة. خلال النهار، كانت (مِي) قد اتّصلت من مرسيليا؛ إنّها تهرب من مدينة إلى أخرى، يطاردها القلق والذعر. أنصحها بالعودة إلى باريس.

*

الثلاثاء ١٢.

في الصباح، جاءت (ك) لزيارتي.

الأربعاء ١٣.

غداء مع شار. ضحكنا كثيرًا. بعد الظهر، إفيرنال[1]. مساءً، عشاء في نادي الغولف مع (م. ج.)، آن و(ر.ج.). المساء فوق المراعي.

الخميس ١٤.

إيفرنال على الهاتف. لقد قرأ اقتباسي لِـ *الممسوسون* ليلاً دون أن يتمكّن من التوقّف. إنّه يقبل أن يؤدّي دور شاتوف. مساءً، العشاء مع (ر). لقد بقي مظهره الجسديّ هو نفسه منذ ٢٠ عامًا. لكن، منذ إصابته بمرضه العصبيّ، انكسر الزنبرك. ف إنّه يحيا ظاهريًّا عن ظهر قلب. نلتقي بـ (ك). طبيعيّتها تقتلني (اليد مباشرة ومن ثم، تعالوا، لا لماذا، عندي موعد)، إنّها تأكل من دون توقّف.

*

١٥، ١٦، ١٧ أغسطس/آب.

منذ يوم ٢، كلّ تلك الفترة فارغة في الواقع. لا يمكننا أن نكتب ما لم نستعد الحيويّة والطاقة. صحّة القلب حتى وإن كان ما ينبغي قوله مأسويًّا. خاصّةً. لقد أنهيت قراءة جيفاغو بنوع من الحنان حيال المؤلّف. ليس صحيحًا أنّ هذا الكتاب يستعيد التقليد الفنّي للقرن التاسع عشر الروسيّ. بل هو أكثر رعونة بكثير وحتى إنّه حديث الطابع بصوره الفوريّة المستمرّة. لا بل إنّه أشدّ إجادة: إنّه يبعث الحياة في القلب الروسيّ المسحوق تحت أربعين سنة من الشعارات والقسوة الإنسانيّة. جيفاغو كتابٌ عن الحبّ. وهو حبّ

---

[1] لعب دانييل إيفرنال دورًا في المسرحيّة التي اقتبسها كامو عن دينو بوزاتي، *حالة مثيرة للانتباه*. غير أنّ دور شاتوف، في *الممسوسون*، هو من ابتكار مارك إيرو.

من النوع الذي ينتشر في كلّ الناس وفي آن واحد. الطبيب يحبّ زوجته، ولارا، وآخرين أيضًا، وروسيا. وهو إن مات، فبسبب انفصاله عن زوجته، عن لارا، عن روسيا، وعمّا تبقّى.

أُناس من غير أسماء موجودون بقربي

أشجار، أطفال ومقيمون

لقد قُهرت على أيدي هؤلاء كلّهم

وذلك فقط هو فوزي ونصري.

وتكمن شجاعة باسترناك في كونه أعاد اكتشاف ذلك الينبوع الحقيقيّ للإبداع، وفي كونه انهمك بهدوءٍ في جعله يتفجّر وسط تلك الصحراء هناك.

ماذا بعد؟ مساء ١٦ ومساء ١٧، سجّلت مع (م) قصائد شار. ليل ١٥، نزهة على طول نهر السين. تحت جسر بون نوف، شبّان غرباء (من شمال أوروبا) مجتمعون حول اثنين من بينهم، عازفي بوق وبانجو، تمدّدوا في الشارع متعانقين أزواجًا واستمعوا إليهما يرتجلان. على مسافة من هنا، فوق أحد مقاعد جسر بون دي زار، استلقى عربيّ وهو يستمع إلى أنغام عربيّة تنبعث من مذياع صغير ألصقه برأسه. جسر بون دولا سيتيه، تحت السماء الحارّة والغائمة لباريس في شهر أغسطس/آب.

بشأن جوليا. غيبار هو التقدّمي النبيل. ومورا صورة العالم القديم[١].

---

(١) ملحوظة لمشروع المسرحيّة عن جولي دو ليسبيناس. مراجعة الدفتر VII والدفتر VIII.

١٨ أغسطس/آب.

غداء مع (م) المستعادة. في المساء، عشاء مع (ر). لم يُشف من انهياره العصبيّ بعد.

*

١٩.

رسالة من فلانة تشقيني مرّة أخرى بعد.

*

٢١ ـــ ٢٣ مساءً.

(مِي) يملأ هذي الأيّام بالجمال، بالنعومة. وبعيدًا عن أن يقصيني عن العمل، يعيدني هذا الفرح إليه. أخته ابنة ٢٢ عامًا، توفّيت بداء السرطان في الكبد. فأمره أبوه أن يتأمّل يوميًّا غروب الشمس: «بما أنّك فنّان».

*

٢٣ أغسطس/آب

وفاة روجيه مارتان من غار. كنت قد أرجأت زيارتي إلى بيلّلام وفجأة... أرى ذاك الرجل الذي كنت أحبّه بحنان يحدّثني في مدينة نيس وفي شهر مايو/أيّار، عن وحدته وعن الموت. كان

يجرجر جسده الضخم الثقيل والمنكسر اثنين، من الطاولة إلى الكنبة. ونظرته الجميلة... كان من الممكن حبّه واحترامه. أسًى.

*

٢٥.

عشاء مع بريزفيل[١] (وتريز)، (ب.م.) (وفيفات[٢]). بعد الخروج، نزهة. في منطقة لاشابيل، وفي الجادّات الخارجيّة. باريس القذرة.

*

٢٦ ــ ٢٩.

نموذج من جياكوميتي. آه! ومن ثم (م) وحياتها: «أولئك الذين مثلنا، قد عرفوا في سنّ مبكرة تجارب قصوى (بما فيها الحبّ والمجد)، والذين يبلغون النضوج فلا يعودون يرغبون بشيء آخر سوى الحياة، ببساطة».

*

٢٩.

عودة (ك).

*

---

(١) جان ــ كلود بريزفيل، روائي وكاتب مسرحي، ألّف «كامو» لِــ «المكتبة المثاليّة»، غاليمار، ١٩٥٩.

(٢) الكاتب جان بلوش ــ ميشال (١٩١٢ ــ ١٩٨٧)، رفيق كامو في صحيفة *كومبا* السرّيّة، وزوجته الروائيّة فيفات بيّريه.

٢ سبتمبر/أيلول في ليل ـ سور ـ سورغ. قاعدة أفضل لهذا الدفتر، من حين لآخر (مرّتان في الأسبوع؟) اختصار الأحداث المهمّة في الفترة المنصرمة. يوم السبت ٣٠، قابلت جاموا[١] واتّفقت معها أنّنا لا نستطيع تقديم *الممسوسون* فورًا في مسرح مونبارناس. رغم نبرتها الجافّة ومرارتها، إنّها جذّابة بصندلها الصارم، وقدميها الصغيرتين المتناسقتين، وجسدها الطويل، وتلك النظرة الجميلة الحزينة. اتّصلت من ثم بـ بارّو لكي أوافيه بموافقتي. النوم باكرًا. لا أنام طوال الليل، أغفو عند الثالثة وأستفيق عند الخامسة صباحًا، آكل بكثرة ثم أخرج تحت المطر. لا أترك المقود خلال ١١ ساعة، قاضمًا من حين إلى آخر قطعة بسكويت، والمطر لا يتركني أبدًا وصولاً إلى دروم حيث يخفّ، في حين تأتي رائحة الخزامى القويّة عند مستوى ليون تقريبًا لملاقاتي، فتوقظني وتنبّه قلبي. المشهد الذي أتعرّف إليه يغذّيني من جديد فأصل فرحًا. الجزيرة حيث أشعر فجأةً بالأمان والسلام في غرفة فندق سان مارتان المتواضعة.

في الجزيرة، تلاقينا أنا وشار. شعورٌ بالحزن لرؤيته مطرودًا من بيته ومن حديقته (حيث يرتفع الآن مجمّع قبيح للمساكن الشعبيّة)، ومحشورًا في هذي الغرفة الصغيرة في فندق سان مارتان. في كامفو، عند آل ماتيو، السيّدة ماتيو، الشبيهة بكليتنمستر

---

(١) مرغريت جاموا، مديرة مسرح مونبارناس.

وقد شاخت، تضع نظّارات. في حين أصبح السيّد ماتيو، مدير التشغيل النشيط، كهلاً عاجزًا لا يتحكّم حتّى بما يطفح منه. أعنى بالبيت المؤجَّر، الحزين قليلاً ولكن الجميل مع ذلك بطلّته على لوبيرون. لن يعجب فلانة حتمًا، إلاّ أنّي أحاول جعله أكثر راحة.
يوم ٣، نزهة طويلة مع (ر. ك.) على طريق قمم لوبيرون. الضوء العنيف والفضاء اللامتناهي يحملانني بعيدًا. مجدّدًا، بودّي أن أعيش هنا، أن أجد البيت الذي يناسبني، وأن أستقرّ قليلاً أخيرًا. في الوقت نفسه، أفكّر جدًّا بـ (مِي) وبحياته ها هنا. أثناء العشاء، تقول السيّدة ماتيو: «حتى طيور السنونو أصبحت غبيّة. فبدلاً من جمع الطمي لأعشاشها، تراها تجمع تراب المزروعات. وللمرّة الأولى منذ عشرات السنوات، اثنا عشر عشًّا من الأعشاش الثلاثة عشر الخاصّة بكامفو، سُحقت ببيضها». وقد علّق شار قائلاً: «كنّا نتأمّل أن تنقذ العصافير على الأقلّ، ماء الوجه».

يوم ٤، أنتظر دائمًا برقيّةً أو اتّصالاً هاتفيًّا من فلانة يعلن قدومها مع الأولاد. السيّدة ماتيو تعلمني أنّها لن تبقى هنا سوى أربعة أيّام، وأنّ عائلتها ستكون في باريس. غضب وبعاد يتصاعدان ضدّها وضدّي أنا الذي لم يكفّ عن انتظار إشارات حنان حيث لا توجد وحيث لا يمكن لها أن توجد.

*

٣٠ سبتمبر/أيلول

مضى شهر وأنا أتفرّج على فوكلوز وأبحث عن بيت. اقتناء بيت لورمارين. ثم الرحيل نحو سان جان للقاء (مِي). خلال مئات الكيلومترات، عبر رائحة قطاف العنب، وفي انسجام. ومن ثم البحر الكبير المزبد. اللذّة كتلك الأمواج الطويلة التي تنساب وتسلخ. الرحيل صباحًا إلى باريس، ونبات الخلنج الزهريّ في غابات الصنوبر. اثنتا عشر ساعة من القيادة بعد، ومن ثم باريس.

زيارة الكاتب *الواصل* إلى المثقّف البائس (كوخ فوبورغ ـــ سان ـــ دوني).

باسترناك. «... «عنصر الأرستقراطيّة الحيّ والنابض ذاك الذي بتنا نسمّيه بعد بوشكين، المبدأ الموزارتي (من موزارت) الأكثر رفعة، العنصر الموزارتي».

ج. دو بير: «ينبغي أن تعاقب الخيانة الزوجيّة بالموت. فالعشّاق الحقيقيّون يُعدّون على الأصابع». هذا ليس حتى صحيحًا. إنّ النذالة أقوى من الخوف، غالبًا.

*

١٧ أكتوبر/تشرين الأوّل

مغادرة فوكلوز. ينبغي أن أوجز الأيّام الثمانية عشر تلك، وسأفعل.

*

١٨ أكتوبر/تشرين الأوّل

أنزل من قطار الليل في ليل ــ سور ــ سورغ، وسط الريح الشماليّة الجافّة الباردة. حماس جيّد وكبير طوال النهار في الضوء المتلألئ. أشعر بقواي كلّها.

*

١٩.

نورٌ متواصلٌ. في البيت الفارغ من دون أثاث، وأقف ساعاتٍ طوالاً أتأمّل الأوراق الصفراء والحمراء في الكرمة العذراء، تدفعها الريح العنيفة فتدخل الغرف. الريح الشماليّة.

*

٢٧.

العودة إلى باريس، في الليل، الأصوات المطمئنة التي تعلن أسماء المحطّات. ناسيون.

عدم التشكّي. عدم إبراز ما نحن وما نفعله. إذا كنّا نعطي، فينبغي اعتبار أنّنا تلقّينا.

*

٥ نوفمبر/تشرين الثاني

رسالة من (أ.ب.) يخبرني فيها أنّ امرأته تريد الانتحار ويطلب إليّ التدخّل. لا أشعر بأيّة مسؤوليّة في هذه الحالة، أنا الذي أشعر بسهولة كبيرة وغالبًا بغباء كبير، بمسؤوليّات حيال الكائنات. بل على العكس، لديّ الشعور بأنّي أمام فخّ حقيقي. ومع ذلك، ينبغي لي أن أتدخّل.

*

٧ نوفمبر، ٤٥ عامًا. كم كنت أودّه يوم وحدة وتفكير. ومنذ الآن، البدء بذاك التخلّي الذي ينبغي له أن يكتمل في الخمسين. في ذلك اليوم، سأسود.

*

ليست الديموقراطيّة حكم الأكثريّة، وإنّما حماية الأقلّيّة.

*

٢٢ نوفمبر/تشرين الثاني

الغداء مع شار وسان جون بيرس. الجزر. ما بعد الظهيرة، فالدو فرانك[١] في غرفة حزينة.

*

---

(١) كاتب أميركي عالج الوقائع الاقتصاديّة والاجتماعيّة لبلاده، وصدرت له مؤلّفات عديدة في فرنسا ما بين ١٩٢٠ و١٩٣٠. في يوميّاته التي دوّنها عن رحلته إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، قال كامو عنه: «أحد الرجال النادرين المتفوّقين الذين التقيتهم ها هنا».

تمارين على مسرحيّة «الممسوسون»[1].

كوني الذي يبدو متقدّمًا في العمر لأداء دور ستافروغين، والذي يساويني سنا.

(م). نبدّل مهنتنا، هذا كلّ شيء.

(ل). ــ أجل، لكن ستفلت منّا النساء وسوف نموت.

*

(مِي). شهيّته الرائعة.

*

٣ مارس/آذار

أتخبّط كالسمكة العالقة في خيوط شبكة.

*

١٧ مارس/آذار

وفاة بول أويتلي[2] عن عمر يناهز ٦٩ عامًا. في اليوم التالي، انتحرت أمّه البالغة ٩٣ عامًا.

---

(١) تمّ تقديم *الممسوسون* للمرّة الأولى في ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٩٥٩ على خشبة مسرح «أنطوان».

(٢) كان بول أويتلي قريب كامو من خلال زواجه بخالة فرانسين كامو. ممثّل ومخرج مسرحي، لطالما كانت له مساهمة في مسرحيّات كامو. وكانت والدته تدير نزل بانولييه العائليّ، بالقرب من شامبون ــ سور ــ لينيون، حيث عاش كامو من أغسطس/آب ١٩٤٢ إلى نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٣.

مرض كاترين. أرجئ سفري إلى الجنوب. معصور القلب.

*

أجريت عمليّة لوالدتي. تصلني برقيّة (ل) صبيحة يوم السبت. في الليلة التالية، أركب الطائرة في الثالثة بعد منتصف الليل. في السابعة، أصل مدينة الجزائر. دائمًا المشاعر نفسها على أرض البيت الأبيض: أرضي. رغم أنّ السماء رماديّة والهواء رقيق وإسفنجي. أُقيم في العيادة، أعلى مدينة الجزائر.

في الغرفة الناصعة بجدرانها البيضاء العارية: لا شيء. منديلٌ ومشط صغير. على الملاءات، يداها كثيرتا العقد. وفي الخارج، المشهد الرائع المنحدر حتى الخليج. لكنّ الضوء والفضاء يجرحانها. تريد أن تبقى الغرفة في الظلّ.

*

تقول عن فيليب الذي عقدت بول خطبتَها عليه مؤخّرًا: والده ابن حلال، والدته ابنة حلال، أختَه ابنة حلال. إنّهم أُناس قدماء. هو

خدم في الجيش. رأى بول على نور القنديل و(حركة بسبّابتيها اللتين تجتمعان). هكذا أفضل».

«فيما بعد، حين سأعود إلى المنزل، سيعطيني الطبيب ما ينشّط». تقول: «شكرًا سيّدي الطبيب». لا يمكنها أن تفعل شيئًا: لا أن تقرأ فهي لا تعرف، ولا أن تخيط أو تطرّز بسبب أصابعها، ولا أن تسمع لأنّها صمّاء. الوقت يجري، ثقيلاً، بطيئًا...

لقد اختفت شفتاها. غير أنّ أنفها الرقيق جدًّا، المستقيم جدًّا ــ جبهتها العريضة المفعمة بالنبل، عينيها السوداويين البرّاقتين في القوس العظميّ المصقول.

تتعذّب بصمت. *تطيع*. من حولها، العائلة جالسة بثقل، خرساء وهي تنتظر... جوزف، شقيقها الأصغر منها ببضع سنوات، ينتظر هو أيضًا ــ بما أنّه ينتظر دوره هو ربّما ــ مستسلمًا وحزينًا.

*

٢٣ مارس/آذار

ليلة سيّئة. تمطر صباحًا فوق الخليج والتلال. أزهار الوستاريّة: لقد ملأت شبابي برائحتها وباتّقادها الغامض الثري... ومن جديد، دونما كلل. لقد كانت أكثر حيويّة وأشدّ حضورًا في حياتي من العديد من الأشخاص... فيما عداها هي التي تتعذّب إلى جانبي والتي ما كفّ صمتُها عن مخاطبتي خلال نصف حياة.

إنّها تقول «مياه فيشي» عن كلّ أنواع المياه المعدنيّة.

*

الجسد، الجسد المسكين، البائس، الوسخ، الساقط، المذلول. الجسد المقدّس.

*

ليوبولد ف [...][1] حول نيتشه: «قبول الحياة الذي أودى إليه اتّحادُ الصبر والتمرّد، هو قمّة منتصف الحياة أو تلك اللحظة الأزليّة الكبرى».

*

تلك العادة الغريبة التي تقتضي استباق اسمها بكلمة أرملة التي رافقتها طوال حياتها والتي لم تزل بعد مائة اليوم، على أوراق العيادة.

لقد عاشت في جهلٍ للأشياء كلّها ـ فيما عدا العذاب والصبر ـ وهي تستمرّ اليوم تتشرّب العذابات الجسديّة بالوداعة نفسها...

كائنات لم تلمسها الصحيفة، ولا الإذاعة، ولا أيّة تقنيّة. هكذا كانت منذ مائة عام، وهي ليست قطّ أكثر تشويهًا من قبل الظرف الاجتماعي.

---

(1) كلمة غير مقروءة.

يبدو وكأنّني أنزف. لا؟ آ. حسنًا.

رائحة الحقن. الهضاب المكسوّة بنبات الأُقنثة، بالورديّة، بالسرو، بالصنوبر، بأشجار النخيل، والبرتقال والأكاديني وبأزهار الوستاريّة.

*

٢٩ مارس/آذار

العودة إلى باريس.

*

كان سوفوكليس يرقص ويجيد اللعب بالكرة.

*

«خلف الصليب هناك إبليس» [بالإسبانيّة في النصّ].

*

أن أدمّر في حياتي كلّ ما ليس ذلك الفقر. أن أفلس ذاتي.

*

باسترناك بصدد سكريابين[1]: «لقد عرف كلّ منّا لحظةً مماثلةً في حياته. فالوحي وهب ذاته لكلٍّ منّا، ووعده بأن يهبه شخصيّةً، وهو قد وفى بوعده مع الكلّ على طريقته».

كما سبق. «في الواقع، أكبر الأعمال الفنّيّة في العالم أجمع، تروي لنا ولادتها الخاصّة وهي تحكي عن الأمور الأكثر تنوّعًا».

كما سبق. «... يومًا بعد يوم، يمكننا الجري إلى موعدنا مع قطعة أرض مبنيّة، كما لو كانت كائنًا حيًّا».

*

نيتشه. «لم يقدر أيّ عذاب ولن يقدر على حملي على الشهادة زورًا ضدّ الحياة *كما أعرفها أنا*».

كما سبق. «ستّ وحدات كان قد عرفها

غير أنّ البحر نفسه لم يكن بالنسبة إليه وحدانيًّا بما يكفي...».

في استخدام المجد كتمويه، خلفه «تستطيع أنانا بشكل خفيّ اللّعبَ مجدّدًا مع ذاتها والضحك منها».

«الفوز بالحرّيّة والفرح الروحيّ لكي نتمكنّ من الإبداع ولكي لا تستبدّ بنا مُثُلٌ أجنبيّة».

ليس الحسّ التاريخي إلاّ لاهوتٌ مقنّع.

---

(1) لقد كرّس باسترناك فصلاً لسكريابين في «*محاولة وضع سيرة ذاتيّة*».

(ن) رجلٌ من الشمال وُضع فجأةً أمام سماء نابولي، ذات مساء: «وكان يمكنك الموت دون أن ترى هذا!».

رسالته إلى غاست بتاريخ ٢٠ أغسطس/آب حيث يأسف على صداقة فاغنر «... ما ينفعني أن أكون محقًّا ضدّه في مسائل عدّة».

الإنسان ذو القلب العميق يحتاج إلى أصدقاء، إلاّ إذا كان لديه إلهه.

الأشخاص الذين لديهم «إرادة طويلة المدى».

عبر العالم السفلي[١] اكتشف نيتشه دوستويفسكي عام ٨٧، وهو يقارن الأمر باكتشافه كتاب «الأحمر والأسود».

في العام ٨٨، اكتشف «المتزوّجون»[٢] لستريندبرغ.

*

---

(١) «لبضعة أسابيع خلت، كنت ما زلت أجهل حتى اسم دوستويفسكي ــ أنا الأمّي المسكين الذي لا يقرأ أيّ «جريدة». حركة عفويّة في مكتبة وضعت تحت عيني *العالم السفلي* الذي تُرجم لتوّه إلى الفرنسيّة (وعن طريق صدفة مشابهة التقيت بشوبنهاور في سنتي الحادية والعشرين، وبستندال في سنتي الخامسة والثلاثين!). صوت الدم (أو كيف ينبغي لي تسميته؟) تناهى إليّ فورًا، فكان فرحي عظيمًا». نيتشه، رسالة إلى أوفرباك، ٢٣ فبراير/شباط ١٨٨٧. تترجَم أيضًا *العالم السفلي*، بـــ «ملاحظات من العالم السفلي»، أو أيضًا بـــ «القبو».

(٢) «متزوّجون»، مجموعة قصصيّة وُسِمَتْ بأنّها تجديفيّة.

١ أبريل/نيسان

الحبّ على العكس، وإنّما مستحيل. عدم *السعي* وراءه بعد الآن؟ الاستقبال. قوّة عظمى في الإبداع.

نيتشه في عام ٨٧ (٤٣ عامًا): «في هذه اللحظة بالذات، حياتي على خطّ الطول الرئيسيّ: يُقفَل باب، فيُفتَح آخر».

*

٢٨ أبريل/نيسان

الوصول إلى لورمارين. سماء رماديّة. في الحديقة، ورودٌ رائعة مثقلة بالماء، شهيّةٌ كالفاكهة. إكليل الجبل مزهرّ. نزهة وفي المساء، ليلك السوسن يزداد حلكة. منهكٌ.

*

أردت العيش لسنوات بحسب القيم الأخلاقيّة للجميع. أرغمت نفسي على العيش كالآخرين، على التشبّه بالآخرين. قلت ما ينبغي لكي أجمع، حتى عندما كنت أشعر نفسي منفصلاً. وفي نهاية ذلك كلّه، كانت الكارثة. الآن، أطوف بين الحطام، من دون قانون، ممزّقًا، وحيدًا وقابلاً أن أكون وحيدًا، قانعًا مستسلمًا لفرادتي وعاهاتي. عليّ أن أُعيد بناء حقيقة ــ بعد أن قضيت حياتي كلّها في نوع من الكذب.

*

المسرح على الأقلّ يساعدني. المهزلة أفضل من الكذب: إنّها أقرب إلى الحقيقة التي تؤدّيها.

*

أيّار/مايو

استئناف العمل. تقدّمتُ في القسم الأول من *الرجل الأوّل*. الامتنان لهذي البلاد، لوحدانيّتها، لجمالها.

*

١٣ أيّار/مايو

رحلة إلى آرل. الشباب الرائع لـ (م). عيد العنصرة. السفر إلى طولون.

*

برنامج تلفزيوني[١]. لا يمكنني أن «أظهر» دون إثارة ردود فعل. أن أتذكّر وأكرّر لنفسي باستمرار، أنّ عليّ إلغاء كلّ سجال عقيم. الإشادة بما يستحقّ الإشادة به. والتزام الصمت بشأن ما تبقّى. إذا لم ألتزم بهذه القاعدة في الوضع الحالي للأمور، ينبغي قبول دفع الثمن والعقاب. مراجعة مراحل الشفاء. الإبقاء على هذا

---

(١) إنّه برنامج «لقطة قريبة» التلفزيونيّ الذي صُوّر في ١٢ مايو/أيّار ١٩٥٩ والموجود في مؤلّف لا بلبياد تحت عنوان «مسرح ــ حكايا وقصص»، ص١٧٢٠، تحت عنوان «لماذا أشتغل في المسرح».

الارتعاد الثمين، وهذا الصمت الملآن الذي عثرت عليه هنا من جديد. الباقي غير موجود.

*

هو أنا نفسي من أضعه منذ نحو خمس سنوات موضع الانتقاد، ما آمنت به وما عشت منه. لذا فإنّ الذين قاسموني الأفكار ذاتها يظنّون أنّهم مستهدفون، فيلومونني بشدّة؛ ولكن لا، أنا أشنّ الحرب عليّ وسوف أدمّر ذاتي أو أولد من جديد، هذا كلّ ما في الأمر.

*

عشّاق مرسيليا. تحت السماء الجميلة، البحر الدسم والمدينة المبهرجة المتعدّدة الألوان، رغبتهم المتجدّدة دائمًا والتي تُعييهم بدايةً لترميهم من ثم في ثمالة متواصلة... الخلجان ــ صخورٌ بيضاء وبحر محترق بالنورــ وحدها عفيفة.

*

غرونييه. مناسك مارونيّة («صيف في لبنان»)[1]. في المغارة نفسها، نرى رسمًا صغيرًا لصلب المسيح شبهَ ممحوّ للأسف حيث يبدو المسيح بركبتين نصف مثنيّتين وهو يرتدي سروالاً قصيرًا

([1]) *مناسك مارونيّة* هو فصل من *صيف في لبنان*، النصّ الذي أكمل به جان غرونييه عام ١٩٦٢، *رسائل من مصر* الذي صدر عام ١٩٥٠ (غاليمار).

منتفخًا كأهل البلاد ـــ مرفقًا بكتابة سترانغيلو (ما هو السترانغيلو).

«تحت عنوان ـــ السترانغيلو ـــ كتابة نصّ يصعب فهمه. [السترانغيلو هو الحرف السريانيّ، الكلدانيّ والبابليّ القديم الذي كان مستخدمًا منذ أكثر من ٣٠٠ سنة ق.م].

*

٢١ مايو/أيّار

إنّه الفصل الأحمر. كرزٌ وشقائق نعمان.

*

ظهرًا، ضجيج التراكتور في وادي لورمارين الصغير... كصوت محرك المركب في ميناء خيوس، الحرارة ساحقة وأنا في المقصورة الملأى بالظلّ أنتظر؛ أجل، كاليوم، ممتلئ بعشقٍ لا معشوق فيه[1].

أحبّ السحالي الصغيرة، الجافّة كالحجارة حيث تتراكض. إنّها مثلي، عظام وجلد.

*

---

(١) إشارة إلى رحلته إلى اليونان في يونيو/حزيران ١٩٥٨، في مركب اكتراه ميشيل غاليمار.

باريس، ٢٩ يونيو/حزيران ٥٩

لقد تخلّيت عن وجهة النظر الأخلاقيّة. الأخلاقيّة تودي إلى التجريد والظلم. إنّها أمّ التعصّب والعمى. على من هو فاضل أن يقطع رؤوسًا. لكن ما الذي يمكن قوله عمّن يعلّم الأخلاقيّة من دون أن يمكنه العيش على مستواها. الرؤوس تسقط وهو يشرّع، خائنًا. الأخلاقيّة تقسم اثنين، تفرّق، تجرّد. ينبغي الفرار منها، تقبّل أن نحاكَم وألاّ نحاكِم، قول نعم، تحقّيق الوحدة، وفي الانتظار، المعاناة من الاحتضار.

*

دانمركيّة جوسكي.

المدينة الثملة حَرًّا.

البندقيّة من ٦ إلى ١٣ يوليو/تموز[١]

كان القيظ الثقيل الميت كإسفنجة هائلة يسحق البحيرة ويقطع الخلوة ناحية «جسر الحرّيّة»، ليجثم ثقيلاً فوق المدينة، قاطعًا المنافذ المؤدّية إلى الشوارع والقنوات، ومالئًا الفضاءَ الحُرَّ كلّه ما بين البيوت المتقاربة. لا مخرج ولا مهرب، فخٌ من القيظ حيث ينبغي العيش والمراوحة. وكان جيش من السيّاح القبيحين يدور هكذا بصخب ضائعًا، متعرّقًا، متوحّشًا، بأزياء غريبة، كفرقة رهيبة

---

(١) خلال جولة مسرحيّة، تمّ عرض «الممسوسون» في مسرح فينيتشي في البندقيّة، حيث أمّن كامو نفسه شروط العرض.

في سيرك هائل عطّلت فجأة، ثم ارتعبت من جرّاء ذلك. المدينة بأسرها كانت ثملة من القيظ. صباحًا، كنّا نقرأ في صحيفة «إل غازيتّينو» أنّ بعضًا من أهل البندقيّة الذين فقدوا صوابهم بسبب الحرّ، قد اقتيدوا إلى مصحّ المجانين. كانت القطط تُقتل أينما كان، وأحيانًا، كان أحدها ينهض مغامرًا بالتقدّم بعض خطوات في الحقل الحارق، فتنقضّ عليه الشمس الرخوة الشرّيرة المتربّصة وتقتله. كانت الجرذان تعلو مياه القنوات الآسنة، ثم تهوي بعد ثلاث ثوان، بثقلٍ في الماء. لقد بدا أنّ الحرارة الرخوة الحارقة كانت تنهش لحم المدينة المتهالكة أكثر فأكثر، الروعةَ المتقشّرة للقصور، الحقولَ الحارقة، الأسسَ وأوتادَ المراسي المتعفّنة ــ فيما كانت البندقيّة تغرق بعدُ أكثر في البحر.

أمّا نحن، فكنّا نهيم عاجزين عن الأكل، نقتات قهوة ومثلّجات، عاجزين عن النوم لا ندرك متى تبدأ النهارات والليالي، ومتى تنتهي. كان النهار يفاجئنا على شاطئ ليدو في المياه الفاترة اللزجة للصباح، أو في جندول هائم في قنوات نائية، في حين كان لون السماء يصير رماديًّا زهريًّا فوق قرميدٍ فيروزيّ فجأة. كانت المدينة تقفر حينها، إلاّ أنّ القيظ لم يكن يخفّ أبدًا لا في تلك الساعة ولا حتى في المساء، دائمًا متساوٍ، دائمًا حارقٌ ورطبٌ، فيما البندقيّة محاصرة أبدًا. في حين أنّنا ليأسنا من الخلاص، كنّا نبحث فقط عن التنفّس مرّة أخرى بعد، إضافةً إلى مرّة أخرى بعد، وإلى الاستمرار في هذا الجوّ الغريب دونما معالم أو استراحة، مشدودي

الأعصاب بفعل القهوة والأرق، منتزعين من الحياة. كائنات خارج الحياة، وإنّما كائنات لا يرغبها أحدٌ، ولا حتى أيُّ شيء في العالم، إلاّ استمرار هذا الجنون الزائغ، الساكن، وسط الحريق الجامد الذي يلتهم البندقيّة، ساعةً بعد ساعة، دونما كلل، وإلى حدّ أنّنا كنّا ننتظر اللحظة حيث ستنهار دفعةً واحدةً المدينةُ التي كانت منذ لحظات ما تزال متألّقة بالألوان والجمال، متحوّلةً رماداً لن تبعثره حتى الريح المتغيّبة. كنّا ننتظر، متعلّقين بعضنا ببعض، عاجزين عن الافتراق، محترقين أيضاً، وإنّما بنوع من الفرح اللامتناهي الغريب، فوق محرقة الجمال هذه.

*

يلمح (ج. د.) شابّة دانمركيّة، قبيحة جدًّا بالمناسبة، على رصيف مقهى ومن ثم في المسرح. يتقرّب منها، يجلس بقربها، ثم ينهضان سويّة بعد بضع ثوان. يُعتصر قلبي عندما أرى بأيّ رضوخ تتبعه. الرضوخ الذي يميّزهنّ جميعًا في مثل تلك اللحظة.

*

هنا، تعلمني (ج) بأنّها حامل من (ب)؛ أنصحها بأن تخبره بالأمر. يضحك وبعد ساعة يعود إلى فندقه أمام (ج) مع (أ). (ج) تبقى مع (أ) الذي يحبّها وتصمت.

*

رواية. الحبّ يتفتّح ما بينهما كوله من لحم وقلب. أيّام وأيّام مرتعشة، والاختلاط الشامل إلى حدّ يجعل الجلد حسّاسًا ومنفعلاً كقلب. متوحّدان أينما كان، في المركب الشراعي، والرغبة المنبعثة دونما كلل كالانفعال. إنّه كفاحٌ ضدّ الموت بالنسبة إليه، ضدّ ذاته، ضدّ النسيان، ضدّها هي وضدّ طبيعتها الضعيفة، ثم يستسلم أخيرًا ويسلّم نفسه لها. ومن بعدها هي لن يكون هناك أحد آخر، يعرف، ويقطع وعدًا بذلك في المكان الوحيد حيث يجد شيئًا من القدسيّة. في كنيسة سان جوليان لو بوفر حيث تلتقي اليونان بالمسيح، يقرّر أن يصون الوعد ضدّ كلّ شيء بحيث لا يعود هناك غير الفراغ خلف هذا الكائن الذي يشدّه نحوه أكثر فأكثر، منصهرًا فيه وفاتحًا إيّاه حتى التمزّق ليحتمي فيه أخيرًا، إلى الأزل، في الحبّ المستعاد أخيرًا حيث تتلألأ الحواسّ نفسها بالنور، تتطهّر في محرقة متواصلة أو في تدفّق المياه المبتهجة ـ متوّجة بامتنان لا حدّ له. تلك الساعة حيث تسقط حدود الجسد، وحيث يولد أخيرًا الكائنُ الفريد في العري الكامل للعطاء العميق.

*

١٣ أغسطس/آب

غيابٌ، حرمانٌ موجع. غير أنّ قلبي يحيا، قلبي يحيا أخيرًا. لم يكن صحيحًا إذًا أنّ اللامبالاة نالت من كلّ شيء. امتنانٌ وتشكّرٌ عنيفٌ حيال (مِي). أجل إنّ الغيرة تشهد على الروح. إنّها عذاب

رؤية الآخر وقد تحوّل غرضًا، ورغبة أن يعترف به الجميع والكلّ كموضوع. نحن لا نغار من الإله.

*

كان المساء يهبط على الوادي الصغير، الجدران العتيقة، الأسوار المسنّنة، والبيوت الصابرة. حفيف الأعشاب تحت قدميّ.

*

أيلول/سبتمبر

تستيقظ (ي) برينتان عند الساعة ١١ صباحًا، تبقى في فراشها، تتناول غداءها في سريرها نحو الواحدة أو الثانية بعد الظهر، وتبقى من ثم في السرير حتى نهاية ما بعد الظهيرة، محاطةً بصحف ومجلّات *فرانس ـ ديمانش، ماتش، نوار إي بلان، سينيموند*، إلخ، إلخ، التي تلتهمها.

*

(مِي) الذي أحادثه نصف ممازح نصف جادّ عن الشيخوخة القصوى حيث ينتهي تحليق الأشياء وابتهاج الحواسّ، إلخ، ينفجر بالبكاء قائلاً: «أحبّ الحبّ جدًّا!».

*

قبل أن أكتب رواية، سوف أضع نفسي في حالة من الظلمة طوال سنوات. تجريب التركيز اليوميّ، التقشّف الفكريّ والوعي الأقصى.

*

شعور شعبٍ بالذنب؟ (فرنسا كما ألمانيا ـ يهوذا ـ أولئك الذين ينامون، إلخ).

*

كيف حال والدتك العزيزة؟ لقد عرفت ألم فقدها منذ ٣ أشهر. أوه، كنت أجهل هذا التفصيل.

*

مائة وأربعون ألف محتضرٍ في اليوم؛ سبعة وتسعون ألفًا في الدقيقة؛ سبعة وخمسون مليونًا في العام.

*

ذلك اليسار الذي أنا منه، رغمًا عنّي وعنه.

*

في المسيح انتهى الموتُ الذي كان قد ابتدأ في آدم.

*

لقد كان أكبر جهد مضنٍ في حياتي هو التضييق على طبيعتي الخاصّة لجعلها تخدم أهدافي الكبرى. من بعيد لبعيد، من بعيد لبعيد فقط، كنت أفلح في ذلك.

*

بالنسبة للرجل الناضج، يمكن لعلاقات الحبّ السعيدة وحدها أن تطيل شبابه. في حين ترميه الأخرى فجأة في الشيخوخة.

*

شقاء بلوغ سنّ المسؤوليّات من دون فقدان الحساسيّة المرتبطة بها عادةً، والتي تُبيح بالتالي ممارستها من دون مراعاةٍ مفرطة للآخرين.

*

أُحيل (م) ماتيو[1]، أستاذ الأدب على التقاعد. لمواجهة الموت، ليس هناك إلاّ وصفات النزعة الإنسانيّة الكلاسيكيّة.

*

في مدن الحجر حيث الريح والمطر وحدهما يحملان ذكرى المراعي والسماء.

*

([1]) عام ١٩٣٢، كان م. ماتيو أستاذ ألبير كامو في مادّة الأدب في صفّ البكالوريا.

بالنسبة إليّ، لطالما ارتبط الحبّ الجسديّ بشعورٍ بالبراءة والفرح لا يقاوم. لا يمكنني أن أحبّ في الدموع، وإنّما بالزهو والانتشاء.

*

البحر، ألوهيّة.

على الأرض البدائيّة، هطلت الأمطار *خلال قرونٍ*، بطريقة متواصلة.

ففي البحر وُلدت الحياة، وخلال كلّ الزمن السحيق الذي قاد الحياة من الخليّة الأولى إلى الكائن البحريّ المنظّم، لم تكن القارّة الخالية من أيّة حياة حيوانيّة أو نباتيّة، إلاّ بلادًا حجريّة فقط، ملأى بصمتٍ هائل، لا تعبرها أيَّة حركة ما عدا الطيفَ السريع لسحبٍ كبرى وجريانَ المياه في الأحواض المحيطيّة.

بعد مليارات *السنوات*، خرج الكائنُ الحيّ الأول من البحر واستقرّ على اليابسة، كان يشبه العقرب. وكان ذلك منذ ثلاثمائة وخمسين مليون عام.

الأسماك الطائرة تصنع أعشاشها في الهاوية لكي تحمي فيها بيضها.

في بحر سارغاس، مليونا طنّ من الأعشاب البحريّة. قنديل البحر الكبير الأحمر، بحجم النرد في البداية، يصبح في الربيع

عريضًا كمظلّة. يتنقّل من خلال ذبذبات، ساحبًا وراءه سواعده الطويلة، وحاميًا تحت مظلّته مجموعاتٍ من سمك القدّ الصغير تتنقّل معه.

السمك الذي يعلو ما فوق منطقة سكنه، متجاوزًا حدودًا غير مرئيّة، ينفجر ساقطًا على السطح.

على عكس سمك الحبّار المتواجد على السطح والذي يبثّ حبرًا، يبثّ حبّار الأعماق سحابةً مضيئة. ويختبئ في الضوء.

هناك أمواجٌ تصلنا من كاب هورن بعد رحلة طولها عشرة آلاف كلم. ولقد بلغ ارتفاع الموج ٣٥٨ م في البحر المتوسّط الشرقي، غامرًا الجزر والسواحل الواطئة، وتاركًا السفن جاثمةً على قلاع الإسكندريّة.

*

أنا كاتب. لست أنا، وإنّما الريشة هي من تفكّر، تتذكّر، أو تكتشف.

*

لا أستطيع أن أحيا مع الكائنات طويلاً. أحتاج القليل من الوحدة، حصّة الأزليّة.

*

في جبال لوبيرون، يحيا جوادٌ مروّضٌ هائماً بحرّيّةٍ ووحيدًا منذ سنوات. قصّة قصيرة؟ رجل سمع حديثًا بشأنه يمضي للبحث عنه. فيعتنق بدوره الحياة الحرّة.

*

من أجل نيميزيس (في لورمارين ديسمبر/كانون الأول ٥٩).

جوادٌ أسود، جوادٌ أبيض، يدٌ واحدة تمسك بزمام الأهوجين. بسرعة جنونيّة، السباق فرح. الحقيقة تكذب، الصراحة توارب. أختبئ في الضوء.

العالم يملأك وأنت خاو: الشعور بالامتلاء.

صوت الزبد الخفيف على شاطئ الصباح؛ يملأ العالم بقدر ما يفعل صخب المجد. الاثنان يجيئان من الصمت.

مَن يرفض يصطفِ نفسه، ومن يشتهِ يفضّلها. لا تطلب ولا تصدّ. اقبل لكي تتخلّى.

لهيب الجليد يكلّل الأيّام؛ يرقد في الحريق الجامد. قاسٍ أيضًا، ناعمٌ أيضًا، المنحدر، منحدر اليوم... وإنّما على القمّة؟ جبل واحد.

الليل يحترق، الشمس تنشر الظلمة. آه أيّتها الأرض الكافية لكلّ شيء. مستعبَدٌ للآخرين، محرَّرٌ من لا شيء. اختر عبوديّتك.

خلف الصليب، الشيطان. اتركهما معًا. مذبحك الخاوي في مكان آخر.

مياه المتعة ومياه البحر مالحةٌ بالقدر نفسه. حتى داخل الموجة.

المنفيّ يسود، والملك جاثٍ على ركبتيه. في الصحراء، انتهت الوحدة.

في البحر، دونما هدنة، من ميناء إلى جزيرة، متراكضًا في النور، فوق الهوّات السائلة، فرَحٌ طويلٌ بقدر ما هي الحياة الطويلة جدًّا.

أنت تتقنّع، وها هم عراة.

في اليوم القصير المعطى لك، دفِّئ وأنِر دون أن تحيد عن سيرك.

ملايين الشموس الأخرى سوف تأتي من أجل راحتك.

تحت بلاطة الفرح، الغفوة الأولى.

تزرعه الريح، تحصده الريح، وهو مع ذلك خلّاق. هكذا هو الإنسان عبر القرون، وفخور بأن يحيا لحظة واحدة.

*

«لا يشيّد غرورُ البشر تلك المنازلَ الرائعة إلاّ لكي يستقبل فيها الضيفَ الذي لا مهرب منه، الموت، بكلّ مراسم خشيةٍ متطيّرة» (كونراد، قلق).

سان إنياس (يوميّات روحيّة) «المغتاظ» لأنّه لم يتلقَّ من السماء تأكيدًا على اصطفائه من قبل الثالوث الأقدس. بيد أنّه يفضّل «بالأحرى الموت مع يسوع على العيش مع سواه[1]». وسوف يكون تعيسًا في جهنّم بسبب التجديف بحقّ الإله، أكثر منه بسبب ما يقاسي من عذابات.

كما سبق. يقول للشيطان الذي يحاول إيقاعه في التجربة: «مكانك». في موضع آخر: «كم أنّ الإله ثابت لا يتحوّل والشيطان جامد ومتحوّل».

*

خاصّ بدون فاوست[2]. لم يعد هناك من دون جوان بما أنّ الحبّ حرّ. هناك رجال يثيرون الإعجاب أكثر من سواهم. إنّما لا خطيئة ولا بطولة.

---

(1) سبق لكامو أن تحدّث عن دعوات مشابهة. في *الرجل المتمرّد*، يذكر المعلّم إكهارت الذي كان يؤكّد أنّه يفضّل جهنّم برفقة المسيح على السماء من دونه. في *الممسوسون*، يقول ستافروغين لشاتوف إنّه إذا لم يكن ممكنًا، بحسابات رياضيّة، إثبات أنّ الحقيقة موجودة خارج المسيح، فهو يفضّل أن يبقى مع المسيح على أن يبقى مع الحقيقة.

(2) مراجعة الدفتر VII.

هناك دون جوان لـ لوبي دي فيغا: «العهد المستوفى (الترجمة وكذلك زوريلّلا)[1]. قصّة حبّ فيليب الرابع مع الأخت مرغريت دولاكروا[2] (انظر المحاكمات الكبرى في إسبانيا)، انظر أيضًا دون جوان، ودون جوان غريغوريو مارانون[3].

*

في «حكاية رمزيّة»[4] (ص. ٣٨٨)، المحكوم بالإعدام الذي كان قد قال إنّه بريء، ثم اعترف بأنّه مذنب، مستسلمًا لقدره. يرى من تحت حبل المشنقة عصفورًا يطير نحو غصن يحطّ عليه ثم يبدأ بالتغريد، فيلتقط الحبل ويصرخ بأنّه بريء.

*

---

(١) جوزيه زوريلّلا (١٨١٧ ـ ١٨٩٣) شاعر وكاتب مسرحي إسباني. مسرحيّته دون جوان تينوريو، عمل دراميّ رومنطيقي يروي كيف يتمّ شراء خلاص زير نساء محكوم بفضل حبّ امرأة. منذ ابتكارها في العام ١٨٤٤، تؤدّى هذه المسرحيّة كلّ عام في إسبانيا بتاريخ ١ نوفمبر/تشرين الثاني.

(٢) وقع فيليب الرابع في حبّ راهبة جميلة من دير سان بلاسيدو، في مدريد. ولكي يلاقيها، أمر بحفر ممرّ يفضي إلى قبو الدير. إلاّ أنّ رئيسة الدير، وقد أعلمتها الراهبة، دبّرت مكيدة. يصل الملك فيجد محبوبته شبه ميتة، ممدّدة على السرير، مغمضة العينين ومن حولها الشموع، فيلوذ بالفرار. ورغم سرّيّة ما جرى، تعلم محكمة التفتيش بالأمر مما يؤدّي إلى وقوع فضيحة كبرى.

(٣) غريغوريو مارانون (١٨٨٧ ـ ١٩٦٠)، طبيب وكاتب إسبانيّ درس بشكل علميّ شخصيّات تاريخيّة من أمثال دون جوان.

(٤) حكاية رمزيّة *(إلى خرافة)*، رواية لفولكنر، راندوم هاوس، ١٩٥٤، الترجمة الفرنسية لر. ن. رامبو، غاليمار ١٩٥٨.

لقد اصطفيتكِ هكذا، وهو ما سيساعدني على تجاوز هذا المنعطف الصعب وعلى عدم المعاناة من تفاصيل ما أعتبره عادلاً وشرعيًّا مبدئيًّا...

*

ما كان يساعدني أيضًا ـ الإنصاف ـ هذا التقبّل الصعب للذات وللآخرين هو الإبداع. إنّما منذ وجودي في هذه الأزمة، في نوع من العجز، أتفهّم تلك الرغبة الخسيسة بالامتلاك التي لطالما صدمتني لدى الآخرين. يمكننا الحصول على شخص إن لم يحصل هو علينا. وصحيح أنّي في هذه اللحظة بالذات، كنت محتاجًا إلى ذلك الانتماء الذي منحتني إيّاه. لهذا السبب عانيتُ من هربك بقدر ما عانيتُ من كذبك. إنّما سيمرّ ذلك. قليلٌ من التشاؤم بعد وسوف تشعَ التعاسة بدورها: فأعود لأصبح ذاتي.

*

لقد تعذّبتُ ممّا كشفته لي؛ هذا أمر واقع. لكن، لا ينبغي أن تحزني لحزني. أنا مخطئ، أعرف ذلك، وإن لم يكن بإمكاني منع قلبي من أن يكون ظالمًا، فبإمكاني أن أجعله قادرًا أيضًا أن يكون منصفًا. لن يصعب عليّ التغلّب على الظلم الذي أرتكبه بحقّك في قلبي. فأنا مدركٌ أنّي قد فعلت كلّ ما في وسعي لكي أبعدك عنّي. طوال حياتي، ما إن يتعلّق كائنٌ بي، حتى أفعل كلّ ما في

مستطاعي لكي يتراجع. هناك طبعًا عجزي عن الارتباط، ميلي إلى الكائنات، إلى التعدّديّة، وتشاؤمي فيما يخصّني. ولكنّي ربّما لست لعوبًا بالقدر الذي أدّعي، فالإنسان الأوّل الذي أحببته وأخلصت له ضاع منّي في المخدّرات وفي الخيانة. ربمّا تأتّت أمورٌ عديدة عن هذا، غرورًا وخشيةً من أن أتعذّب بعد، رغم أنّي تقبّلت العديد من العذابات. غير أنّي، منذ ذلك الحين، أفلتُّ بدوري بشكلٍ ما من الجميع وأردتُ بشكل لاواعٍ أن يفلت الجميعُ منّي. حتّى فلانة، قمت بما ينبغي لكي أثبّط عزيمتها. ولا أظنّ أنّها أفلتت منّي أو أنّها استسلمت حتى بشكل عابر، إلى رجل آخر. لست متأكّدًا من ذلك [...][١]. لكنّها إن لم تفعل، فبسبب قرارٍ عائدٍ إلى بطولتها الداخليّة، وليس إلى فيض حبٍّ يريد أن يعطي من دون مقابل. أيضًا، لقد بذلت كلّ ما في وسعي لكي تفلتي أنت منّي. وكلّما كان سحر أيلول/سبتمبر القديم ذاك عليّ كبيرًا، أردت أن أنهي افتتانًا ما. إذًا، لقد أفلتُّ منّي بشكلٍ ما. إنّها عدالة هذا العالم الفظيعة أحيانًا. الخيانة تردّ على الخيانة، وعلى قناع الحبّ الهربُ من الحبّ. وفي هذه الحالة الاستثنائيّة، أعرف وأعترف، أنا الذي عشت وطالبت بكلّ الحرّيّات، أنّه عادلٌ وحسنٌ أن تكوني قد عشتِ بدورك حرّيّةً أو اثنتين. والحساب ليس مكتملاً حتى.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

وفي مطلق الأحوال، لن أستعين فقط بإنصاف القلب البارد ذاك لأساعد نفسي، وإنّما بالتفضيل، وبالحنان الذي أكنّه لك. أحيانًا أتّهم نفسي بعدم القدرة على الحبّ. ربّما كان هذا صحيحًا، غير أنّي كنت قادرًا على *اصطفاء* بضعة أشخاصٍ وعلى الاحتفاظ لهم، بإخلاصٍ، بأفضل ما فيّ، مهما فعلوا.



نبذة عن المؤلف ألبير كامو:

روائي وفيلسوف ومسرحي فرنسي - ولد في الجزائر عام ١٩١٣. وتوفي بحادث سير عام ١٩٦٠.

من أهمّ أعماله: الموت السعيد، الغريب، أسطورة سيزيف، الطاعون، كاليغولا، والرجل المتمرِّد.

نال عام ١٩٥٧ جائزة نوبل للآداب «على مجمل أعماله التي تضع في الضوء، بجديّة ثاقبة، المشاكل التي تُطرح في زمننا على ضمير البشر».



نبذة عن المترجمة نجوى بركات:

روائيّة ومترجمة لبنانيّة مقيمة في باريس. تعمل في الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون. صدرت رواياتها عن دار الآداب: «لغة السر» و«يا سلام» و«باص الأوادم» و«حياة وآلام حمد بن سيلانه». **كما صدرت لها رواية باللغة الفرنسيّة:**

La Locataire du Pot de Fer

تدير **حاليًا محترف** «كيف تكتب رواية».

عشب الأيـام ...ألبير كامو

«يُقال إنّ نيتشه، وقد دخل في حالة من الوحدة النهائيّة إثر القطيعة مع «لو»، كان يتنزّه ليلاً في الجبال المطلّة على خليج جنوى، فيشعل نيرانًا هائلة ويروح يتأمّل احتراقها. غالبًا ما فكّرت في تلك النيران وغالبًا ما تراقص وميضُها في خلفية حياتي الفكريّة كلّها. فإن حدث ولم أكن منصفًا بحقّ بعض الأفكار وبعض الأشخاص الذين صادفتهم خلال القرن، فلأنّني وضعتها ووضعتهم عن غير قصدٍ في مواجهة تلك الحرائق، فكان أن تحوّلوا سريعًا إلى رماد».

تشكّل مفكرة كامو، بأجزائها الثلاثة، خارطة عملاقة لمحطات أساسيّة في رحلة استكشاف كامو لجغرافيا الكتابة: جغرافيا رواياته وبحوثه ومسرحيّاته وما رافقها من نوايا وشكوك ومخاض. إنّها الجغرافيا الداخليّة لكاتب ما استقرّ قطّ أو هنئ على الرُّغم من نجاحاته، فبقيتْ روحه على أرقٍ ما بين الإيمان الراسخ بالإنسانيّة وقيمها، وتشاؤمٍ لا يتزعزع يقينُه بعبثيّة الحياة.








9 789953 891897